

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

الشعراء البدوي في العصر العباسي الأول

Bedouin Poets in the First Abbasid era

دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه
تخصص/أدب ونقد

إعداد الطالبة/ مدينة خالد مساعد الزبير
إشراف/ د. محاسن محمد الفحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

{تَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ

وَحَصِيدٌ} هود ١٠٠

المجادلة ١١

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب
(المتبى)

إهداء

إلى روح أبي الطاهرة المربي الفاضل الأستاذ/

خالد مساعد الزبير

طيب الله ثراه

إلى أمي الحبيبة/

أم المكارم

متعها الله بالصحة والعافية

شكر وتقدير

الشكر اولاً وأخيراً لله سبحانه وتعالى

خالص شكري ووافر تقديري:

- د. محاسن محمد الفحل أسأل الله أن يجزيها خير الجزاء
- أمي وأخوتي
- أهلي وعشيرتي
- صديقاتي
- كل من أسهم في إخراج هذه الدراسة إلى النور وأخص بالشكر أسرة مدرسة الزهور الثانوية النموذجية.

المستخلص

تناول هذا البحث الشعراء البدو في العصر العباسي الأول، وتكمن أهميته في أنه يكشف جانباً مهماً من شعر وشعراء العصر العباسي الأول، ودورهم الكبير في المحافظة على قالب الشعر القديم، في زمن تغيرت فيه حياة العرب في كل جوانبها بسبب اختلاطهم بالشعوب والثقافات الأخرى، وسادت فيه ثقافة التجديد والدعوة إليه في الشعر. هذا بالإضافة إلى أن الموضوع لم ينل حظاً وافراً من الدراسة. واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وثلاثة فصول.

في الفصل الأول تناولنا حياة العصر السياسية والاجتماعية والعقلية والدينية، كما تحدث عن مفهوم البداوة والطبيعة البدوية وأثرها على الشعر والشعراء، ثم تحدث عن نهج الأقدمين في شعر العباسيين متناولاً أغراض الشعر القديمة عندهم.

أما الفصل الثاني فقد خصص لبعض شعراء العصر البدو، المعروفين منهم والمغمورين، متناولاً حياتهم وشعرهم ومذاهبهم، وهم: مروان بن أبي حفصة، والحسين بن مطير، وعلي بن الجهم، وإبراهيم بن هرمة، وابن ميادة، وشعراء آخرون مغمورون وهم: ناهض بن ثومة، وأبو الخطاب البهلي وأبو فرعون الساسي، وأبو شراعة، والأحيمر السعدي.

وفي الفصل الثالث تحدثنا عن الدراسة الفنية لشعر البدو في العصر العباسي الأول، متمثلة في الخصائص الموضوعية ومنها المقدمة التقليدية للقصيدة (الطلل والظعن والتجرد وذكر المحبوبة وذكر الطيف والدعوة بالسقيا)، والتخلص إلى موضوع القصيدة ثم الخاتمة. ثم تناولنا الخصائص الأسلوبية ومنها: الألفاظ والمعاني، والصنعة والخيال، والموسيقى والأوزان. ثم اخترنا بعض القصائد كنماذج قمنا بشرحها وتحليلها لتكتمل الصورة الفنية، وختمنا بالنتائج والتوصيات، والفهارس والمصادر والمراجع.

وبالله التوفيق،،

Abstract

This research is about the nomadic poets of the ancient Abbasid period. Its importance is represented in that it discovered an important side of the poets and poetry of the ancient Abbasid period. It had a big role in keeping the old style on a time all aspects of life changed as a result of their mixing with other nations and cultures. The culture of renewing was dominant on that period. In addition the topic did not have much studies. The nature of the research had to be on an introduction, three chapters and conclusion.

The first chapter deals with the political, social, mental and religious life. It dealt with the concept of nomadic and the nomadic nature and its effect on poets and poetry. It dealt with the ancient poets of Abbasid poetry and its ancient objectives.

The second chapter is about some of the nomadic poets of that period (known and unknown poets). It deals with their poetry, view and life. The known poets such as Marwan Ibn Abi Hafssah, Al Hussein Ibn Mattheer, Ali Ibn Aljahm, Ibraheem Ibn Harmah and Ibn Mayadh. The unknown poets such as Nahid Ibn Sawmah, Abu Alkhatib Albahdali, Abu Farwan Alsasi, Abu Shuraah and Al-ehamir Alsadi.

The third chapter is about an artful study of the nomadic poetry of the ancient Abbasid period. It represented on the objective characteristics such as the classic introduction of the poem (the old remaining houses, the camels used for moving, the fiction of the loved girl and calling for rain to come).

Then the poet mentioned the topic of the poem and finally the conclusion.

We dealt with the musical, the semantic and symbolic characteristics and imaginative use of language. We selected some poems as models we explained and analyzed them so as to have a clear picture. Finally we concluded with the results and recommendations.

مقدمة

طراً على المجتمع في العصر العباسي، تغيير كبير بحكم التمازج الذي حدث بين العرب وغيرهم من الأمم الأخرى، مما جعله يتميز بتعدد العناصر والثقافات، وبقوة الخلفاء وعظمتهم، وبنفوذ الفرس وغلبيتهم على العنصر العربي. وقابل هذا التغيير الحضاري؛ تيار معاكس له، أثر حياة البداوة متأثراً بها محافظاً على التراث العربي القديم في كل ما يتعلق بحياتهم الاجتماعية والأدبية وغيرها من ضروب الحياة. وكان هناك صراع بين القديم والجديد وانقسم الشعراء الى فئتين: فئة تأثرت بالحياة الجديدة وانجرفت في تيارها، وفئة آثرت القديم، ظلت محتفظة به.

وقع اختياري على موضوع الدراسة لسببين:

- رغم كثرة هذه الفئة من الشعراء وغزارة انتاجهم الشعري، إلا أنهم لم يحظوا بدراسة مستقلة.
- جانب البداوة في شعر العصر العباسي الأول، والمحافظة على الأسس القديمة في ظل المفاهيم الجديدة التي اجتاحت الحياة، والقت بظلالها على الشعر؛ يحتاج لوقوف وتدقيق، خاصة أن دعاة التجديد أنفسهم لم يتخلوا عن القديم ونهجه.

مشكلة البحث وفروضة:

أما مشكلة الدراسة، فتكمن في:

- التشابه الكبير في النهج والاسلوب المتبع عند الشعراء البدو وغيرهم من المحافظين والمجددين.
- نهج الشعراء المجددون نهج القدامى في الكثير من أغراضهم. لذا صعب التمييز بينهم وبين البدو والمحافظين. فمن هم البدو وإلى أي مدى كان تأثير الشعر القديم على شعرهم؟

حدود البحث:

أما حدود الدراسة الزمانية فتشمل العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ). ومكانها بلاد الشام وبياديهها وامتدت لتشمل جزيرة العرب بصحاريها ووديانها باعتبارها أصل العرب وموطنهم.

منهج البحث

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي باستقراء النصوص وتحليل بعض الأبيات باعتبارها نماذج.

الدراسات السابقة:

واستعنت بعدة مصادر، تبعثت المعلومات والشواهد والآراء في ثناياها:

○ الدراسات السابقة من البحوث العلمية؛ لم أجد دراسة سابقة فيما بين يدي من المصادر؛ تتصل مباشرة بالموضوع أو قريبة منه، ولكن هناك بعض الدراسات عن شعراء مصنفين من البدو.

○ بعض الكتب الحديثة على قلتها، إلا أنه لها فضل كبير في إثراء هذه الدراسة، أهمها: (كتاب الشعر عند البدو لشفيق الكمالي، والعصر العباسي الأول لشوقي ضيف- ابن قتيبة: الشعر والشعراء-ابن رشيق: العمدة-بالإضافة إلى دواوين الشعراء موضوع الدراسة وكتب أخرى).

○ المصادر وأمهات الكتب القديمة: (الأصفهاني- الأغاني، مقدمة بن خلدون الجاحظ: الحيوان والبيان والتبيين. ،خزانة الأدب-البغدادي، المرشد الى فهم أشعار العرب-عبد الله الطيب. وطبقات الشعراء لابن المعتز- وغيرها كثير).

حسبي من هذه الدراسة نصيب المجتهد، فإن وفقت فمن الله، وإن أخفقت فمن نفسي، أتمنى أن يرضيكم جهدي وأسأل الله القبول.

هيكل البحث:

يتكون البحث من ثلاثة فصول واثنى عشر مجتاً :

الفصل الأول بعنوان: البداوة والشعر في العصر العباسي الأول وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول بعنوان: الحياة في العصر العباسي الأول: تحدثت فيه عن حياة العصر السياسية وعن الخلفاء العباسيين ودورهم في المحافظة على اللغة والأدب وعن غلبة العنصر الفارسي. والحياة الاجتماعية واختلاط العرب بغيرهم ونتائجها، والترف والمجون، والحياة الدينية العقلية.

المبحث الثاني بعنوان: البداوة في شعر العصر العباسي: تحدثت فيه عن مفهوم البداوة والطبيعة البدوية وأثرها في الشعر والشعراء. في العصر الجاهلي والعباسي.

والمبحث الثالث بعنوان: نهج الأقدمين في شعر العباسيين: وتحدثت فيه عن أغراض الشعر القديمة عند شعراء العصر العباسي البدو منهم والمحافظين والمجددين، وتمسكهم بنهج القدامى من الشعراء.

الفصل الثاني بعنوان: "الشعراء البدو في العصر العباسي" وفيه ستة مباحث تناولت في الخمسة الأولى حياة الشعراء وشعرهم ومذاهب بعضهم وشخصياتهم:

المبحث الأول بعنوان: مروان بن أبي حفصة

المبحث الثاني بعنوان: الحسين بن مطير

المبحث الثالث بعنوان: ابراهيم بن هرمة

المبحث الرابع بعنوان: علي بن الجهم

المبحث الخامس بعنوان: ابن ميادة

المبحث السادس بعنوان: شعراء آخرون: وتحدثت فيه عن بعض الشعراء المغمورين وعرضت نماذج من شعرهم الذي عكس جانب بداوتهم.

الفصل الثالث بعنوان-الدراسة الفنية لشعر البدو: ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول "بعنوان" الخصائص الموضوعية: وتحدثت فيه عن النهج التقليدي للقصيدة العربية التي تبتدئ بالمقدمة الطللية بأنواعها المتعددة من وقوف على الاطلال، واستيفاف الصحب، وذكر الطيف، والدعاء بالسقيا وغيرها. ثم التلخص إلى الموضوع وخاتمة القصيدة.

المبحث الثاني بعنوان الخصائص الأسلوبية: وتحدثت فيه عن الألفاظ والمعاني، والصنعة والخيال، والموسيقى والأوزان.

المبحث الثالث بعنوان تحليل نماذج شعرية: واخترت فيه بعض النماذج لشعراء بدو وقمت بشرح معانيها الصعبة ومن ثم تحليلها حتى تكتمل الصورة.

الفصل الأول

البداءة والشعر في العصر العباسي الأول

المبحث الأول: الحياة في العصر العباسي الأول

المبحث الثاني: البداءة في شعر العصر العباسي الأول

المبحث الثالث: نهج الأقدمين في شعر العباسيين

المبحث الأول

الحياة في العصر العباسي الأول

الحياة السياسية:

تولى الخلافة في هذا العصر عشر خلفاء خضعت لسلطانهم أمم وحضارات قديمة. أول هؤلاء الخلفاء السفاح (أبو العباس) الذي اشتهر بالقهر وجعل من الكوفة عاصمة له، وكانت مدة خلافته أربع سنوات (١٣٢-١٣٦هـ) وتولى بعده أخوه أبو جعفر المنصور، (وظلت خلافته أكثر من عشرين عاماً (١٣٦-١٥٨هـ) ففي أيامه كان المبدأ المعمول به هو استعمال الفرس وجعلهم رؤساء على العرب. وكان أكثر من تولى له الأعمال فرسا)،^١ وبني الخليفة المنصور بغداد وجعلها عاصمة له (كما بني الرصافة وشجع العلوم والثقافة. وكان مهيباً في رأيه، جميل التدبير حسن السياسة).^٢

ثم تولى بعده ابنه المهدي الذي ازدهرت في عهده الحضارة ومات سنة ١٦٩هـ فتولى بعده ابنه الهادي الذي ظل في الخلافة سنة واحدة وخلفه أخوه هارون الرشيد بن المهدي، وفي عهده زاد نفوذ الفرس على يد وزرائه من البرامكة، وتوفى الرشيد سنة ١٩٣هـ وتولى بعده ابنه الأمين (١٩٣-١٩٨هـ) ثم ابنه المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) وفي عهده كان الفرس قد سجلوا انتصاراً جديداً، فقد اعتبروا انتصار المأمون انتصاراً للجنس الفارسي على الجنس العربي، فتأكدت مكانتهم ورسخت أقدامهم وسار النفوذ الفارسي إلى أن جاء المعتصم (٢٢١-٢٢٧هـ) فبني سامراء وجعلها عاصمة له عام ٢٢١هـ وولي بعده ابنه الواثق، وكانت فترة حكمه (٢٢٧-٢٣٢هـ).^٣

ففي هذه الفترة من حكم الدولة العباسية اعتمد الخلفاء على العنصر الفارسي وكان بيد هؤلاء الفرس مقاليد الأعمال وتصريف شؤون الدولة. وكان لهم نفوذ كبير وتأثير على سياسية الخلفاء. ومن مظاهر نفوذ العنصر الفارسي نقل العاصمة إلى بغداد لقربها من

^١ الجهشيار، الوزراء والكتاب، طبعة الحلبي، ١٩٣٨م، ص ١٢٤.

^٢ حسن جاد حسن وآخرون، الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين، دار التأليف، مصر، ١٩٥٣م، ص ١٣٣.

^٣ صالح بيلو، الثقافات الأجنبية في العصر العباسي الأول وصدائها في الأدب، مكة المكرمة، ١٩٨٨م، ص ١٤.

خراسان. ونقلهم نظام الفرس الكسروي في الدواوين الساسانية وأساليب الحرب. وقد أخذ العباسيون نظام الوزارة عن ملوك بني ساسان إضافة للنظم الإدارية والسياسية.

وتوسع الخلفاء في محاكاة الدواوين الساسانية، (وكان في كل ولاية ديوان للخارج يقوم عليه موظف ينفق منه على الولاية، ويرسل ما تبقى من الأموال إلى بغداد، حيث كان لكل ولاية ديوان خاص، وسمي مجموع هذه الدواوين باسم بيت المال وقد عهد أمره إلى خالد بن برمك وتولى أيضاً ديوان الجند).^١

وكان لدار الخلافة ديوان خاص يقوم على نفقاتها، ومن أهم الدواوين ديوان الرسائل الذي لعب دوراً كبيراً في نهضة النثر العربي. وكانت تصدر عنه رسائل الخلفاء. وكان بجواره ديوان الخاتم الذي تختم فيه الرسائل بعد مراجعتها. وديوان التوقيعات وهو خاص بالنظر في المظالم، ورقع أصحاب الشكاوى. وكان من عادة ملوك الفرس ووزرائهم، أن يوقعوا عليها بعبارات موجزة بليغة، فجاراهم خلفاء بني العباس ووزرائهم في هذا الصنيع.

هكذا أصبحت الدولة العباسية عربية اللغة، إسلامية الدين والأخلاق، فارسية المعيشة، ساسانية الإدارة والسياسة. من هنا يمكننا أن نحصر سياسة الدولة العباسية في نشر الثقافة والحضارة في أرجاء الدولة الواسعة، والاهتمام بأمر الموالي وكان الفرس أكثر حظاً من الخلفاء إضافة إلى العناية بالمظهر الديني الذي أقاموا عليه دعوتهم وشيدوا على أساسه دولتهم. وكانوا يخرجون إلى الصلوات الجامعة يخطبون الناس ويعظونهم، وعليهم بركة النبي صلى الله عليه وسلم وبين أيديهم أئمة العلماء ورجال الدين.^٢

^١ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف- طبعة ٣، دت، ص ٢٢.

^٢ - المرجع السابق، ص ٢٢.

الحياة الإجتماعية:

وكما كان للعنصر الفارسي والعناصر الأعجمية الأخرى أثر في الحياة السياسية وتكوينها. كذلك كان لهم تأثيرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية. فقد تأثر المجتمع العباسي بما كان في المجتمع الفارسي من لهو ومجون، ساعده على الحرية المطلقة في الدولة العباسية، فأدمنوا الخمر وحاكاهم من عاشرهم من بقية الشعوب حتى أصبحت ظاهرة عامة على الرغم من نهي القرآن الكريم عنها إذ يقول جل شأنه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ). (سورة المائدة: ٩٠) ومما ساعد على انتشارها وإقبال الناس عليها اجتهاد بعض فقهاء العراق وتحليلهم بعضها كنبذ التمر والزبيب المطبوخ أدنى طبيخ ونبذ العسل والتين.^١

وقد تفنن الشعراء في وصف الخمر وكانت من الأغراض المستخدمة التي نادي بها أبو نواس فوصفوا نشوتها وآثارها في الجسد والعقل ووصفوا كؤوسها ومجالسها وندماءها وسقاتها، وكانوا عادة من النصارى والمجوس، وكانوا يزينون رؤوسهم بأكاليل الزهر، كما كانوا يزينون قاعة الشراب بالرياحين وغيرها من الأزهار، وفي ذلك يقول أبو نواس:^٢

ودار نـدامى عـطـلـوها وأدـلـجـوا بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الرقاق على الثرى وأضغاث ريحان غني ويابس

فخلفاء بني العباس عاشوا حياة مترفة كلها بذخ. وكانت خزائن الدولة هي المعين الذي هياً لكل هذا الترف، فقد كانت تحمل إليها حمول الذهب والفضة من أطراف الأرض. حتى قالوا: إن المنصور خلف حين توفى أربعة عشر مليوناً من الدنانير وستمائة مليون من الدراهم. وروي أيضاً أنه فرض لكل شخص من أهل بيته مليون درهم كل عام.^٣

^١ أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٣م، ج ١، ص ٧.

^٢ ابن المعتز، طبقات الشعراء، طبعة دار المعارف، د. ت، ص ٢٠٦.

^٣ الأصفهاني، على بن الحسن - الأغاني، ج ٦، دار الكتب ١٩٣٥م، ص ٢٢.

وكان الخلفاء والوزراء والولاة والقواد يغدقون الأموال على العلماء والأطباء والشعراء والمغنيين، ويروى أن المهدي كان ينفق أموالاً طائلة على الشعراء والمغنيين.^١

وكان لهذه الأموال المغدقة على العلماء والأطباء والمترجمين، والشعراء والمغنيين، أثرها الكبير في نهضة العلوم والآداب والفنون. وجعل حياة هؤلاء نعيماً خالصاً.

فقد زينت الدور، وأتيح كل ما يجعل الحياة ممتعة هائلة. وروى أن المهدي كان يجلس على فرش موردة، وعليه ثياب موردة.^٢ وروى أيضاً عن مجلس الرشيد أنه كان يعقب بالطيب والزعفران. وروى أيضاً عن زواج المأمون ببوران بنت وزيره الحسن بن سهل أنه أنفق فيه ما يفوق الأساطير.^٣

وكذلك يتضح بذخ الطبقة المترفة هذه في مطعمها ومشربها. وتفنن الطهاة في أنواع الطعام، ومما يدل على ذلك ما يروي عن المأمون أن مائدته ضمت ذات يوم ثلاثمائة لونا من الطعام.^٤

وكان من أهم آثار هذا انشغال الخلفاء بالترف والملذات مما أدى إلى انهيار الدولة العباسية وانقسم المجتمع حينها إلى فئتين، فئة يعمها البؤس والشقاء، وأخرى النعيم والترف. وكانت الأولى تمثل الجانب الأكبر في حياة المجتمع العباسي. أما الرقيق فقد كثر بسبب الأسر في الحرب وبسبب انتشار تجارته. جاء في البيان والتبيين [أنه كان في بغداد شارع يسمى شارع الرقيق].^٥ وكان رقيق النساء من الجواري أكثر عدداً من رقيق الرجال. فقد نخرت بهن الدور والقصور. وكن من أجناس وثقافات وديانات وحضارات مختلفة وامتد أثرهن إلى قصر الخلافة.

^١ - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير - تاريخ الأمم، ج٦، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص٢٧.

^٢ - الجهيشاري، الوزراء والكتاب، ص١٦٠.

^٣ - الطبري - تاريخ الأمم، ص٢٧.

^٤ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر - البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ط٤ د.ت، ص٦٩.

^٥ - المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسن بن علي - مروج الذهب ومعادن الجوهر - مطبعة السعادة القاهرة - ط٤ - ١٩٦٤ - ٤/ص٤٤م.

وكان قصر الأمين يذخر بالجواري الغلاميات (اللائي يلبسن لبس الغلمان). ويروى أنه كان لزوج يحيى البرمكي مائة وصيفة لبوس كل واحدة منهن وحليها خلاف لبوس الأخرى وحليها.^١

وهؤلاء الجواري والقيان أشعن الرقة والظرف بين شباب المجتمع العباسي، واقتزنت بهذا الظرف مظاهر كثيرة في الأزياء والعمائم، وآداب الطعام والسمير. ومن أهم مظاهره تبادل الهدايا بالأزهار والرياحين رامزين بأسمائها إلى معاني المودة. وكان كثير منهن يتقن فنون الآداب. فكن يجمعن إلى جمالهن عذوبة الحديث. وكان منهن من يتقن نظم الشعر، ومنهن من يجدن الغناء. وكان لهذا الغناء دور في رفع أثمان الجواري.^٢

ومما لا ريب فيه أن إدمان الخمر حينئذ، وما أشعنه الجواري؛ دفع إلى العبث والإباحية. فكان المجتمع ذاكراً بزنادقة، وملاحدة، وفئات من ديانات شتى. فمضى كثير من هذه الفئات إلى ارتكاب الآثام، متحررين من كل قانون للخلق، والعرف، والدين. وكن سبباً في انتشار الفتنة والإغراء، وانتشار الغزل المكشوف الذي لا تصان فيه كرامة لامرأة، ولا رجل، ويمثل هذا التيار بشار بن برد. كما أشاع هؤلاء المجان آفة التعلق بالغلمان، وأول من اشتهر بالغزل فيهم والية بن الحباب.^٣

ولم تكن الحياة في بغداد كلها لهواً، ومجوناً، ولم يتخل الناس عن تعاليم الإسلام، والحياة المستقيمة، التي يزينها الخلق، والتقاليد، والدين، فقد نجد هذه الإباحية حيث بيوت المقينين.* ومن يفد عليها من الفتيان والشعراء للشرب، والمجون بلا حياء.

^١ الجيهشاري، الوزراء والكتاب، ص ٤١.

^٢ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ١، ص ١١٩.

^٣ المرجع السابق، ص ١١٩.

* المقينين: الماجنين.

الحياة الدينية:

إضافة إلى هذه الظواهر التي ذكرناها ظهرت العصبية والتفرقة بين الشعوب. فنادي الإسلام بهدم هذه الفوارق حتى يسود الوئام بين أفراد الأمة الإسلامية، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: ^١ (أيها الناس إن ركنم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى). وقد قسمت ظاهرة العصبية والتفرقة إلى ثلاث فئات: ^٢

الفئة الأولى:

تذهب إلى أن العرب خير الأمم وحجتها في ذلك أنهم عاشوا حياتهم متمتعين باستقلالهم. وأن لهم صفات خلقية امتازوا بها مثل الكرم، المروءة والعفة. ومثلهم الأعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي علمهم مكارم الأخلاق. وهذه الفئة تمثلها أشرف العرب والبدو، ومنهم قوم من العجم أسلموا إسلاماً عميقاً وأحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفئة الثانية:

تذهب إلى أن العرب ليسوا أفضل من غيرهم من الأمم ولا أمة أفضل من أمة. وليس تفاضل الناس فيما بينهم ولا بأحسابهم. ولكن بأفعالهم، وأخلاقهم وشرف أنفسهم وبعد هممهم، يقول ابن عبد ربه: (إنما الكريم من كرمت أفعاله، والشريف من شرفت هممه)، ^٣ وحجة هؤلاء (أن في كل أمة الطيب والخبيث، ولكل أمة محاسنها ومساوئها، وميزان الأعمال الدين والخلق). ^٤

الفئة الثالثة:

وهذه تميل إلى الحط من شأن العرب وتفضيل غيرهم من الأمم عليهم. وحجتهم في ذلك أن العرب ليست لهم ميزة يمكن أن يفتخروا بها. ويمثل هذا الصنف الذين

^١ - ابن حنبل، ابو عبد الله أحمد بن محمد - تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون - مؤسسة الرسالة ط ١- ٢٠٠١ ج ٣٨ - ص ٤٧٤.

^٢ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، مرجع سابق، ص ١٢٠.

^٣ - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد - العقد الفريد، ج ٢، المطبعة الأزهرية المصرية، ط ٢، ١٩٢٨م، ص ٧٢.

^٤ - أحمد أمين، ضحى الإسلام - ص ١٢٠.

يحتقرون العرب، ويسودون كل أمة عليهم. وكان بشار ممن أوقد نيران الخصومة ومدّها بأشعاره، إذ تبرأ من العرب وولاتهم، يقول:^١

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم مولى العريب فخذ بفضلك وأفخر

وظهرت في هذا العصر مبادئ الزندقة. ففطن لها خلفاء بني العباس وتعقبوا أصحابها فقتل في هذا العصر كثير من رؤوس الزنادقة، ولم يكن خلفاء الدولة العباسية يقتلون الزندقة إلا بعد ثبوتها على صاحبها.

ومع وجود حركة الزندقة والمجون، ظهر تيار معاكس هو تيار الزهد، وكان من الوعاظ من يقتحم قصر الخلافة ليعظ الخلفاء. ومنهم ابن السماك في وعظه لهارون الرشيد يقول: (الدنيا كلها قليل، والذي منها في جنب الماضي قليل لم يبق من قليلك إلا القليل).^٢

وقد ظهر تيار معاكس لحركة الزندقة مثله عدد غير قليل من أمثال صالح ابن عبد القدوس. الذي صنف من الزنادقة، في أننا نجد كثيراً من أشعاره يدور حول التنفير من الدنيا ومتاعها الزائل، وذكر الموت، والحث على مكارم الأخلاق وطاعة الله.

فشيوخ ذلك في أشعاره جعل ابن المعتز يشكك فيما نسب إليه من الزندقة مستشهداً بقوله:^٣

وليس بعجز المرء أخطأؤه الغنى ولا باحتيال أدرك المال كاسبه
ولكن قبض الإله وبسطه فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه

^١ - الأصفهاني، الأغاني، ج ٣، دار الكتب، ط ١، ١٩٢٩م، ص ١٣٩.

^٢ - الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغر بردي النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٠، ١٨٢/٣.

^٣ - ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٩٠.

* نشأ في البصرة وكان يعظ الناس، اتهم بالزندقة وقتل ١٦٧هـ (عصر المأمون).

يقول ابن المعتز: ^١ (فيا عجباً كيف يقول زنديق مثل هذا القول، وكأنه اقتبسه من الذكر الحكيم من أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. أي يضيقه ويجعله بقدر قليل). (وهو من الشعراء الذين لم يتكسبوا بشعرهم).^٢

هكذا تنوعت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي وتعددت مناحيها فشملت كل المجالات، وكل حركة تقوم كان لها تيار معاكس. ويرجع ذلك للتمازج الذي حدث في تلك الفترة بين أمم، وقبائل كثيرة، لكل منها لغتها، وعاداتها، وتقاليدها، وثقافتها. وتمازجت هذه الشعوب بالتزاوج، والتسري وبالتناسب والولاء. كما تمازجت بالمعارف والثقافات، وكانت اللغة العربية هي اللسان السائد المعبر عما تم من تمازج وثقافات هذا الخليط الكبير من الناس.

^١ ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٩٠.

^٢ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٢، دار الهلال، د.ت، ص ٨٨.

الحياة العقلية:

ولما كان تشجيع العلم ومكافأة أهله سمة من سمات هذا العصر، تنافس الناس عليه، وطلبوه في المساجد وغيرها من الأماكن. فكان العلماء يختارون المساجد أماكن يقصدهم فيها طلاب العلم والمعرفة.

ومن الأماكن التي يرتادها الناس للعلم، سوق البصرة، المعروف بالمريد، وكان الشباب يغدون ويروحون للقاء الفصحاء من الأعراب، والتحدث إليهم تدريباً لألسنتهم، ومحاولة لاكتساب السليقة العربية الخالية من شوائب العجمة، وكان من الشباب من يرحل إلى البادية ليأخذ اللغة والشعر من ينابيعهما الأصلية.

وكانت المساجد ساحات العلم الكبرى فلم تكن بيوتاً للعبادة فحسب بل كانت أيضاً معاهد لتعليم الشباب حيث يلتقون حول الأساتذة في شكل حلقة، ومن هنا أنت عبارة حلقات العلم. ويقال أنه كان يحضر حلقة ابن الإعرابي الكوفي (من علماء الكوفة)، زهاء مائة شخص.^١ وكثيراً ما كانت تدور في تلك الحلقات المناظرات بين أصحابها. على نحو ما يروي عن الأخفش من أنه تعرض للكسائي في حلقة فسأله محاوراً، ومناقشاً مناقشات مستفيضة.^٢ وكانت هناك حلقات للشعراء ينشدون فيها أشعارهم.^٣ وقد ساعدت حلقات العلم هذه على وجود ظاهرتين:^٤

- أولها: كثرة العلماء المتخصصين في علم واحد.
- ثانيها: نشوء طائفة من العلماء والأدباء الذين نوعوا معارفهم، إذ أنهم مضوا يختلفون إلى جميع الحلقات، آخذين بطرق من كل لون من ألوان المعرفة، وكان يطلق على هذه الطائفة المسجديين وقد عرض الجاحظ في كتاب البخلاء^٥ صورة من حياتهم تناولوا فيها الاقتصاد في النفقة.

^١ - الفقطي، الوزير جمال الدين أبو الحسن على يوسف - أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق العميد الفضل إبراهيم ج ٣/١٣٠، ١٩٥٥.

^٢ - الحموي، ياقوت - معجم الأدباء، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر مطبعة المأمون، د.ت، ص ٢٢٨.

^٣ - المرزباني، أبو عبد الله محمد بن حمدان بن موسى - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، المطبعة السلفية، ٣٤٣هـ، ص ٢٨٩.

^٤ - شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ١٠٠.

^٥ - الجاحظ، البخلاء، دار المعارف، ١٩٦٣، ص ٢٩.

وكان من أهم الأسباب في بلوغ الحركة العلمية غايتها من النهضة الواسعة استخدام الورق، فانتسعت صناعة الورق، وأخذ العلماء يفيدون منه فاتخذوا لأنفسهم وراقين ينقلون عنهم كتبهم ويذيعونها في الناس.^١

كذلك ازدهرت الحركة العلمية في مجالس الخلفاء والأمراء والوزراء، فجمع مالك بن أنس كتابه الموطأ معتمداً على توجيهات المنصور معترفاً بكفائته في تصدر المجالس، وتوجيه المناظرات العلمية والأدبية. وقد وزع المهدي أيامه توزيعاً عادلاً على العلوم والفنون، يستقبل العلماء في يوم، والأدباء في يوم، ورجال الفنون الأخرى في يوم آخر. وكل جماعة من هؤلاء يعرضون عليه ما وصلوا إليه. وكان يناقش ذلك كله عن سعة علم، ونضوج عقل، وكذلك عرف هذا عن الرشيد الذي كانت له جولات مع العلماء والأدباء. أما ابنه الأمين فقد انصرف إلى اللهو بخلاف أخيه المأمون الذي كان مجلسه ساحة واسعة للجدل والمناظرة وكان مثقفاً بالعلوم الدينية واللغوية والفلسفة وعلوم الأوائل. وكان المعتصم على عدم علمه بالقراءة والكتابة،^٢ يدير حلقات العلم والأدب والجدل والمناظرة.

كما نشطت حركة التأليف أيضاً وشملت مجالات عدة فظهر التأليف في الفقه وتعدد علماءه. كذلك نشأ التأليف في علم الكلام، وفي النحو، وعلوم البلاغة، وعلوم العروض الذي يتعلق بوزن الكلام، كما ألفوا في متن اللغة والأدب.

فالحياة في العصر العباسي الأول كانت غنية بشتى أنواع العلوم والفنون والآداب متميزة عن غيرها من حياة العصور الأخرى، لما فيها من تأثير وتأثر واختلاط بين العرب والفرس وغيرهم من الأمم الأخرى. فتنوعت اتجاهات الشعر ما بين جاهلي وإسلامي ومحدث أو مولد، وما بين أهل البديع وأهل الصنعة، وأهل اللفظ أو المعنى. لكن كل هذه الظواهر المتعددة المعاصرة للشعر العباسي مع اختلافها كانت تشكل صورة العصر الأدبية. وكان السلطان ومن حوله يقف إلى جانب التيار المعتدل باعتباره يمثل المحافظة على الموروثات في مواجهة التيارات الرافضة أو المتمردة. وكان ذلك أظهر ما يكون في

^١ الفقهي، أنباه الرواة على أنباء النحاة، مرجع سابق، ص ٣٤.

^٢ أبو الخشب، إبراهيم - تاريخ الأدب العربي، دار الفكر العربي، ١٩٦٦، ص ١٣٧.

شعر المديح، الذي يمثل قوة التاريخ واستمرار الأصالة في حين كانت الطبائع الأعجمية وخاصة الفارسية تقف من وراء تيارات الرفض، والثورة سواء في الاجتماع أو الفكر أو الدين من مجون وشعبوية وزندقة. ومن هنا حدث الانقسام في المنحى الشعري عند شعراء العصر العباسي، فهناك شعراء أرادوا أن يأخذوا أحكامهم من الواقع الحضاري الذي يعيشون فيه، وشعراء آثروا القديم فوجدوا أنفسهم مشدودين إلى الماضي، وفئة ثالثة آثرت القديم في بعض الأغراض، وكانت ذات إمام بحضارتها وثقافتها.

ومنهم من عاش في البادية فأثرت فيه الحياة البدوية فنجدته متمسكاً بطريقة القدماء من الجاهليين وهؤلاء هم موضوع الدراسة.

المبحث الثاني

مفهوم البادية والبدوة

جاء في لسان العرب: (البد و والبادية والبداوة والبداوة: خلاف الحضرة، والنسب إليها بوي نادر، وبدوي وهو على القياس، لأنه حينئذ منسوب إلى البداوة؛ قال ابن سيده: وإنما ذكرته لأنهم لا يعرفون غير بدوي. فإن قلت إن البدوي قد يكون منسوباً إلى البدو والبادية فيكون نادراً، قيل: إذا أمكن في الشيء المنسوب أن يكون قياساً وشاذاً كان حمله على القياس أولى، لأن القياس أشبع وأوسع. وبدا القوم بدواً أي خرجوا إلى باديتهم، مثل قتلا قتلاً. وبدا القوم بداءً أي خرجوا إلى البادية، وقيل للبادية بادية لبروزها وظهورها، وقيل للبرية بادية لأنها ظاهرة بارزة. وقد بدوت أنا وأبديت غيري. وكل شيء أظهرته فقد أبديته. ويقال بدا لي شيء أي ظهر. وقال الليث: البادية اسم للأرض التي لا حضر فيها، وإذا خرج الناس من الحضرة إلى المراعي في الصحارى قيل: قد بدو، والاسم بدو. وقال أبو منصور: البادية خلاف الحاضرة، والحاضرة القوم الذين يحضرون المياه وينزلون عليها في حمراء الغيظ، فإذا برد الزمان طعنوا عن إعداد المياه وبدوا طلباً للقرب من الكلاً، فالقوم حينئذ بادية بعدما كانوا حاضرة، وهي مباديهم جمع مبدي، وهي المناجع ضد المحاضر، ويقال لهذه المواضع التي يتبدى إليها البادون بادية أيضاً...)^١

البدو: ويقال لهم الأعراب، مفردها بدوي وإعرابي، جاءت تسميتهم هذه من سكناتهم للبادية حيث يقضون حياتهم في التنقل والترحال، طلباً للكلاً والماء لإبلهم التي تعتبر العماد الأول لحياتهم في هذه البيئة القاسية.^٢

فالبداوة خلاف الحضرة، يقال تبدى أي أقام بها (أي في البداوة) وتبادى تشبه بأهلها والنسب بدوي كسحاوي وبدوي محركة وبدا القوم خرجوا إلى البادية.

^١ - ابن منظور، أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب، دار المعارف، د.ت. مادة بدو

^٢ - الكمالي، شفيق - الشعر عند البدو، الإرشاد، ط١، بغداد، ١٩٦٤م - ص ١٨

وفي تعريف المعنى اللغوي لا يختلف معجم عربي عن معجم عربي آخر في أن مفهوم البداوة يقابل مفهوم الحضارة، وأن كلمة بداوة تضاد كلمة حضارة. وكذلك مشتقاتها فكلمة (بادية) تضاد كلمة (حاضرة)، ومفهوم (بدو) يقابل مفهوم (حضر)، لأن العرب كانوا يقولون في قديم استخداماتهم اللغوية الاجتماعية، وكذلك في جديدها المعاصر، لمن لا يزال يعيش في امتداد ذلك الواقع القديم (فلان من أهل البادية و فلان من أهل الحاضرة، و فلان بدوي و فلان حضري).

ونستنتج من التعريفات المعجمية أن البداوة تعني التنقل والترحل في البادية. وإذا حاولنا أن نستخدم المصطلحات الجغرافية الحديثة نقول: البداوة تعني عدم الاستقرار الاستيطاني.

يقول ابن خلدون: ¹(البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأن الحضرمعتون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولاشك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه، ولأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن وسابق عليها... فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة .. إن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أما إذا فتشنا أهل مصر من الأمصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر (وفي قراهم وأنهم أيسروا فسكنوا المصر) وعدلوا إلى الدعة والترف الذي في الحضرم. وذلك يدل على أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها..) ونجد أن معظم العلماء والأدباء والمفكرين ذوي الفطرة، أصولهم بدوية، وهم متأثرين ببداوتهم محافظين عليها، مدافعين عن لغتهم الفصيحة حتى لا يشوبها لحن الحضارة ذات الاختلاط بالأجناس غير العربية، فظهر الشعراء يمجدون حياتهم البدوية ويصورونها وصفاً وفخراً ومدحاً معبرين عن حبهم لحياتهم ومنهم من تنقل بين باديته وحاضرتة، فكان قريباً من الأمراء والملوك، مادحاً متكسباً بشعره، محافظاً على طريقته الأولى، غير متأثر بما حوله من ترف.

ومما سبق نفهم أن القبائل العربية البادية هي التي لم تستوطن الحواضر والقرى، وهذه القبائل كانت تتفاوت في نظام حياتها، وطرق معيشتها وطبقاتها الاجتماعية، وفي

¹ - ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٣٢هـ - ص ١٢٧

رواية عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: ^١ (لما قدمنا المدينة نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقبل هدية من أعرابي، فجاءت أم سنبله الأسلمية بلبن، فدخلت به علينا فأبيننا نقبله، فنحن على ذلك إلى أن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبوبكر رضي الله عنه فقال: ما هذا؟ فقلت يا رسول الله هذه أم سنبله أهدت لنا لبناً، وكنت نهيتنا أن نقبل من أحد الأعراب شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوها، فإن أسلم ليسوا بأعراب، وهم أهل باديتنا، ونحن أهل قاريتهم* إذا دعوناهم أجابوا، وإن استتصرناهم نصرنا).^٢

المفهوم من النص أن المقصود بالبادية إنما هو ظاهر القرية وما جاورها، حيث كثير من القبائل تسكن قريبة من الحواضر والمدن وتتصل بها.

صفاتهم:

يمتاز البدو بخصال ينفردون بها دون غيرهم من العرب المتحضرين وسكنة الأرياف والقرى. (وهم أصحاب أجسام رشيقة في الغالب الأعم ووجوه أسيلة لفتحها الشمس فأكسبتها سمرة، وجباهم عريضة بارزة وأسنانهم بيضاء كالثلج. هذا والبدوي يمتاز بجأد غريب وصبر على الشدائد، وذكاء حاد وقناعة لا توصف، يرضى بشظف العيش وحياة محفوفة بالمخاطر، وفي براري قفر، حرها لاهب وبردها قارس. والبدوي شديد الحرص على عرفة وعاداته التي كان عليها آباؤه وأجداده، باق على الفطرة والبساطة التي كانوا عليها منذ مئات السنين. متمسك بهذه الأخلاق والخصال الصالح منها والطالح. صعب المراس، جرى حافظ للذمام، كريم مقdam، ثبور لا يقف عند حد ثورته إذا ما جرحت كرامته وانتهكت حرمة، ميال إلى حرية لا يحدها حد. والحرية التي يفهمونها هي الحرية الشخصية لا الاجتماعية، والوطن الذي يذكرونه هو مضارب القبيلة ومنازلها وهو بالتالي فخور بنفسه وعشيرته).^٢

^١ - ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري - الطبقات الكبرى - تحقيق إحسان عباس - دار صادر -

بيروت - ط ١ ١٩٦٨م - ج ٨ - ص ٢٩٤

^٢ - الكمالي - شعر البدو - ص ١٩

مساكنهم:

يسكن البدو في الخيام المصنوعة من شعر الماعز وهم لا يستعملون كلمة خيمة أو فسطاط أو مضرب ولا غيرها مما جاء في اللغة وإنما يستعملون كلمة بيت أو بيت شعر.^١ ولا هم لهم إلا الغزو والحرب وجوب الصحراء مرتحلين من مكان إلى مكان باحثين عن الغيث والكلأ ومن هنا أطلقوا على ترحالهم اسم النجعة والانتواء.*

ملابسهم:

ملابس البدو عادة بسيطة وتتألف من ثوب أبيض واسع وطويل وفوقه ثوب آخر أوسع وأطول حتى يصل إلى القدم، وكلما كانت أكمام الثوب طويلة دلت على عراقية صاحبها في البداوة. (وإذا وقف البدوي وأرخى يديه إلى جانبه يكاد ردنا ثوبه يمسان الأرض وكنيهما في الغالب يعقدان وراء الظهر).^٢ وقد يلبس البدوي العباءة فوق الثوب، والعباءة مصنوعة من قماش رقيق لماع وتكون مفتوحة من الأمام وأكمامها أقصر من أكمام الثوب ويتحزم فوقها بحزام من الصوف.

أما غطاء الرأس فيتألف من الكوفية وهي قطعة مربعة من النسيج القطني تُطوى وتوضع على الرأس تحت العقال (قضاضة) أو محرمة والعقال يكون أسود اللون وهو عبارة عن ضفيرة من شعر الماعز. والمرأة تلبس ثوباً داخلياً مزركشاً فوقه ثوب أسود أو نيلي طويل الذيل، ومصنوع من القطن ويسمونه "ثوب أسمر" وتتحزم عليه بحزام مصنوع من الصوف الملون ويكون على الأكثر أحمر اللون. وهن لا يستعملن من أدوات التجميل والمساحيق سوي الحناء والكحل، ويتزين ببعض الحلي الرخيصة. وقول المتنبي يفضل البدويات على الحضريات، ويصف حياة البدو وبعض مظاهر مجتمعاتهم:^٣

مِنْ الْجَانْرِ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُرِّ الطِّيِّ وَالطَّيَا وَالْجَلَابِيبِ
كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٌ أَدْهَى وَقَد رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذَّيْبِ

^١ - الكمالي-الشعر عند البدو-ص٣٧

^٢ - المصدر السابق نفسه-ص ٣٩

^٣ -المتنبي- أبو الطيب-ديوانه، شرح عبد الرحمن البرقوي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ج٢، ١٩٨٦م-ص٩٠٠

* النجعة في اللغة: طلب الكلأ وارتباد مساقط الغيث في مواطنها. الانتواء: نوى القوم بمكان وانتوه بمعنى قصدوه.

زُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَبْعُ لِي وَأَنْذَنِي وَيَبَاضُ الصُّبْحُ يُغْرِي بِي
 قَدَ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيْبِ
 جِيرَانِهَا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الْأَصْحَابِ
 فُوَادُ كُلِّ مُحَبِّ فِي يُوتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبِ
 مَا أَوْجَهُ الْحَضْرُ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجِهِ الْبَوِيَاتِ الرَّعَابِيْبِ
 حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةِ وَفِي الْبَدَاةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ
 أَيْنَ الْمَعِيزُ مِنَ الْأَرَامِ نَاطِرَةٌ وَغَيْرَ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيْبِ
 أَفْدِي ظِبَاءَ فَلَائَةٍ مَا عَوَّفَنَ بِهَا مَضَعُ الْكَلَامِ وَلَا صَبَغَ الْحَوَاجِبِ
 وَمَا يَرْزَنُ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةٌ يَرَاكُهُنَّ صَقِيْلَاتِ الْعِرَاقِبِ

وكثير من هذه التقاليد ما زال سارياً حتى الآن وهو المرغوب عندهم.¹

حياتهم الدينية:

العقيدة عند البدو بسيطة بعيدة عن التكلف، مبنية على قبول ما كان قريباً من أذهانهم وأحق بالأخذ ما ينسجم مع روحهم ونفسياتهم ويلاتهم مداركهم وذهنهم. والبدو منهم نصارى ومنهم مؤمنون مسلمون بوحدانية الله عز وجل وبرسالة نبيه الكريم.

ورغم إيمانهم بوحدانية الله وبرسالة الإسلام، يتساهلون كثيراً في الفروض والواجبات كالصلاة والزكاة والحج إلى غير ذلك من فروض الدين، وهذا التساهل ليس عاماً في البدو. والبدوي مهما كان قاسياً فاسم الله ورسوله يتردد على لسانه دائماً، ويؤمن بأن كل شيء من الله. فعقيدة القضاء والقدر هي المتسلطة على كل شيء لدى البدوي، وكلمات: "الله أكبر، والله أعلم"، "ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"، "وأينما تكونوا يدرككم الموت" وأمثالها، هي القواعد التي يعتمد عليها البدوي طول عمره.

والبدو ما زالوا رغم كونهم مسلمين موحديين يحرمون المرأة من الميراث فهي لا ترث في عرفهم فالميراث ينحصر بالذكور فقط دون الإناث، فإذا لم يكن للمتوفي أولاد فأخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأعمام، وإذا لم يكن له أعمام ولا أولاد أعمام فالعصبية الأقرب

¹ - الكمالي-شعر البدو-ص ٤١

فالأقرب. والقاعدة هي حرمان الإناث من التركة وهذه من الظواهر الجاهلية التي لم تغب عندهم حتى الآن.^١

حياتهم العقلية:

البدو عامة أميون لا يعرفون من القراءة والكتابة شيئاً إلا ما ندر عند بعض أبناء الشيوخ. فهم باقون على السذاجة والفطرة منذ القديم. لكنهم بصورة عامة أذكاء يدركون أموراً كثيرة بالسليقة وإذا أقيت عليهم مسألة تعلموها وفهموها حالاً، ولقد أكسبتهم قوة الملاحظة وتجاربهم الكثيرة واضطرار الحاجة طائفة من العلم المبني على التجربة. فمعارفهم نجدها وليدة لتجاربهم اليومية وملاحظاتهم العامة وحاجتهم في بيئتهم القاسية، فهم على معرفة واسعة بابلهم وكل ما له علاقة بها، وعلى معرفة تامة بالصحراء وطرقها ومغاورها، فحياة التنقل والارتحال الدائمة دفعتهم لمعرفة دروب الصحراء ومعرفة النجوم للاستدلال بها في أسفارهم وهم على معرفة تامة بالنجوم ومطالعها وأقولها وتأثيرها على الإنسان والحيوان، وأثرها في تقلبات الجو وطول النهار وقصره، وظهور الأعشاب والنباتات وتغيير الفصول.. فظهور نجم معين يفهمون منه حلول الربيع أو الخريف.. وتأثيره على الإنسان والحيوان. وقد دفعهم اعتمادهم على المطر وتعرضهم لأحوال بيئتهم القاسية إلى معرفة أحوال الجو، الأنواء والرياح لعلاقتها بالكأ والغيث بحيث يعرفون أماكن سقوط الأمطار، وعرفوا البيطرة والخيل والإبل لاتصالها بالحرب ولكونها عماد حياتهم. وقد دفعتهم الحاجة إلى مداواة أنفسهم وحيواناتهم فألموا بعض الإلمام البسيط بمعارف تجريبية في الطب مثل الكي بالنار، واستخلاص العقاقير الطبية من أعشاب ونباتات البادية. وقد مهروا في الفراسة والقيافة إلى حد الإعجاز وقلما يخطئون في استدلالهم بآثار الأقدام.^٢

أما المعارف العقلية العميقة فقد قلت عند العرب بسبب قلة الحكماء والمفكرين، فقد أشارت الكتب إلى حكماء الأمم ومنهم:^٣ (حكماء العرب، وهم شزيمة قليلون، لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع، وخطرات الفكر، وربما قالوا بالنبوات).

^١ - الكمالي-شعر البدو -ص ٤٨

^٢ - المرجع السابق نفسه-ص ٤٧

^٣ - الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد -الملل والنحل- نشر مؤسسة الحلبي-ج ٢-ص ١١٨

أهم مميزات حياتهم

إن البدو من طبيعتهم حب الانتقال، ومن ثم قيل: أنهم لم يقيموا دوراً ثابتة، وإنما جعلوها سهلة في البناء، خفيفة. في الارتحال، لا تحتاج في إقامتها أو اقتلاعها إلى جهد أو عناء. ويعتمدون في حياتهم على الحيوانات، فكانوا مضطرين للبحث عن غذاء لما يملكون من ماشية، ولهذا كانوا يتتبعون مواضع الغيث، ومنابت الكلاً لينزلوا بها حيث يجدون ما يفي حاجتهم وحاجة حيواناتهم من غذاء وماء. ومن ثم كانت حياة البدو بين الإقامة والظعن.

يقول أحمد أمين:^١ (وسكان البادية كانوا يعتمدون في حياتهم على الماشية، ومن ثم كان أول ما يعنيه هو البحث عن غذاء لهذه الماشية، فكانوا يخرجون بها الأمكنة التي توجد بها الأعشاب والنباتات التي تصلح غذاء لها. وقد يمكثون في هذه الأمكنة المعشبة بعض الوقت، ولكن مهما كان مكثهم فيها، طال أم قصر فإنهم لم يتخذوها مواطن إقامة ثابتة بل كانوا إذا انتهى الموسم عادوا إلى مواطنهم ينتظرون أن يحول الحول وينزل الغيث).

وكانت ثروة البدوي تقدر بما لديه من الحيوانات، خاصة الإبل والخيل، ولذلك كان لهذين النوعين من الحيوانات قيمة عظيمة في نظرهم، خلدوها في أشعارهم. ومن ثم كان العربي يميل إلى الإكثار من ماشيته سواء بالتربية والرعاية، أم بالاستيلاء عليها عن طريق الإغارة.

ولم يكن البدوي يفكر أو ينشغل بمورد ثابت يربطه بمكان لا يبرحه طول حياته، وتستره حيطانه عن نور الفضاء واتساعه. ومن ثم أنف من الانشغال بالزراعة أو الصناعة، فتركوا ذلك لغيرهم ممن كانوا يعتبرونهم أقل من البدو أنفة وكبرياء وعزة، وكان مبدأ البدوي (الذل بالحراث والمهانة بالبقر، والعز بالإبل، والشجاعة بالخيل).^٢

فطابع البداوة هذا من أهم سمات الرؤية العربية القديمة. فهم يحتقرون الصناعات والحرف بصورة عامة، لذا كان يسمى كل صانع قيناً. ولا يخفي أن القين هو العبد أيضاً،

^١ - أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٦٥م-ص٩

^٢ - بلاشير - تاريخ الأدب العربي - ترجمة إبراهيم الكيلاني - دمشق ١٩٥٦م - ص٣٣

وهكذا كان أصحاب الصناعات ينالون قسطهم من الاحتقار. يقول جرير في هجاء الفرزدق:^١

هو القين وابن القين لاقين مثله .فَطَّحَ المساحي أو لجدل الأدهم*

ويسرى ذلك التيار إلى العصر العباسي الذي وازى فيه التيار البدوي التيار الحضري وجاء في رسائل الجاحظ:^٢ (أن بعض أولاد قحطان فخر في مجلس الخليفة العباسي الأول السفاح بمناقب قحطان من حمير، وكهلان على ولد نزار، وكان في المجلس خالد بن صفوان وغيره من نزار بن معد، لكنهم التزموا الصمت هيبة للسفاح لأن أخواله من قحطان. فقال السفاح لخالد: ألا تتطقون وقد غمرتكم قحطان بشرفها، وعلت عليكم بقديم مناقبها؟! فقال خالد:^٣ (ماذا أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد؟!)، وهذا دليل على قوة طابع البداوة في الشخصية العربية.

وتعد البادية برغم بساطتها في بعض الأمور، وقسوتها في أمور أخرى منشأ الأنبياء والحكماء، وملجأ الصالحين والزهاد والعباد. يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعث موسى، عليه السلام، وهو راعي غنم وبعث داوود، عليه السلام، وهو راعي غنم وبعثت وأنا أرى غنم أهلي بأجياد).^٤

أما عن صفات البدو أنفسهم، فأهمها القرب من الخير وخصاله، والشجاعة والجود والمروءة. وفي هذه المعاني يقول ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان (أهل البدو أقرب إلى الخير من الحضرة):^٥ "إن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مهياً لقبول ما يرد

^١ - جرير، الديوان، شرح إيليا الحاوي، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت. د.ت. ٥٥٨

^٢ - الجاحظ، عمر بن بحر - رسائل الجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٤م - ج٢ - ص ٢٧٣

^٣ - ابن منظور الانصاري، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الرويفعي الإفريقي - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر - تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع - دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا - ط١ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م.

^٤ - النسائي ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب الخرساني - السنن الكبرى - تح: حسن عبد المنعم شليبي - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ط١ - ٢٠٠١ ج ١٠ ص ١٧١ (حديث رقم: ١١٢٦٢)

^٥ - ابن خلدون - المقدمة - ص ١٢٧ - ١٢٨

* فطح الشيء: جعله عريض. المساحي: جمع مسحة وهي أداة القشر والجرف. الجدل: أحكام القتل. الأدهم: جمع أدهم وهو القيد

عليها، وينطبع فيها من خير أو شر، فإذا سبق أحد الخُلقين إلى النفس تبعد عن الآخر، ويصعب عليها اكتسابه، فصاحب الخير، إذا سبقت إلى نفسه عادات الخير وحصلت له ملكتها؛ بعد عن الشر، وصعب عليه طريقه. وكذلك صاحب الشر. وأهل الحضرة لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعادات الترف، والإقبال على الدنيا، والعكوف على شهواتهم منها، قد تلوثت نفوسهم بكثير من مذمومات الأخلاق والشر، والبدو وإن كانوا مقبلين على الدنيا مثل أهل الحضرة، إلا أن هذا الإقبال يكون في المقدار الضروري لافى الترف".

ولفضائل البادية والبدو، فقد كان الخلفاء والأمراء في عصور الحضارة الإسلامية يدفعون بأبنائهم إلى البادية لاكتساب صفات الشجاعة، والفروسية، حتى تشتد سواعدهم وتقوى عزائمهم ويتأهلوا لتحمل المشاق والمسؤوليات. كما كان الآباء الذين يريدون لأبنائهم أن يكونوا من الشعراء والخطباء والأدباء والفصحاء، يرسلونهم إلى البادية لتعلم اللغة، ولتستقيم ألسنتهم، وتصفو قرائحهم. ولا غرو في ذلك فتلك سنة أمضاها سيد البلغاء صلى الله عليه وسلم عندما قال: ^١ (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد).

وبالنسبة لبعض الأقوال الشرعية التي وردت في ذم التَّعب - وهو سكنى البادية - فقد أشار إليها العالم الفقيه عبد الرحمن بن خلدون معتبراً أنها ليست دليلاً على مذمة البدوة التي عبر عنها بالتَّعب، وساق ابن خلدون أدلة كثيرة منقولة ومعقولة تؤكد عدم ذم البدوة والبدو، وأشار إلى أن النهي عن التعرب أو سكنى البادية، ارتبط بوقت معين وظروف خاصة، وهو ظرف وجوب الهجرة على المسلمين وملازمة المدينة المنورة مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول ابن خلدون: ^٢ (إن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة والله يحب المتقين، ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الحجاج لسلمة الأكوخ: ^٣ (قد بلغ أنه خرج إلى سكنى البادية فقال له ارتدت على عقبيك؛ تعربت؟ فقال لا ولكن رسول الله أذن لي في البدو).

^١ - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود - شرح السنة - تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - دمشق - ط ٢ - ١٩٨٣ - ج ٤ ص ٢٠٢. وابن عساكر، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن - تاريخ دمشق - دار الفكر للطباعة والنشر - د. ت. ج ٤ - ص ٧

^٢ - ابن خلدون - المقدمة - ص ١٢٧

^٣ - البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ص) وسننه - تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة - ط ١ - ١٤٢٢ هـ - ج ٩ - ص ٥٢

فأعلم أن الهجرة فرضت على أهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن، ينصرونه ويظاهرونه على أمره، ويحرسونه، ولم تكن واجبة على الأعراب أهل البادية لأن أهل مكة يمسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الأعراب. فقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب، حيث لا تجب الهجرة، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص عند مرضه بمكة: ^١ (اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم) ومعناها أن يوقفهم لملازمة المدينة وعدم التحول منها.

وكلمة التعرب التي أوردها ابن خلدون في نصه تقودنا إلى تحقيق الكلمة، فالنصوص التاريخية كلها تشير إلى أن كلمة (عربي) لم تستعمل في الشعر العربي أو الآثار السابقة للإسلام، وأن القرآن الكريم هو الذي أبرز هذه الكلمة، وأن الإسلام هو الذي أعطاهما دلالتها الحقيقية، إذ أقام وحدة الأمة وكانت العرب قبله قبائل متفرقة لا يجمعها رابط. وكان التعصب العربي أو البدوي والالتزام بالقضايا المصيرية أول عناصر العروبة أو البداوة وركائزها في العصر الجاهلي، فقد كانت القبيلة هي الأساس الذي بنى عليه العرب أو البدو نظامهم الاجتماعي؛ (وكان انتساب العربي إلى قبيلته بمثابة هوية شخصية له وهم يرون أن الانتساب ما نراه نحن اليوم في الانتساب إلى الوطن).^٢

ومن الأمثلة على سمو القبيلة العربية على ما سواها وتضحية العربي أو البدوي في سبيل أبناء قومه ما رأيناه في شعر المقنع الكندي في قوله:^٣
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

^١ - البخاري، -الجامع المسند الصحيح المختصر- ج٢-ص٨١

^٢ - عزام، محمد الالتزام في الشعر العربي دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٩م.ص٣٥

^٣ - القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان الأمالي -وضعها ورتبها:

محمد عبد الجواد الأصمعي- دار الكتب المصرية- ط٢، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م. ج١-ص٢٨١

وقد كانت العصبية القبلية ضرورة لا غنى عنها للحفاظ على بقاء القبيلة واستمرار
كيانها.

قيمهم الجاهلية:

كان العرب في جاهليتهم عدا سكان المدن بدواً يضربون في الصحارى والقفار.
وطور البداوة هذا ميزهم وخصهم بحالات اجتماعية وأخلاقية ومزايا خاصة بهم عرفوا بها
على مر الأيام. فالبدوي بسكنه الصحارى المقفرة المحفوفة بالأخطار والمشاق، وبعده عن
المدن ونبذ الدور والأسوار، وتفضيله لبيوت الشعر عليها وطبيعة الصحراء القاسية، ولد
وفيه مزايا وخصال امتاز بها عن الحضرة سكان المدن. منها الشجاعة والعصبية والكرم
والوفاء والصدق والأنفة والنجدة.

والحسين بن مطير شاعر من شعراء بوادي الكوفة نجده يردد في شعره هذه
المعاني، إذ يقول في مدحه للخليفة المهدي بالكرم:^١

أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود

فهو يمتدح كرمه الذي يمثل كرم سادة القوم وهو غاية الكرم. كما يفتخر الجاهليون بصفة
الكرم الذي يعتبر من أسباب السيادة والزعامة والمجد، مثل قول حاتم الطائي:^٢

يقولون لي أهلك مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيديا

يقول الحسين بن مطير:^٣

رأت رجلاً أو دى بوافر لحمه طلاب المعالي واكتساب المكارم

خفيف الحشا ضرباً كأن ثيابه على قاطع من جوهر الهند صارم

فقلت لها لا تعجبين فإنني أرى سمن الفتيان إحدى المشاتم

^١ - الحسين بن مطير - شعره - تحقيق د. حسين عطوان - مجلة معهد المخطوطات العربية ج ١ - القاهرة

١٩٦٩م. ص ١٥٥

^٢ - حاتم الطائي، الديوان - دار صادر - بيروت - ١٩٦٣م. ص ٤٣

^٣ - ابن مطير - الديوان - ص ١٨٧

والأبيات على ما فيها من مبالغة، فإنها تصور صفة الكرم، وكيف أن الشاعر
يحبذ ما به من ضعف وهزال، ويكره أن يكون سمين الجسم، طلباً للمعالي واكتساب
المكارم، وقد سبقه في هذا المعنى عروة بن الورد في قوله:^١

أقسم جسمي في جـسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

حضت ظروف الحياة القاسية الجاهليين على التمسك بالقيم الأخلاقية العالية
والاقتداء بمن نادوا بها ومثلوها، في تلك الحقبة ذات الطبيعة البدوية الخالصة، حيث
المنازعات والحروب والعصبية وشظف العيش وقسوة الطبيعة، مما جعلهم يتغنون
بالشجاعة والدفاع عن الحمى، ومجد شعراؤهم الشجاعة والقوة أمثال لبيد وعترة وغيرهم.
وقد تفنن هؤلاء الشعراء في وصف أهوال الحرب وشجاعتهم يقول عنترة:^٢

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتزامرون كررت غير مذم

يدعون عنترة والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

ولقد شفي نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنترة أقدم

يقول لبيد مفتخراً بقومه:^٣

وهم الساعة إذا العشيرة أفضعت وهم فوراسها وهم حكامها

ومن الشعراء البدو العباسيين من تغنى أيضا بالشجاعة، وكما أنصف الجاهليون أعداءهم
في وصف الحرب عند كليهما فيما سمي (بالممنصات)؛ فهذا البطين البجلي يقول:^٤

رمينا خمسة ورموا نعيما وكان الموت للفتيان زينا

فلما لم ندع ندبا ورمحا بركننا للكلاكل فارتمينا

^١ - عروة بن الورد-الديوان-دار صادر -بيروت ١٩٨٢-ص ٢٩

^٢ - عنترة بن شداد-الديوان -تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-
١٩٨٣ م. -ص ٢١٦

^٣ - لبيد العامري- الديوان-دار الكتاب العربي بيروت-شرح الطوفي- تحقيق حنا نصر الحتي-٢٠١٢م.ص ٢٤١

^٤ -الروضان، عبد عون-موسوعة شعراء العصر العباسي-ج ١-دار أسامة للنشر-عمان-الرين-د.ت-ص ٩١

نرى أنه انتهج نهج المنصفات كما في قول شاعرهم:^١

فلما لم ندع قوسا وسهما مشينا شطرهم ومشوا إلينا
فلما أن توافقنا قليلا انخنا للكلاكل فارتميننا

وكان البدو الجاهليون يحرصون على المثل العالية والخصال النبيلة، ويفخرون بأدائها والوفاء بحقها، فحرصوا على جارهم حرصهم على شرفهم، وقد سئل إعرابي بدوي عن مبلغ حفاظ قومه فقال:^٢ (يدافع الرجل منا عن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه).

وتغنى الشعراء بمروءاتهم العربية البدوية التي تتجلى في نجدة المستغيث والوقوف بجانب البدوي وقت الشدة؛ يقول بشامة مفتخراً:^٣

إنني لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماة ألا أين المحامونا
إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا
إننا لنرخص يوم الروع أنفسنا ولو نسام بها في الأمن أغلينا

ومن المعاني التي تعبر عن الوفاء وحماية القبيلة قول ابن مطير:^٤

وليس فتى الفتیان من راح واغتدى لشرب صبوح أو لشرب غبوق
ولكن فتى الفتیان من راح واغتدى لضر عدو أو لنفع صديق

^١ - ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحسني العلوي - عيار الشعر - تحقيق عبد العزيز بن

ناصر المانع - مكتبة الخانجي - القاهرة د.ت - ج ١ - ص ١٠٢

^٢ - الحوفي، أحمد محمد - المرأة في الشعر الجاهلي، ط نهضة مصر، ١٩٥٤ م. ص ٤٦٣

^٣ - التبريزي، يحيى بن علي الشيباني - شرح ديوان الحماسة - دار القلم بيروت - د.ت. ص ٢٥

^٤ - ابن مطير - الديوان - ص ١٧٧

وقد افتخر البدو الجاهليون بخصال الخير معترزين بنسبتها إليهم، كالغفو عند المقدرة،
والحلم والتسامح، ولكنهم مع ذلك يابون الضيم ويأنفون الذل والهوان، ومنه قول المتمس
الضبعي:^١

إن الهوان حمار الأهل يعرفه وألحر ينكره والرسلة الأجد
ولا يقيم على ضيم يُراد به إلا الأذلان عيرُ الحي والوتد

وقول الشنفرى في لاميته:^٢

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل
واستف ترب الأرض كي يرى له على من الطول أمرؤ متطول

كذلك افتخر البدو العباسيون بالمقدرة على الغفو والتسامح، ووصفوا صفة الحلم ورزانة
العقول بالجمال في وزنها كما في قول ابن هرمة:^٣

ولو وزنت رضوى ببعض حلومهم لثالت ولو زیدت عليه تضارعه

وقد سبقه كعب بن زهير الى هذا المعنى في مدح الأنصار:^٤

تزن الجبال رزانة أحلامهم وأكفهم خلف من الأمطار

والعفة وحماية الجار من الأخلاق الرفيعة التي عرفها العرب في جاهليتهم، وظلت ملازمة
للشعر في عصوره المختلفة، ومن ذلك قول عنتره:^١

١ - المتمس الضبعي-الديوان-معهد الخطوط العربية- القاهرة ١٩٧٠م.ص١٢

٢ - الشنفرى-الديوان-جمع وتحقيق وشرح الدكتور:إيميل بديع يعقوب-دار الكتاب العربي -بيروت١٩٩٦م.ص٤٨

٣ -ابن هرمة- شعر شعر ابراهيم بن هرمة-تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان-مطبوعات مجمع اللغة
العربية -دمشق-د.ت. ص-١٤١.

٤ -كعب بن زهير-الديوان -تحقيق عمر فاروق الطباع -دار الارقم بن ابي الارقم للطباعة-بيروت-د.ت-ص٣٣

أغض طرفي ما بدت لي جارتني حتى يوارى جارتني مأواها

ويقول لبيد في الفخر بقومه في حماية الجار:^٢

وهم ربيع للمجاور فيهم والمرمات إذا تطاول عامها

فالعفة أساسها الغيرة على العرض، وقد حرص العربي على الافتخار بهذه الفضيلة في العصر العباسي الأول، على ما فيه من لهو ومجون وخلاعة، وشيوع الحانات والديارات وغيرها؛ نجد العفة في الشعر تمثل مكاناً مرموقاً يقول ابن هرمة:^٣

واني إذا الجار لم تحفظ محارمه ولم يقل دونه هيد ولا هاد

لا أخذل الجار بل أحمي مباعته وليس جاري كعش بين أعواد

ولم تكن هذه الفضائل والمميزات قصراً على فئة من المجتمع البدوي الجاهلي دون فئة، فقد شككت طابع التوحد بينهم مما دل على أنهم رسخوا لتقاليد بدوية عربية لا تؤثر فيها الحضارات.

وقد سعى الإسلام لينقل الناس جميعاً إلى كثير من الفضائل والأخلاق الحسنة، وعبر عن ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله:^٤ (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وهكذا حث الإسلام على كثير من الفضائل وجميل الأخلاق التي سادت شبه الجزيرة العربية وجعلها أساساً لنجاحهم في أداء الرسالة. وهذب البداوة، ونفى عنها العصبية القبلية وأبقى مروعتها وأخلاقها الفاضلة. وفي العصر الأموي ازدادت الخصومات القبلية والعصبية، وتعددت الفرق السياسية والدينية. ويرى شوقي ضيف:^٥ (إن الشعر الذي وجد في العراق لعصر بني أمية، إما شعر سياسي، وهو الذي كان يقال في الخصومة السياسية، ولما شعر قبلي، وهو الذي كان يقال في الخصومة القبلية).

١ - عنتره - الديوان - ص ٣٠٣

٢ - لبيد - الديوان - ص ٢٤١

٣ - ابن هرمة - الديوان - ص ١٠٤

٤ - ابن حنبل محمد، المسند، حديث رقم ٨٥٩٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ج ١٣٩٨، ص ٢٠٥، ص ٣١٨

٥ - شوقي ضيف - التطور والتجديد في الشعر الأموي - القاهرة: دار المعارف ١٩٥٩ م. ص ٤١

وقد امتدت هذه العصبية القبلية التي اتسم بها العرب البدو خاصة الى العصر العباسي الذي شهد وصول عناصر غير عربية إلى كرسي القيادة والحكم، مما أوجع الصراع بين العرب والشعوبيين. وارتفعت بعض الأصوات التي كشفت عن حقدتها الدفين على العرب والإسلام وتناولت على العرب وأمجادهم الطارفة. يقول بشار مفتخراً بأصله الفارسي:^١

سأخبر فاخر الأعراب عني وعنه حين بارز للفخار

أنا ابن الأكرمين أباً وأماً تتازعني المرابز من طخار

وأبو نواس الذي لمع نجمه في سماء الشعوبية نابذاً العرب وأصولهم البدوية ونمط شعرهم القديم اذ يقول:^٢

دع الأطلال تسفيتها الجنوب وتبلي عهد جدتها الخطوب

إلى أن يقول:

فأين البدو من إيوان كسرى وأين من الميادين الزروب

هو نفسه الذي يبكي الربع ويعتذر له نافياً عن نفسه الخيانة له أو نسيانه في

قوله:^٣

أربع البلى إن الخشوع لباد عليك وإني لم أخنك ودادي
فمعدرة مني إليك بأن ترى رهينة أرواح وصبوب غوادي

^١ - بشار بن برد - الديوان - شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور. لجنة التأليف والترجمة-القاهرة-ط٢-١٩٦٧م. ج٣-

ص٢٢٩

^٢ - أبو نواس، الديوان-تحقيق. أحمد عبد المجيد الغزالي بيروت: دار الكتاب العربي١٩٨٢م.ص١١

^٣ - المصدر السابق نفسخ-ص٤٧١

وكان في مواجهة هذا المد الشعبي بعض الخلفاء، كما تصدى له العلماء والأدباء

والشعراء. يقول المتنبي في أصدق تعبير عن مشاعره العربية البدوية الأصيلة:^١

نحن أبناء العرب أعربُ الناس لساناً وأنضر الناس عوداً

وكان الإله قال لنا في الحرب كونوا حجارة وحديداً

وهكذا نمت في العصر العباسي بذور الشعور العربي البدوي في وقت ضاعت فيه

القيم العربية وانحسرت ظلال الفضيلة. ويرى أبو الطيب المتنبي أن العرب لن يفلحوا

وأمرهم في يد الغرياء الأجانب يقول:^٢

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهد لهم ولا نيم

بكل أرض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم

وهو كما نرى شاعر سرت فيه روح البداوة العربية وامتألت جوانحه بمعاني

الأخلاق البدوية الأصيلة واتسم بسماتها من قوة وصبر وجرأة وحزم وعزة وإباء فقال

مفتخراً:^٣

الخيال والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

^١ - المتنبي، أبو الطيب-ديوانه، شرح عبد الرحمن البرقوي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ج٢، ١٩٨٦م.ص٩٣

^٢ -المصدر السابق نفسه-ص٦٣

^٣ - السابق نفسه والصفحة نفسها.

ويقول مخبراً بأن رأس الأمر الإباء والعيش الكريم:^١

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

وقد سبقه عنتره بن شداد في قوله:^٢

لا تسقي ماء الحياة بذلة بل فاسقي بالعز كأس الحنظل

فتلك هي البادية وبيئتها، ذات الأفق الطلق وساحة البادية وفضائلها ومميزاتها بكرمها وغيرتها على العرض وحماية الزمار والجوار وعزة نفس أهلها وسمو نفوسهم. ولا يخفى علينا تعلق كثير من الشعراء بالبادية وصفات أهلها ومدحهم بتلك الصفات المحببة إلى نفس كل من اتسم فكره بالثقافة العربية فأبو العلاء المعري يشير إلى عز أهل البادية في قوله:^٣

الموقنون بنجد نأربادية
إذا هوى القطر شبتها عيهم
لا يحضرون وفقد العز في الحضر
تحت الغائم للسايرين بالقطر

^١ - المتنبي، أبو الطيب-ديوانه، ص ٨٣

^٢ - عنتره-الديوان ص ٨٢

^٣ -الدميري، كمال الدين- شرح لامية العجم- تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، ٢٠٠٨م. ص ٧٠

من مظاهر الطبيعة في شعرهم

وصف الحيوان:

عرفت البيئة الصحراوية العربية أنواعاً كثيرة من الحيوانات والطيور، نجدها في أشعارهم، فقاموا بوصفها وبيان أحوالها وظروفها وعاداتها والتأمل في حركاتها وصراعاها مع من حولها من أجل الحفاظ على نفسها في ظل الظروف المحيطة ببيئتها الصحراوية. والبدوي يعتمد على الناقة في كل سبل حياته اعتماداً حتى للترويح عن نفسه وسعادتها، وكان هذا من أسباب الحرب التي دارت بين عبس وذيبيان وعرفت بحرب داحس والغبراء وقد أشار إليها زهير بن أبي سلمى في معلقته. وكذلك من الحيوانات الفرس وقد اهتم به البدوي وذكره الشعراء في معظم قصائدهم، وجاء ذكر الحمامة والظبي والليث والغراب والثور الوحشي والصقر والنعام... الخ.

فكما يصف امرؤ القيس الفرس:^١

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

يصف ابن ميادة الظباء:^٢

جرى بانبتات الحبل من أم جحدر ظباء وطيير بالفراق نُعوبُ

نظرت فلم اعتف وعافت فبينت لها الطير قبلي واللييب لبيب*

وهو يذكر الظباء والطيور ويوضح من خلال عباراته بعض المعتقدات التي كانت في بيئتهم من التفاؤل بأسماء الطيور وأصواتها وغير ذلك.

^١ - امرؤ القيس-الديوان -تحقيق حسن السندوبي-دار الكتب العلمية-بيروت-ط٥-٢٠٠٤م.ص١١٩

^٢ - ابن ميادة، شعره- جمعه د. حنا الجمل، - ط١، مجمع اللغة العربية دمشق، ١٩٨٢.ص٦٩

*أعتاف: من العيافة وهي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها.

وصف النبات:

وهناك من النباتات ما يتحمل البيئة الصحراوية الجافة شدة حرارة وبرودة وقلة مياه، فنبت طول العام، وبعضها ينبت بعد هطول الأمطار، وقد وردت أسماء كثيرة من الأشجار والنباتات وأصنافها في الشعر العربي في ثنايا القصائد وهي تعبّر عن البيئة والمكان بمدلولاتها من صفات للممدوحين وذكريات للأحبة، وأحياناً في الفخر وصفات القوة والشدة. فذكروا من الأشجار النخلة ونبات الحنظل والأقحوان وهو نبات طيب الرائحة والعرفج وهو نبات له زهر أصفر ورائحة طيبة تأكله الإبل. والخمخم كذلك هو نبات صحراوي تأكله الإبل. قال عنتر بن شداد:^١

مَا رَاعَنِي إِلَّا حُمُولَةَ أَهْلِهَا وَسُطَّ النَّيَّارِ تَسْفَ حَبِّ الْخَمَخَمِ*

ومن مدلولات استخدامه لنبات الحنظل:^٢

أَتَيْتِي عَلَىٰ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي سَمِحٌ مَخَالِقَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ

فَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِن ظَلَمِي بِاسِلٌ مَرَّ مَذَاقَتَهُ كَطَعْمِ الْعَلْقَمِ*

وهم يصفون النبات منذ جاهليتهم، وتختلف مذاهبهم في ذلك، ففي شعر الأعشى كثير من النبات والأزهار، وله في معلقته أبيات يصف فيها روضة معشبة أصابها مطر فانبعثت روائحها الطيبة، فوصف بها الأعشى محبوبته:^٣

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَا ضِ الْحَزَنِ مُعْشَبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهِ أَسْبَلٌ هَطْلٌ

^١ - عنتر-الديوان-ص ١٨٩

^٢ - الأنباري، شرح القصائد السبع، ابن دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م. ص ٢٠٤

^٣ - التبريزي، يحيى بن علي الشيباني - شرح القصائد العشر - الناشر: عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية عام النشر: ١٣٥٢ هـ. ٢٩٢

* راعني: أفرعني - الحمولة الإبل التي تحمل عليها.

يُذَاكُ الشَّمْسَ مِنْهُ أَا كُوكَبُ شَرِقُ مَ عَزَّرَ بِعَمِيمِ النَّبَاتِ مُكْتَهِلُ
يَوْمًا بِطَيْبٍ مِنْهُ أَا شَرَرَاءِحَةَ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهُ أَا إِذِنَّا الْأُصْلُ

ويقول ابن هرمة في مشهد للظعن، وقد ذكر نبات الخمر في صورة تشبيهية:^١

ظعن الخليلت بلبك المتقسم ورموك عن قوس الجبال باسهم
سلكوا على صفر كأن حمولهم بالرضمتين ذرى سفين عوم
وكانما اشتملت مواقي عينه يوم الفراق على يبيس الخمخ

ويقول ابن ميادة:^٢

وما روضة خضراء يضربها الندى بها قنة من حنوة وعرار
بأطيب من ريح القرنفل ساطعاً بما التف من درع لها وخمار

فالشاعران ذكرا من النباتات الخمخ وحنوة وعرار.

أما ابن المطير فقد ذكر الأحقوان:^٣

كل يوم بأحقوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة في الفضاء

فذكر الشاعر من نبات الربيع الأحقوان، ويقال انه له لون أبيض، فشخص الأرض كأنها فتاة تضحك والسماء تبكي، دلالة على نزول المطر، وأبدع في الوصف والتشبيه بالذهب والدر، حيثما ذهبوا وداروا، وكذلك في صفاء السماء، وتشبيهه بالفضة.

^١ - ابن هرمة - شعره - ص ١٩٩

^٢ - ابن ميادة - شعره - ص ١٤٦-١٤٧

^٣ - ابن المطير - شعره - ص ١٣٧

* العلقم: نبات الحنظل المعروف بطعمه المر.

وصف الليل في الصحراء:

ترتبط الصحراء بكثير من المفردات والليل واحد منها. ففي تلك البيئة له جمال يجعل المتأمل في الكون يسبح لله وعظمته. وقد وصف به الشعراء ممدوحهم ووصفوا به حروبهم وغبارها بجامع الظلام في كلِّ.

يقول النابغة في صفة الاتساع وقوة السلطان في مدح النعمان:^١

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأ عنك واسعٌ

ويقول بشار وفي وصف الجيش:^٢

وجيش كجناح الليل يزحف بالحصى وبالشوك والخطي حمر ثعالبه

فهذا التشبيه من بيئة الشاعر يوضح مفهوم الليل ومدلولاته من كثافة الظلام وسواده وتهيبه.

والليل فيه الهدوء والجمال بنجومه اللامعة وقمره الفضي المنير، وظلامه بما فيه من سحر وغموض، ففيه ترويح للنفس من عناء السفر لمن أضناهم السعي نهاراً، وهو همس السائلين المحبين الذين اشتكوا طولهم، وهو جمال لمن يريدون مناجاة الحق عز وجلّ يقول تعالى (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا نَكَ تَقْوِيرُ الْغَيْزِ الْعَلِيمِ) (الأنعام: ٩٦) وهو غطاء للذين يخفون شرورهم فيه.

والليل عند امرئ القيس يشبه البحر في وحشة أمواجه إذ يقول:^٣

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلابه وأردف أعجاز وناء بكاكل

^١ - النابغة الذبياني - الديوان - شرح وتقديم عباس عبد الستار - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ ٩٨٦ م - ص ١٧٦

^٢ - بشار - الديوان - ٣١٨

^٣ - امرؤ القيس - الديوان - ص ١١٧

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ومن العباسيين من وصف الليل كبشار بن برد اذ يقول:^١

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكبه*

فالشاعر يستخدم تشبيه التمثيل ليصور لنا أحداث المعركة من البيئة المحيطة به وهي الليل والنجوم، وتتضح سعة خيال الشاعر في هذا التصوير مع انه أعمى.

والليل بهدوئه وسكونه نجده باعث للتأمل والتفكير والصمت والسفر بالأنواء. وكل ذلك يولد في نفس البدوي الانطلاق في التعبير والخيال الواسع والبوح بما في السرائر.

يقول أبو فراس:^٢

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوي وأذلت دمعاً من خلائقه الكبر

ويقول ابن ميادة في وصف الليل والبرق:^٣

أرقت لبرق لا يفتر لامعه بشهب الرى والليل قد نام هاجعه
أرقت له من بعد ما نام صحبتي وأعجبني إيماضه وتتابعه

فهو يصف تلك الليلة بشهبها التي لا يضعف نورها ولا يخبو، وكذلك لمعان البرق فيها، مما أعجب الشاعر، وجعله مسهداً يترقب المشهد.

^١ -بشار-الديوان-ص٢١

^٢ -أبو فراس، الديوان رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.ص١٥٧

^٣ -ابن ميادة-شعره-ص١٦٧

*مثار النقع: غبار المعركة.

ويقول ابن هرمة في وصف الليل:^١

وقد لاح للساري الذي كحل السرى على أخريات الليل فتق مشهر
كلون الحصان الأنيط البطن قاتماً تمايل عنه الجل واللون أشقر
فهو يصور الليل في أخرياته مع انفلاق الصبح، كأنه فرس أبيض البطن والصدر،
والفرس أشقر، وكلها صور من بيئته المحيطة به، يقول:^٢
وليل كسريال الغراب ادرعتة اليك كما خت اليمامة أجدل

فشبه الليل بريش الغراب، وأنه دخل في ظلمته (ادرعتة)، فتصوير الليل عند شعراء
الجاهلية والعصر العباسي تكررت فيه مثل هذه التشبيهات، الفرس، الناقة، سريال الغراب،
ارخى سدوله، فكلها معاني بدوية مشتركة بينهم.
وصف النجوم:

اهتم العرب بالنجوم اهتماماً بالغاً لأنها الهادي الوحيد ليلاً في الصحراء. يقول الله
تعالى: (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَبْتَئُونَ) (النحل: ١٦). ونجد البدوي ينظر إلى الشمس فيعبر عنها
بصفات الرفعة والسمو والقوة والخير، ولها خاصية مميزة في الصحراء من ظهور وحرارة
ووقاية من البرد.

يقول مروان بن أبي حفصة في مدح معن بن زائد:^٣
ويوم عسول الآل حام كأنما لظى شمسه مشبوب نار تلهب*
نصبنا له منا الوجوه كأنها عصائب اسمال بها تتعصب
الشاعر هنا يصف لنا عناء الطريق، وحر الشمس، حتى وصلوا إلى معن ابن
زائدة في صنعاء.

^١ -ابن هرمة-شعره-١٢٣

^٢ -المصدر السابق-ص ١٦٦

^٣ -مروان بن ابي حفصة- الديوان -دار الكتاب العربي. ط ١. ١٩٩٣م. ص ٢٧

* عسول: مضرب، الآل: السراب، مشبوب: مشعر.

وعندما أراد النابغة إسباغ النعمة على النعمان جعله شمساً والملوك كواكب تختفي
بظهوره قال:^١

فإنك شمس والنجوم كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ويقول مروان بن أبي حفصة في مدح الفضل بين يحيي:^٢
ما الفضل إلا شهاب لا أفول له عند الحروب إذا ما تأفل الشهب

وابن هرمة ذكر هذه النجوم بأسمائها المختلفة، وصورها بتشبيهات من بيئته البدوية إذ
يقول:^٣

وبنات نعش بيتدرن كأنها بقرات رمل خلفهن جآذر
والفرقدين كصاحبين تعاقدا تالله تبرح أو نزوك عتائر
والجدي كالرجل الذي ما إن له عضد وليس له حليف ناصر
وتزاور العيوق عن مجدافه كالثور يضرب حين عاف الباقر
وترفع النسران هذا باسط يهوى لسقطته وهذا كاسر
والنطح يلمع والبطين كأنه كبش يطرده لحتف ثائر

فكل أسماء النجوم التي ذكرها الشاعر (بنات نعش، الفرقدين، الجدي، العيوق،
النسران، النطح والبطين) أسماء جاهلية مستمدة من بيئته البدوية، وصورها تصويراً دقيقاً
لمشابهتها من بيئته، شبهها بالثور والكبش والرمل.

^١ -ابن المعتز -طبقات الشعراء-ج١-ص٨٧

^٢ - مروان -الديوان-ص٢٥

^٣ -ابن هرمة-شعره-ص١١٩

وصف المطر والبرق والرياح:

كان البدوي في الصحراء يبحث عن الماء والكأ، فالبئر عنده لها أهميتها فهي تجلب سقيه. وإذا ما رأى إنساناً نباتاً أخضر في أرض قاحلة تنهل أساريه لوجود الحياة في ذلك المكان. فهطول المطر يحمل البشرى لهم بالزراعة والحياة، كذلك جاء ذكرها كثيراً في أشعارهم وما يترتب عليه من خير وبركة ووصفوا بمدوحهم بها في كرمهم. يقول مروان أبي حفصة في المدح:^١

قَدَ فَاضَ عُرْفِكَ حَتَّى مَا يُعَادِلُهُ غَيْثٌ مُغِيثٌ وَلَا بَحْرٌ لَهُ حَبَبٌ

هنا يشبه بمدوحه بالمطر والبحر لأنهما مصدر خير ورزق، ويذكر أن كرمه بمدوحه فاق عطاء المطر والبحر الهائج، ويتضح المبالغة في الوصف.

يقول تعالى (وَهُوَ الَّذِي يُسِلُّ الْرِّيَّاحَ بُشْرًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّاهُ لِيلِدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِعَلَّكُمْ تَتَنَكَّرُونَ) (الأعراف: ٥٧).

إذا أجدبت جاعوا ومرضوا ونهبوا، وقد تتبع الشعراء المطر، فوصفوا رعدا وبرقها وسحابها الثقيل منها والخفيف ورياحها الشديدة:^٢

والشاعر البدوي الجاهلي أيضاً يقرن الممدوح بالمطر في العطاء يقول زهير:^٣

فاستمطروا الخير من كفيه أنهما بسببه يتروى منهما البعد

أما البرق فهو أحد مظاهر الخريف، ويظهر في هذا الفصل الذي يرقبه الناس، وقد أخذ الشعراء وصوروه وذكره كثيراً في أشعارهم معبرين به عن البهاء والحسن والسرعة.

^١ - مروان - الديوان - ص ٢٧

^٢ - سويلم، د. أنور - المطر في الشعر الجاهلي، عجمان، دار الجيل، ط ١، ١٩٨٧م - ص ٦

^٣ - زهير، الديوان: شرح الأستاذ على حسن قاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م - ص ٤٣

ويقول مروان بن أبي حفصة في المدح:^١
ما يلمع البرق إلا حنّ مغترب كأنه من دواعي شوقه وصب
فكأن البرق يوقظ ذاكرته فيتوق بحرارة إلى حبيبته البعيدة عنه.

ويقول الأعشى:^٢
يا من يرى عارضا قد بت أرقبه كأنما البرق في حافاته الشعل
وهنا يصور الشاعر البرق والسحاب وكأن السحاب يمثل مشاعلاً من النار أو
الضوء، وتوضح هذه الصورة وميض البرق الذي هو نتيجة تلامس السحاب.

والرياح تناولها الشعراء الجاهليون بجمالها وزمانها، وأشاروا إلى قساوتها وبرودتها.
يقول في ذلك شاعر المنصفات المفضل النكري:^٣
كأن النبل بينهم جراد كفيته شامية خريق

وهنا يشبه كثافة النبال بين الجيشين بالجراد الذي تصده تلك الرياح القوية الباردة
الآتية من منطقة الشام. واقترن ذكر الرياح كثيراً بتخريب الأطلال ودمارها أو أنها تحمل
عقب الحبيبة ولحساسها.

الرياح أحد عوامل هطول الأمطار في الصحراء وهي تسوق السحاب، وجاء في
القرآن الكريم (وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِحَ لَدَاغٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ) (الحجر: ٢٢).

ومن شعر العباسيين في ذكر الرياح قول ابن ميادة في المدح:^٤

ما هاج قلبك من معارف دمنة بالبرق بين أصالف وفدافد

^١ - مروان - الديوان - ص ٢٨

^٢ - الأعشى الكبير، الديوان شرح د. أحمد محمد حسن، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢. ص ٢٥١

^٣ - الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصم - الأصمعيات - تحقيق: أحمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون - دار المعارف - مصر - ط ٧ ١٩٩٣م - ص ٢٠١.

^٤ - ابن ميادة - شعره - ص ١١١

بيت بها هُجُوج الرياح فأصبحت تقراً تعذر غير أورق هامد
تجلو بأخضر من فروع أراكه حسن المنصب كالفضيض البارد
إن المدينة أصبحت معمورة بمتوج حلو الشمائل ماجد
كالغيث من عرض الفرات تها فتت سبل إليه بصادر أو وارد

نجد الشاعر في مقدمته الطللية، يذكر أثر الرياح على تلك الديار التي أصبحت صحراء ليس فيها من الخضرة والنضارة شيء، ثم ينتقل بعد ذلك للغرض من الأبيات وهو المدح، فيشبه بمدوحه بالمطر في عطائه وأن المدينة معمورة بعطاء ومدوحه.

ومما سبق يتضح أثر البداوة في شعر العباسيين البدو الذي انعكس في تأثرهم بالطبيعة ومظاهرها ومدلولاتها في تشبيهاتهم. وفي لغتهم الشعرية، كما يتضح تمسكهم بالنهج القديم في مقدماتهم الطللية، ووصف الراحلة.

ومما تقدم نخلص إلى أن البادية ارتبطت بالحاضرة ارتباطاً وثيقاً، إذ لا تذكر البادية إلا ومعها الحاضرة، وهي تمد الحاضرة بفيض من العلماء والأدباء، وهي الأصل في الحفاظ على الموروث. كما أن البدوي يتصف بقيم أخلاقية رفيعة وهو دائماً فخور بنفسه وعشيرته. والشعراء البدو صمدوا وحافظوا على اللغة والنهج القديم أمام المفاهيم الجديدة لحياة العصر وقوة تيار التجديد وشعرائه الذين لم تخل أشعارهم من سمات البداوة. وقد تأثروا بالشعراء الجاهليين تأثيراً كبيراً، وبالصحراء التي تمثل البيئة البدوية خير تمثيل بما فيها من قسوة وجمال.

المبحث الثالث

نهج الأقدمين في شعر العباسيين

يستمد الشعر موضوعاته من المجتمع والبيئة التي يعيشها، ولا شك أن لكل بيئة مظاهر حياتها ولكل مجتمع أسلوبه ونظم تقاليده، ولكل عصر تأثيره في حياة الناس وعاداتهم، لهذا نجد أغراض الشعر تتنوع بتنوع البيئة، وتتطور بتطور المجتمع.

وفي العصر العباسي تنوعت مشاهد الحضارة وتعددت ألوان الثقافة، واتجهت أغراض الشعر وجهة جديدة، واتخذت طابعاً يلائم ما يوحى به العصر من موضوعات. فهناك أغراض قديمة أصبحت لا تلائم أذواقهم، وأغراض جديدة لم تكن معروفة قبل هذا العصر. إلا أن الاتجاه القديم في الشعر كان قوياً، وقد حافظ على طريقة القدماء في نظم الشعر، ومن أهم أسباب بقائه: تشجيع علماء اللغة له وعدم اعترافهم بما سواه. وكذلك الرغبة في المحافظة على اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. وتشجيع الخلفاء له وتخصيص الجوائز الكبرى لهذا النوع. وقد خضع له أغلب الشعراء خاصة في المدح، اقتصار نظم الشعراء البدو عليه.

والاتجاه القديم في الشعر حافظ على بقاء الأغراض الشعرية التقليدية القديمة بشكلها الفني المتوارث، وحاول التمثل بمعانيها ومضامينها التي أخرجتها تصوراتهم لبيئتهم البدوية وحياتهم فيها، فحين حاولوا النظم، لمحو لوحات شعرية لا سبيل إلى أغفاله أو الإضراب عنها، يدفعهم ميلهم وحبهم لكل ما هو جميل ورائع.

ونحن بصدد الوقوف على تلك الأغراض القديمة التي نهج فيها العباسيون من بدو ومحافظين نهج الشعراء القدامى من الجاهليين، بل وحتى دعاة التجديد أمثال أبو نواس وبيشار بن برد ومسلم وغيرهم، وسنتناول نماذج من أشعار القدماء الذين اقتفوا أثرهم ونهجوا نهجهم.

الوصف:

الوصف لغة هو: الكشف، والإظهار. ويقال وصف الثوب الجسم إذا لم يستره. وهو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات. والشعر كله راجع إلي باب الوصف ألا أقله. وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع.^١ ويمكن القول بأن الوصف أصل تتشعب منه فنون الشعر المختلفة، يقول قدامة:^٢ (أغراض الشعر إما إن يكون موضوعها الإنسان الممدوح أو المهجو، أو المرثي أو الموصوف أو المتغزل فيه، ولما أن يكون الشيء الموصوف ذاته، فإذا استثنينا الوصف، وهو موضوع مشترك بين الشعراء، فن الأغراض الأربعة ليست إلا منحا للصفات، أو سلباً لها، فالمدح يتطلب صفات ايجابية تسلب في الهجاء وتحول إلي المعني في حال الرثاء، وتحور قاعدتها الأصلية في الحديث عن النساء). إن فكل غرض من الأغراض هو وصف سلباً كان أو إيجاباً، وهو من الفنون البارزة التي برع فيها الشعراء الجاهليون، فقد نظروا في الطبيعة الصحراوية؛ ودققوا النظر، ووصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم. ووصفوا الطبيعة ممثلة في حيوانها، ورياضها، ونباتها، وديارها، وأطلالها. وتأملوا في أمطارها وسحبها وبرقها ونورها وظلامها، وقد اعتنوا بكل مشاهد البيئة ولم يتركوا شيئاً إلا سجلوه في شعرهم.

وجاء الوصف في الشعر غرضاً أساساً من أغراض النظم في العصر العباسي، فأبو نواس له قصائد مقصورة علي وصف الصيد سميت بالطرديات، وقصائد في وصف الخمر سميت بالخمريات، كذلك المعري له قصائد في وصف الدرع سميت بالدرعيات. فكان من البدهي أن يأتي الوصف في قصائد البدو والمحافظين علي عمود الشعر في العصر العباسي. ويعتبر التشبيه من بين فنون البلاغة أكبر معين للشعراء في الوصف. فموضوع الوصف في الشعر العباسي ظل يجاري مواضيع الوصف القديم في بعض نواحيه، كوصف الإبل، والذئب، والطير، والبقر الوحشي. وذلك لأن للحيوان أثراً كبيراً في حياة الجاهليين، وهو أقرب إلى نفوسهم وعواطفهم. لذلك اعتنوا به عناية خاصة، حتى عرف بعض الشعراء بالإجادة في وصف حيوان واحد، والتدقيق في وصفه، وبرز في

^١ - ابن رشيق القيرواني العمدة، مطبعة السعادة - الطبعة الثانية، ١٩٥٥م. ج ٢، ص ٢٩٤،

^٢ - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٢٨.

وصف الخيل أمرؤ القيس، والنابعة في وصف الناقة، وطرفة بن العبد يصفها بطول العنق ويشبها بالسفينة في بعض أبيات من معلقته:^١

تلاقى وأحياناً تبين كأنها بناثق غر في قميص مقدد
وأطلع نهاض إذا صعدت به كسكان بوصي بدجلة مصعد

كذلك وصف العباسيون البدو الإبل، كوصف مروان بن أبي حفصة لحال راحلته وهي في طريقها للمدوح بعد أن كانت عاصية، أنت ممدوحه برضى لأنها مرتاحة يقول:^٢

لما أتتك وقد كانت منازعة وافى الرضا بين أيديها بأقباد
لها أحاديث في ذكراك تشغلها عن الرتوع وتنهاها عن الزاد
أمامها منك نور تستضيء به ومن رجائك في أعقابها حادي

وأبو نواس الذي تزعم تيار التجديد في الشعر؛ وصف الناقة كما في قوله:^٣

ولقد تجوب بي الفلاء إذا صام النهار وقالت الصفر
شذنية رعت الحمى فأتت ملء الحزام كأنه قصر

ونجده وصفها بالقوة والسرعة والوفاء كما يفعل القدماء من الجاهليين البدو.

ووصف الجاهليون مظاهر الطبيعة، فعبيد الأبرص يصف السحاب الذي شرع ينهمر بعد النوم. ثم انصرف إلى ذكر البرق الذي يضيء كلمحة من الصبح ويدنو من الأرض حتى يكاد أن يقبض عليه بالراح يقول:^٤

إني أرقى ولم تأرق معي صاحي لمستكفٍ بعيده النوم لواح
يا من لبرقٍ أبيت الليل أرقبه في عارضٍ كمضيء الصبح لماح
دان مسفٍ فويق الأرض هيدبه يكاد يمسكه من قام بالراح*

^١ - الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين - شرح المعلقات السبع - دار احياء التراث العربي ٢٠٠٢م. - ج ١ - ص ٩٥

^٢ - مروان - الديون - ص ٥٣

^٣ - لجنة من أدباء الأقطار العربية، فن الوصف، ط ١، دار المعارف مصر. د.ت. - ص ٥٤

^٤ - الجبوري، يحيى - الشعر الجاهلي وفنونه، دار المعارف، مصر. ص ١٣٢

*أرقت: سهرت، صاحي: مرخم، لمستكف: لسحاب مستدير كالفكة. بعيد: تصغير بعد. لواح شديد الغموض، العارض:

السحاب

وكذلك شعراء العصر العباسي وصفوا السحاب، فالشاعر البدوي الحسين بن مطير

أبدع في وصف سحابة:^١

مستضحك بلوامع مستعبر
بمدمع لم تمرها الأقداء
فله بلا حزن ولا بمسرة
ضحك يراوح بينه وبكاء
كثرت لكثرة ودقه أطبائه
فإذا تخلب فاضت الأطباء

وأبو تمام الذي يميل للتجديد في بعض شعره، نجده يقف على وصف الطبيعة في مقدمة له في المديح. صور الطير، ومشاعره وأحاسيسه في وصف طائرين يرشفتان رحيق الهوى؛ بينما هو يتعمقه الحزن، والطبيعة من حوله مكتسية بثياب الربيع المشرقة، والطواويس تومض بألوانها الزاهية قائلاً:^٢

غنى فشاقتك طائر غريد
لما ترنم والغصون تמיד
ساق على ساق دعا قمرية
فدعت تقاسمه الهوى وتصيد
إفان في ظل الغصون تألقا
والتف بينهما هوى معقود
يا طائران تمتعا هنيئما
وعما الصباح فإنني مجهود
ومضت طواويس لعراق فأشرقت
أذئاب مشرقة وهن حفود

فالشاعر يحيط بالصورة إحاطة تامة ويصف الحاضر المشاهد من خلال عواطفه وأحاسيسه من غير مبالغة ولا إسراف.

ووصف الخمر لم يبتدعه العباسيون بل نجده منذ العصر الجاهلي، فقد وصفها عمرو بن كلثوم في معلقته:^٣

ألا هبي بصحنك فاصبحنا
ولا تبقي خمور الأندينا
مشعشة كأن الحص فيها
إذا ما الماء خالطها سخينا

^١ ابن مطير - شعر - ص ١٣٤

^٢ أبو تمام ديوانه، شرح شاهين عطية - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت. ج ٢، ص ١٤٨.

^٣ - الزوزني - شرح المعلقات السبع - ج ١ - ص ٢١٥

وغيره كثير، وفي العصر العباسي كثر محبوبها، وأكثروا من وصفها في مقدمات قصائدهم، وكانت محور خصومة بين القدماء والمحدثين. وقد قاد هذا الاتجاه أبو نواس، ونادى به في شعره فقال:^١

لا يصرفك عن قصف وإصباة مجموع رأي ولا تشيت أهواء
ياشرب سلافاً كعين الديك مذهبة من كف ساقية كالريم حوراء

ويشبهون الخمر بعين الديك لشدة حمرتها، ومن ذلك قوله مسلم بن الوليد:^٢
وماء كعين الديك لا يقبل الأذى إذا دلجت فيه الصبا خلته يعلو
قصرنا به باع الشمول وقد طغت نألبسها حلماً وفي حلمه جهل

وقال يصف مفعولها في شاربها:^٣

وسلافة صهبا بنت سلافة صفراء لما تعصر التسليلا
أختان واحدة هي ابنة أختها كتاهما تدع الصحيح عليلا

فقد أحاط الشعراء البدو والمقلدون في أوصافهم بجميع ظواهر البيئة التي كانوا يعيشون فيها، فهم مهتدون ومقتدون بقدمائهم، وملتفتون إلى تراثهم آخذون منه.

فالوصف كما ذكرنا شمل جمع الأغراض الشعرية عبر العصور الأدبية المختلفة. فالشاعر يصف بيئته وما تتيحه له من وسائل وأدوات تعينه في معاشه. والنماذج الجديدة للوصف في العصر العباسي، لم تخرج عن الطريقة التقليدية في الوصف، وإنما الحداثة كانت في الموضوعات التي تناولها الشعراء بالوصف.

^١ أبو نواس، ديوانه، ص ٣٤.

^٢ مسلم بن الوليد، ديوانه، شرح سامي الدهان-دار المعارف-مصر-د.ت. ص ٣٩.

^٣ المرجع السابق، ص ٥٦.

الغزل

فن الغزل من أهم الفنون، وأبرز الموضوعات، وأعلقها بالقلب، وأقربها إلى طبيعة الإنسان، فقد لقي عناية كبيرة من الشعراء وسجلوا فيه عواطفهم وخواطرهم، تناولوا المرأة، وذكروا محاسنها وصفاتها، وما يفعله الشوق والحنين في نفس الشاعر. وترد في هذا المجال كلمتان مرادفتان للغزل هما: النسيب والتشبيب، وكلها مستعملة في الموضوع نفسه. فبعض كتب اللغة تجعل هاتين الكلمتين بمعنى واحد. (فالغزل هو حديث الفتیان، والجواري، والتغزل تكلف ذلك، والنسب التغزل والتشبيب مثله).^١

وفي اللسان:^٢(الغزل حديث الفتیان للفتيات، واللهو مع النساء، ومغازلتهن: محادثتهن ومرادتهن - والتغزل: التكلف لذلك). والنسب ذكر خلق النساء وأخلاقهن، وبعض الناس لا يعرف الفرق بين النسب والغزل. والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهم من أجله. فكأن النسب ذكر الغزل، والغزل المعنى نفسه. والتغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء.^٣ فالغزل عنده معنى والنسب تعبير عن هذا المعنى.

ومن المظاهر القديمة في الموضوع الغزل العفيف، الذي نشأ في العصر الجاهلي، وازدهر في العصر الأموي، واستمر إلى العصر العباسي.

وكثر النظم في الغزل العفيف عند شعراء بوادي الكوفة من أمثال الحسين بن مطير، الذي يعتبر غزله امتداداً للغزل العذري. فكل ما يتضمنه من عفة، وطهر، وصفاء، ووفاء، وشعور نبيل نحو المرأة يقول:^٤

وأنت بتلمح من الطرف ناظر	ألا حبذا البيت الذي أنت هاجره
وأملح في عيني من البيت عامر	لأنك من بيت لعيني معجب
وفيك المنى لولا عدو أحاذره	سد حياءً أن يلج بي الهوى

^١ ابن سيده، أبو الحسن على بن إسماعيل - المخصص، ٥٥، ط ١٣١٦هـ، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، مطبعة بولاق - ج ٤، ص ٥٤ -

^٢ ابن منظور، أبو الفصل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب، دار المعارف، د.ت. مادة غزل.

^٣ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ط ٢ القاهرة ١٩٧١م. ص ٦٥،

^٤ ابن مطير - شعره - ص ١٦٠

وفيك حيب النفس لو نستطيعه لمات الهوى والشوق حين تجاوره

فهو يجتنب بيت صاحبتة حياء ويغالب نفسه في حبها.

ومن شعراء الغزل العفيف أيضاً آدم بن عبد العزيز*، فهنا يصف غرامه بصاحبتة
وفتنته بنبل أخلاقها وروعة جمالها يقول:^١

أحبك حين لي واحد وأخر لأنك أهل لذلك
فأما الذي هو حب الطباع فشيء خصصت به عن سواك
وأما الذي هو حب الجمال فلست أرى ذلك حتى أراك

وعلى الرغم من كثرة الجديد في اتجاهات الشعر في هذا العصر من حيث
الأشكال والمضامين، لم تخل قصائده من الابتداء بالغزل، وإن كان البعض من الشعراء
استعاض عن ذكر الأطلال والغزل في المحبوبة بالوقوف على القصور والمقدمة الخمرية
والعزل بالمذكر. وقد شاع الغزل في مقدمات القصائد في أكثر أغراض الشعر، كنهج
الأقدمين حتى عند الشعراء المجددين أمثال بشار بن برد، فقد بدأ قصيدة له بالهجاء،
يشكو لأبجر صديقه طول الليل، ويسأله عما إذا كان ثمة أمل من وصال محبوبته.
ويطلب إليه ألا يلومه ويتحدث عن حنينه إلي أم أبجر فيقول:^٢

أأبحر هل لهذا الليل صبح وهل بوصال من أحبيت نصح
أأبحر قد هويت فلا تلمني على كيدي من الهجران قرح
جرى دمعي فأخبر عن ضميرٍ لجاري المسك دل عليه نفع

كذلك أبو نواس وقف على الأطلال، وحنَّ إلى أهلها في قصيدة له تحدث فيها عن
الديار التي عفا رسمها، ولم يبق فيها سوى وحشها، وطيرها، وإبلها الضامرة. ثم انتقل إلى
الغزل فقال:^٣

ألم تربع على الطلل الطماس عفاه كل أسحم ذي ارتجاس

^١ الأصفهاني، الأغاني، ج ١٥، ص ٢٨٩، دار الكتب المصرية ١٩٦٧م.

^٢ بشار، ديوانه، شرح حسين حموي، طبعة دار الجيل بيروت ١٩٩٦م. ج ٢، ص ٤٦٥.

^٣ أبو نواس، ديوانه، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي بيروت. ص ٥٣٣

* آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، كان في أول أمره خليعاً ماجناً ثم نسك بعد أن عمر ومات على طريقة
محمودة. [مهدب الأغاني، ج ٧، ص ٤٨]

إلى أن يقول:

منازل من عفيرة أو سليمي أو الدهماء أخت بني الحماس
كان معاهد الأوضاح منها بجيد أغن نؤم في الكناس

أما الغزل الحسي وهو الجري الفاضح الذي يصف مفاتن المرأة، فقد ورد من قبل في الجاهلية ومن أمثله قول امرئ القيس:^١

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعكل
غدائه مستشذرات إلى العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذل*

فقد وصف الشاعر السمات الجمالية التي أعجبتة في محبوبته، فقال إن شعرها الأسود الفاحم يزين قامتها الجميلة، كما وصف رقة خصرها وشبه ساقها بأنبوب السقي.

وجاءت الأوصاف الحسية في العصر العباسي منها تشبيه المحبوبة بالشمس والقمر والغزال يقول العباس بن الأحنف:^٢

ألا أيها القمر الأزهر تبصر بعينيك هل تبصر
تبصر شبيهك في حسنه لعلك تبلغ أو تخبر

وأبو العتاهية كغيره من الشعراء المحافظين الذين جرفهم تيار التجديد له أشعار في الغزل، وقد شغف حباً بعتبة وله فيها غزل كثير يقول:^٣

كأنها من حسننها درة أخرجها اليم إلى الساحل
كان في فيها وفي طرفها سواحر أقبلن من بابل
لم يبق منى جبهها ما خلا حشاشات في بدن ناحل
يا من رأي قلبي قليلاً بكى من شدة الوجد على القاتل

أما مسلم بن الوليد فقد كان أقرب الشعراء إلى العذريين وذلك لما في شعره من عفة الطبع وسمو الأخلاق، ومن ذلك قوله:^٤

^١ - امرؤ القيس، ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف مصر - ص ١٦-١٧.

^٢ - العباس بن الأحنف، ديوانه، ص ١٣٩، دار صادر بيروت، ١٩٦٥ م.

^٣ - الأصفهاني، الأغاني، ج ٤ ص ٥٤.

^٤ - مسلم بن الوليد، ديوانه، ص ٢٦١.

* السقي: النخل المسقي، فقد شبه ساق المرأة بساق النخلة الذي وصفه بأنه أبيض كالبردى

لما تلاقينا قضى الليل نجهه بوجه كوجه الشمس من مائة مثل
أرينا بألحاظ العيون وبيننا عفاف وتكذيب لما يأسر المحل

ومن مظاهر الجدة في الغزل الحسي، الغزل المكشوف في بيوت القيان، إضافة للغزل بالمذكر، الذي كان له دور كبير في إبراز ما يمكن أن يسمى بأدب الديارات.^١ ومن موضوعات الغزل اللافتة للنظر في هذا العصر الغزل في الجواري السود، وشارك الشاعر أبو الشيص الخزاعي في هذا الغزل، وروي أنه كانت له جارية سوداء اسمها تير كان يعشقها وفيها يقول:^٢

لم تنصفي يا سمية الذهب تتلف نفسي وأنت في لعب
يا ابنة عم المسك الزكي ومن لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك في السواد والريح فأكرم بذاك من نسب

وهذه الظاهرة لم تكن مستحدثة في العصر العباسي بل وجدت عند الجاهليين أيضاً، فوجد الأعرابي كان يتغزل في هريرة ويقال أنها كانت جارية سوداء.^٣

ونخلص بملاحظة أن الشعراء البدو اهتموا في غزلهم، بوصف المرأة الحسي، ولكنه وصف محتشم، تزينه عفة وحياء أهل البادية، وكذلك اهتموا بالجانب الروحي أو ما سمي بالغزل المعنوي الذي اشتهر باسم الغزل العذري، وهو نوع من العشق العفيف الذي كان يشيع في البادية ونسب إلى قبيلة بني عذرة.

ومما تقدم ذكره في هذا الغرض من نماذج نجدتها تمثل لنا التيار المحافظ والمتمسك بالنهج القديم للقصيد العربية، وإن تخللتها بعض الحداثة، فيمكن القول بأنها كانت مجارة لروح العصر الذي أفرز تلك الظواهر السالبة [الغزل بالمذكر - والغزل المكشوف] الذي كان نتاجاً طبيعياً لاختلاط العرب بغيرهم من الشعوب.

^١ - بكار - يوسف حسين ، اتجاهات الغزل، دار الاندلس-بيروت لبنان ط١-١-٣٢٢.ت- ص٣٢٢.

^٢ - الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦ ص ٤٠٦.

^٣ - المرجع السابق، ص ٤٠٦.

المدح:

المدح عامة هو ثناء يسبغه الشاعر على ممدوحه. إما اعترافاً بفضله، أو طمعاً في نوال. والمديح معروف منذ نشأة الشعر العربي. وفي أغلب الشعر العالمي القديم.^١ وقد كان الملوك والأمراء يسعون إلى اكتساب صداقة الشعراء لما لهم من أثر على سياسة قبائلهم من جهة؛ وما لهم من فضل في سير ذكر الممدوح بين الناس، فكانوا يمدحونه بأسماء الفضائل (العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة). وكان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً وبما سواها مخطئاً.

والمديح منذ الجاهلية يسير في اتجاهات ثلاثة:^٢

- اتجاه قوامه الإعجاب بالفضيلة، وبمن يتحلى بها من الناس. وغايته الإصلاح الاجتماعي.
- أما الاتجاه الثاني فقوامه الشعور القبلي، وخدمة أغراض القبيلة التي ينتمي إليها الشاعر. ويمثل هذا الاتجاه بالذات الشعر السياسي الذي يدافع عن مصالح القبائل، ويحميها من التفكك وينشر مآثرها بين العرب. أما الغاية من هذا الشعر واجب الشاعر نحو قبيلته التي تحميه.
- أما الاتجاه الثالث فهو: اتجاه التكسب بالشعر، وعندما انتشر الفقر بين الشعراء، وصار الشاعر يتكسب بشعره، أصبح النقاد يقولون عنه [أدركته حرفة الأدب]، أي امتنهن التكسب بشعره للحصول على المال.

كان الشاعر في العصر الجاهلي وحتى في الإسلامي يرسم في ممدوحه المثالية، والخلق الرفيع الذي تقدره الجماعة، وقد مضى الشعراء العباسيون في مديح الخلفاء والولاة على هذا الرسم، مضيفين إلى هذه المثالية؛ مثالية الحكم، وما ينبغي أن يقوم عليه الأخذ بدستور الشريعة والعدالة. فإذا كان القدماء قد اختاروا الأوزان الطويلة، والموسيقى ذات الإيقاعات القوية، واللغة المختارة. فإن الشعراء المجددين قد قلبوا هذا الوضع وأتوا بعكس ما هو مألوف من رقة في الأسلوب، وبساطة في التصوير.

^١ إنعام الجندي، دراسات في الأدب العربي، ط ٢، ص ٥٧، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

^٢ - أحمد أبو حاق، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ص ٧٤، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٢ م.

وفي العصر العباسي سيطرت صفة التكسب على المديح. وأصبح الشاعر العباسي يتغنى بفضائل الممدوح، وعظمته، وسعة سلطانه. واتخذه الملوك نديماً لهم يطربون لقوله، ويخصونه بالمال. ومثال ذلك قول بشار لأمير من آل برمك يعده بالمديح ويطلب منه الكرم فيقول:^١

فإن تعطني أفرغ إليك محامدي وإن تأب لا يضرب عليك سواد
ركابي على حرفٍ وقلبي مشيع وغير بلاد الباخلين بلاد
فهو لن يمدحه إلا بعد أن يغدق عليه عطاياه.

وقد جرى أبو نواس الأقدمين في الشكل، والمحتوى. ولكنه كان يميل إلى الغلو، والمبالغة في كثير من الأحيان، يقول أبو نواس في مدح هارون الرشيد:^٢

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك الأنف التي لم تخلق
وكما يفعل قدامى الشعراء، كان أبو نواس يقف على الأطلال، ويصف الناقة، ثم ينتقل إلى المديح أو أي غرض آخر. يقول:^٣

حيّ الديار إذا الزمان زمان وإذا الشباك لنا حري ومعان
يا حبذا سفوان من متربع ولربما جمع الهوى سفوان
وإذا مررت على الديار مسلماً فلغير دار أميمة الهجران
إننا نسبنا والمناسب ظنة حتى رميت بنا وأنت حصان
لما نزعت عن الغواية والصابا وحتت بي الشدنية المذعان
ملك تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يخل منه مكان
ما تنطوي عنه القلوب بفجرة إلا يكلمه بها اللحظان
فيظل لاسـتـنـبائه وكأنه عين على ما غيب الكتمان

^١ - بشار بن برد، ديوانه، شرح حسين الحموي، ط ١، دار الجيل بيروت، ١٩٩٦م. ص ١٠٩

^٢ - أبو نواس، ديوانه، ص ٤٠١.

^٣ - المرجع السابق، ص ٤٠٤.

وهنا نجد أبا نواس الذي دعا إلى نبذ المقدمات الطللية، يحيي الديار ويذكر أسماء
المرباع في الصحراء [كالشباك، وحرى، ومعان، وسفوان]، كأن الشاعر وضع قول جرير
نصب عينيه وسعى إلى تقليده خصوصاً في بيته القائل:^١

يا حبذا سفوان من متربع ولربما جمع الهوى سفوان

فهو شبيهه ببيت جرير:^٢

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

ونجده ينسب لما كان القدماء ينسبون في مطالع شعرهم، ويختار أميمة وهو اسم
بدوي خالص. ثم ينتقل من النسب إلى وصف الناقة فنراها ناقة سريعة ومطيعة. ثم بدأ
في وصف الرشيد، وكرم أخلاقه، وشجاعته. ويرى الشاعر أن نعم الممدوح على الناس
شبيهه بنعم السماء. وقال إن صورته قد انطبعت في القلوب بعطائه المتدفق في كل مكان.
ثم يصف لنا مثاليته في الحكم.

أما أبو تمام كغيره من الشعراء، كان من المتكسبين بالشعر. ويظهر التكسب
بالشعر أصبحت المدائح تتكون من جزئين منفصلين تمام الانفصال، القصيدة القديمة ثم
المدح.^٣ يقول أبو تمام مصوراً جود المعتصم وكثرة بذله ونواله:^٤

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليثق الله سائله

ومن الشعراء الذين لم يخرجوا عن الإطار التقليدي أيضاً مسلم بن الوليد، فله
قصيدة في مدح محمد بن هارون منها قوله:^٥

شغلي عن الديار أبكيها وأرثيها إذ خلت من حبيب لي مغانيها
خليفة الله قد ذلت بضاعته صعر الخدود برغم من مراقيها
أحيت يداه الندى والجود فانتشرا نبي الأرض طراً وجالاً في نواحيها

^١ - أبو نواس، ديوانه، ص ٤٠١

^٢ - جرير، ديوانه، دار صادر بيروت، ١٩٦٠م. ص ٤٩٣

^٣ - ابن مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٢، دار نهضة مصر للطبع، الفجالة.

^٤ - أبو تمام، ديوانه، ص ٢٩.

^٥ - مسلم بن الوليد، ديوانه، ص ٢١٦.

وهنا نجده يشيد بكرمه وعطائه المتدفق بعد أن مدحه بقوة بأسه؛ المتمثلة في طاعته التي أدل بها المتكبرين من القوم. وتتمثل تقليدية هذه القصيدة في البداية الطللية في المدح.

ومن هؤلاء أيضاً العتابي،* وقد صنف من الشعراء المحافظين ومن شعره في المدح:^١

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً قد ضاق عني فسيح الأرض من حيل
لم تنزل دائباً تسع بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

وهذا تلميذه منصور النمري في مدحه للرشيد يصف الرحلة والناقة التي أوصلتهم إليه:^٢

أمير المؤمنين إليك خضنا غمار الهول من بلد شطير
بخوص كالأهله خافقات تلين على السرى وعلى الهجير
حملنا إليك أعمالاً ثقلاً كمثل الصخر والدر الثير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار إلى المصير
إلى من لا يشير إلى سواه إذا ذكر الندى كف المشير

ومن الشعراء الذين غلب على شعرهم الطابع البدوي، الحسين بن مطير، وله قصيدة في مدح المهدي، لما أنشدها له أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد. منها قوله:^٣

إليك أمير المؤمنين تعسفت سبأ اليد هوجاء النجاء خوب
ولو لم يكن قوامها ما تقاذفت جبال بها مغبرة وسهوب
فتى هو من غير التخلق ماجد ومن غير تأديب الرجال أديب

فقد بدأها بداية تقليدية، ووصف الرحلة، والصحراء والدابة. ثم انتقل للحديث عن كريم صفات الممدوح وأخلاقه.

^١ - الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، دار الكتب المصرية، ص١١٩، ١٩٥٠م.

^٢ - المرجع السابق، ص١٤٠.

^٣ - المرجع السابق، ج١٦، ص٢٢-٢٣.

* كلثوم بن عمرو بن كلثوم الشاعر، شاعر بليغ مطبوع من شعراء الدولة العباسية

ومن التقليديين أيضاً أشجع السلمي* ومن شعره في مدح الرشيد يصفه بالقوة
ورهبة العدو منه في حالتي النوم واليقظة، قوله:^١

وصلت يداك السيف يوم تقطعت أيدي الرجال وزلت الأقدام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تبه رعته وإذا غفا سلت عليك سيوفك الأحلام

ونجد المديح أهم غرض وصل بشار بالتراث القديم. فحافظ على سننه الموروثة.
سواء من حيث جزالة الصياغة، ومتانتها. أو من حيث المنهج الذي سار عليه القدماء.
فنجده في وصفه الخلفاء والولاة يخلع عليهم الشيم الرفيعة نفسها التي خلعها الجاهليون،
والإسلاميون على ممدوحهم؛ من الكرم، والمروءة، والشجاعة، والجود، وإباء الضيم، ومن
ذلك قوله:^٢

لمست بكفي كفه ابتغي الغنى لم أدر أن الجود من كفه يمدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوا الغنى أفدت وأعداني فأفويت ما عندي

ولم يقتصر المدح عند المحافظين على مدح الملوك، والأمراء، بل تعداه إلى مدح
المدن المحببة إلى قلوب ساكنيها. وهو من الفنون الجديدة التي ازدهرت في هذا العصر.

^١ الرفاعي، أحمد فريد- عصر المأمون، دار الكتيب المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٢٨م. ص ٤٢٠.

^٢ بشار، الديوان - شرح السيد محمد بدر العلوي، دار الثقافة بيروت، لبنان، د.ت - ج ٢، ص ٢٣٦.

* يكنى أبو الوليد، نشأ بالبصرة وبعد من فحول الشعراء، مدح الرشيد وأعجب به فحسن حاله. مهذب الأغاني، ج ٨،

الفخر

الفخر هو التغني بالفضائل والمثل العليا، والتباهي بالسجايا النفسية، والصفات القومية، والزهو بالفعال الطيبة. والفخر هو مدحك نفسك بالطهارة، والعفاف، والحلم، والحسب، وما يجري مجراها.^١

الافتخار هو المدح إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار. وكل ما قبح في المدح قبح في الافتخار.^٢

وأذ أحاديث المرء عنده هو حديثه عن نفسه، وخصاله، وفعاله من الشجاعة، والكرم، والمروءة، وحماية الجار، طيب المنبت، وعراقة الأصل، وكثرة المال، والولد، إلى غير ذلك مما يزهو به الإنسان، ويختال به على غيره. وهذا النوع من الفخر يعرف بالفخر الذاتي، ولعل خير من يمثله في العصر الجاهلي، عنترة بن شداد العبسي. فمفاخره الذاتية تمثل نزعة الإنسان العصامي، الذي يؤمن بعمله وما يقوم به من خير، ويتباهى به. حيث قامت مفاخره على التجرد من العصبية بأشكالها. فهو على النقيض من مفاخر الشعراء الجاهليين، ولعل مرد ذلك أنه كان عبداً، وكان فارساً شجاعاً، سخياً بكل ما يملكه، فذاتيته هي محور مفاخرة ونلمس ذلك في قوله:^٣

أثنى على بما علمت فإني	سمح مخالفتي إذا لم أظلم
يخبرك من شهد الوقعة أنني	أغشى الوغى وأعف عند المغنم
وإذا شربت فإني مستهلك	مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحت فما أقصر عند ندى	وكما علمت شمائي وتكرمي

ومن الذين انتهجوا هذا النهج من شعراء العصر العباسي، بشار بن برد، فقد افتخر بنفسه في قوله:^٤

نبئت قوماً بهم جنة يقولون من ذا وكنيت العلم

^١ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل -كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص ١٣، دار إحياء الكتب، مطبعة الحلبي، ط ١، ١٩٥٢م.

^٢ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، ص ١٤٣.

^٣ عنترة بن شداد، ديوانه ص ٣٢، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٢، ١٩٦٤م.

^٤ -بشار بن برد-الديوان-شرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور-الشركة التونسية للتوزيع-١٩٧٦-ج ٤-ص ١٧٨

ألا أيها السائلي جاهلاً ليعرفني أنا إلف الكرم
نمت في المكارم بي عامر فروعِي وأصلي قريش العجم
وإنني لأغني مقام الفتى وأصبي الفتاة فلا تعصم

فهو يفتخر بمكانته بين قومه، وأنه علم غني عن التعريف. ويصف سائله بالجهل لأنه لم يعرفه. وأن مكارم الأخلاق من أصله وفروعه، فهي موروثه عنده.

ويحسن الفخر إذا كان الشاعر يمتدح بالفضائل النفيسة، والخصال الخلقية بعيداً عن التباهي بالأمر المادية، والقوة الجسدية، أو التفاخر بالأنساب، والأصول والقبائل.^١ لذلك فخير الفخر ما كان تغنياً بالفضائل، وتمحاً بالمثل العليا، ولا مجاوزة للمألوف. ولذلك استحسّن قول حاتم الطائي لأنه تعبير عن واقع مألوف وحقيقة صادقة:^٢

أما والذي لا يعلم المعراج غيره ويحي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهي مخدفة يوماً أن يقال لئيم

وقد دارت قصائد الفخر حول الشجاعة، والبأس، والنجدة، ولجارة المولى، وطعام الفقراء، وإكرام الضيف، وبذل المال، والإيثار، ولا يخلو الشعر الجاهلي من بعض القصائد التي بها غلو ومجاوزة لحدود المعقول، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته الشهيرة:^٣

ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا

والفضائل التي يفاخر بها الشاعر، وينافس بها غيره من الشعراء، والقبائل هي نفسها التي يمتدح بها الملوك، وعلية القوم، شاكراً أو متكسباً.^٤ والفخر من أدل فنون الأدب على فطرة الإنسان. فهو ذكر المزايا الحسنة، ووصف الثمائل الكريمة التي يحسها الشاعر في نفسه، أو فيمن يفتخر بهم. وقد افتخر معظم الشعراء إن لم يكونوا كلهم؛ على مر العصور بمقدراتهم الشعرية. ومن الشعراء العباسيين الذين طرّقوا هذا الباب أبو تمام وقد قال:^٥

^١ - الجبوري، الشعر الجاهلي وفنونه، ص ٣٠١.

^٢ - حاتم الطائي، ديوانه، شرح وتحقيق عباس إبراهيم، دار الفكر العربي بيروت، ط ١، ١٩٩٥م ص ٥٣.

^٣ - الزوزني-شرح المعلقات السبع-ص ٢٣٥

^٤ - بطرس البستاني، أداب العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة مارون عبود، بيروت، ١٩٧٩م-ص ٥٠-٥١

^٥ - أبو تمام، ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، ص ٣٠٠.

كما علم المستشعرون بأنهم بطاء عن الشعر الذي أنا قاصده

ومن قصائده في الفخر قصائد يصور فيها مكارم قومهم ومحامدهم يقول:^١
أنا ابن الذي استرضع الجود فيهم
مضوا وكأن المكرمات لديهم
بهايل لو عاينت فيض أكفهم
وسمي فيهم وهو كهل ويافع
لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع

ولما كان الفخر بالقوم وصفاتهم من أميز فنون الفخر في العصر الجاهلي، والأموي، والعباسي، فهذا بشار بن برد يفخر بقيس مواليه، وما يذيقونه أعداءهم من بأس شديد:^٢

إذا الملك الجبار صعر خده
وكننا إذا دب العدو لسخطنا
ركبنا له جهراً بكل مثقف
مشينا إليه بالسيف نعاتبه
وراقبنا في ظاهريك نراقبه
وأبيض تستسقي الدماء مضاربه

كذلك قوله يفخر بقيس بن مضر:^٣

ذا ما غضبنا غضبةً مضرية
إذا ما أعزنا سيدياً من قبيلة
هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدماء
ذرى منبرٍ صلى علينا وسالما

ومن الشعراء البدو ناهض بن ثومة، الذي افتخر بقومه؛ مبيناً مدى شجاعتهم وذكر أنهم هزموا بني نمير بكتائبهم القوية وجعلوا رؤوسهم طعاماً للسباع بين الجبال يقول:^٤

لا هل أتى كعباً على نأي دارهم
بمليقت منّا نمير وجمعنا
نالك يوماً بالحمي لا نرى له
أقامت نمير بالحمي غير رغبة
رؤوس أوصال يزايل بينها
لنا دفعات في نمير تتابعت
وخذلناهم أنا سررنا بني كعب
غداة أتينا في كتائبنا الغلب
ثبيهاً وما في يوم شيان من عتب
وكان الذي نالت نمير من النهب
سباع تدلت من أيانين هضب*
بضيم ونكب على نكب

^١ - أبو تمام، ديوانه، ص ٣٠٠

^٢ - بشار بن برد، ديوانه، ج ١، ص ٣٧٢.

^٣ - بشار بن برد، ديوانه، ص ٤٩٧.

^٤ - الأصفهاني، الأغاني - دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠ م. ج ٣، ص ٨٥،

ومن الفخر الذاتي عند العباسيين الذي نلمح فيه أثر البيئة البدوية مع جزالة الألفاظ وجمال التشبيه قول ابن هرمة:^١

إنني وتركي ندى الأكرمين قدحي بكفي زناداً شحاحاً
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحاً*

فهو يفتخر بأن الكرم شيمة متأصلة في ذاته. مؤكداً فكرته بالتشبيه الوارد في البيتين قائلاً: يستحيل أن يترك ندى الأكرمين، وشبه نفسه بأنثى الطائر، فهي لا تترك بيضها لتحضن بيض أخرى.

ومن شعر الفخر الذي جمع بين حسن الشماثل واصطناع الحكمة قول علي بن جبلة العكوك*:^٢

وكم رمية للدهر في باب مأمّن جعلت مجني دون مكروهها صبري
أذود مني فسي جهيداً وعفتي إذا حملت غيري على المركب الوعر

فالفخر في العصر العباسي كما رأينا طرق الموضوعات نفسها التي طرقها الشعر في العصور السابقة له. فلم يكن هناك مجال للتجديد إلا في الإكثار من العصبية، والمبالغة، والغلو. وتلك كانت من دواعي العصر لما كان فيه من تمازج بين مختلف الأجناس والثقافات.

^١ ابن هرمة شعره-ص ٨٧.

^٢ - مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ١٩٧٣م -ص ٣٤٨

*ايانين: جبليين ويزايل: يفرق، والغلب: الهزيمة

* العكوك هو: علي بن جبلة، والعكوك معناه القصير السمين، ولد أعمى وفي رواية أخرى فقد بصره في صباه مما جعله يتجه للدرس ورواية الشعر وحفظه..

الرثاء:

الرثاء هو ذكر مآثر الميت، ووصف الحزن عليه، والجزع لفقده وبيان مكانته، وأثره في مجتمعه الذي يعيش فيه.^١ وهو من أقدم الأغراض الشعرية، فالقدماء كانوا يرثون الخلفاء، والقواد والأصدقاء الذين تربطهم بهم علاقات إنسانية. وقد تبعهم في ذلك أغلب شعراء العصر العباسي.

ومن أنواع الرثاء الندب. وهو البكاء والتفجع على المقربين من نفس الشاعر من أقارب، وأبعد. والتأبين وهو أقرب إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص. وهو أشبه بالمديح لما فيه من ذكر محاسن الميت، والعزاء وهو مواساة أهل البيت، وإرسال النصح، والإرشاد لهم.^٢

ولعل خير المراثي وأطرفها هي التي قالها الشعراء في رثاء أنفسهم، عند إحساسهم بدنو أجلهم، أو وقوعهم في شدة، أو أثر، أو مرض. وكثير من الشعراء ذكروا الموت، وناحوا على أنفسهم، وأوصوا أهلهم بما يفعلونه بعد موتهم، وأرسلوا خيالهم في ما سيكون من أمرهم بعد الموت. ومن ذلك قول المتلمس الضبيعي:^٣

خليلي إمامت يوماً وزحزت مناياكم ما فيما يزحزه الدهر
فمرا على قبري فقوماً فسلما وقولا سقاك الغيث والقطر يا قبر
كأن الذي غيت لم يله ساعة من الدهر والدنيا لها ورق نضر

فالشاعر يستوقف صاحبيه ويطلب منهما أن يبلّما على قبره، إذا مرا به يدعوان له بالسقيا.

^١ خفاجي، محمد عبد المنعم - الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، ط١، د.ت، ص٣١٥.

^٢ لجنة من أدباء الأقطار العربية، الرثاء، دار المعارف، مصر، د.ت. ص٦-٥، جريير بن عبد العزة الضبيعي، من شعراء العصر الجاهلي.

^٣ المتلمس، ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، طبعة معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م. ص٤٠.

والرثاء حزن، وبكاء، ولوعة، وتفجع، لذلك كان طبيعياً أن يكثر في هذا الغرض الحديث عن العين، والدموع وغزارتها. وقد سبق إليه من شعراء العصر الجاهلي الشاعر عدي بن زيد* إذ يقول:^١

وما لي ناصراً إلا نساء أرامل قد هلكن من النحيب
يحدرن الدموع على عدي كشن خانه خرز الريب*

ومن قصائد الرثاء المشهورة في العصر العباسي قصيدة للحسين بن مطير في رثاء معن بن زائدة. وهي من أشهر، وأقوى قصائد الرثاء في الشعر العربي. حتى أن ممدوح الشاعر كانوا يغارون من هذه القصيدة التي يقول فيها:^٢

ألماع على معنٍ وقولا لقبـره سقتك الغواذي مربعاً ثم مربعاً
فيا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف وارىت جودة وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت لو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معرفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

نلاحظ أن الشاعر جعل رثاءه من خلال مخاطبة القبر الذي تؤسده معن، واستطاع أن يستأثر عاطفة السامع من خلال ما تضمنه المعاني.

وهذه المرثية جعلته في مصاف كبار الشعراء ومن ثم فقد عدُّ من بين فحول المحدثين من شعراء العصر العباسي.^٣

وقد أجاد الشاعر مسلم بن الوليد في الرثاء إجادته في المديح. وأحياناً تبدو بعض المرثية عند مسلم عذبة الإيقاع، قليلة الأحزان. وتكون أقرب إلى مدح حي منها إلى بكاء ميت، ومن هذا الضرب مرثيته التي يقول فيها:^٤

^١ عدي بن زيد، ديوانه، تحقيق محمد جبار المعبيد، ص ٤٠، بغداد، ١٩٦٥م.

^٢ - الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ٢٤، ط دار الكتب المصرية، د.ت.

^٣ - الحموي، ياقوت - معجم الأدباء، ج ١٠، ص ١٦٧.

^٤ - مسلم، ديوانه، ص ٢٢٨..

* عدي بن زيد العبادي، من شعراء العصر الجاهلي

* زنده وارى: مثل ضربه في السخاء

* الشن: القرية الصغيرة المخروقة، الريب: من رب الأمر إذا أصلحه

حلو الشمائل مأمون الغوائل مأمول النوافل زنده واري
الله ألبسه في عود مغرسه ثياب حمد نقيات من العار

ولولا علمنا بأن هذه القصيدة في الرثاء لصنفناها من قصائد المديح. وهذا الأسلوب شبيه
بأسلوب الخنساء في رثائها لأخيها:^١

المجد حلتته* والجدود علتته والصدق حوزته إن قرنه هابا
خطاب محفلة فراج مظلمة إن هاب معضلة أتى لها بابا

ومن أجود الأبيات في الرثاء قول مسلم بن الوليد:^٢
أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

ومن شعر الرثاء عند بشار قصيدة يرثي فيها صاحباً له يقول فيها:^٣
كان لي صاحباً فأودى به الدهر وفارقتـه عليه السلام
يا ابن موسى فقد الحبيب على العين قذاة وفي الفؤاد سقام
كيف يصفو لي النعيم وحيداً والأخلاء في المقابر هام
نفسـتهم على أم المنايا فأنـامتهم بعنف فناموا
لا يقـيض انسـجام عيني عليهم إنما غاية الحزين السـجام

وفي هذه الأبيات نجده يبكي صاحبه بكاءً شديداً، وبذرف الدمع غزيراً، ولا يحس
بنعيم الحياة وهو وحيد وصديقه في القبر. وشبه فقد الحبيب كأنه قذاة في العين، وسقام
في القلب.

^١ - الخنساء، ديوانها ص ٨، دار صادر بيروت، ١٩٦٣م.

^٢ - ابن رشيقي، العمدة، ج ٢، ص ١٥٢.

^٣ - بشار بن برد، ديوانه، شرح محمد ناصر الدين، ص ٥٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان
* حلتته: ثوبه، الجود عليته: أي أنه لا يعتل ويعتذر لطالب معرفته، القرن: النظير في الشجاعة، الخطاب/ الكثير
الخطاب، المحفلة: المجلس - المظلمة: الظلم - المعضلة: الأمر الشديد - أتى: دير وهياً.

* القذاة: الغبار الشديد الذي يقع في العين فيؤذيها، والسقام: المرض، الهام: جمع هامة وهو طائر زعمت العرب أنه يخرج
من رأس ولا يزال صائناً أسقوني حتى يؤهد للقتيل بثأره. نفستهم: من النفيس أي استكثرهم الموت على وفجعتني بهم،
بغيض: ينقص - السجام: الدمع الغزير.

أما أبو العتاهية فله شعر في الرثاء منه قصيدته في رثاء علي بن ثابت يقول فيها:^١

ألا من لي بأنسك يا أخيا	ومن لي أن أبشك ما لديا
طوتك خطوب دهرك بعد نشرٍ	كذلك خطوبه نشرًا وطيا
فلو نشرت قواك لي المنايا	شكوت إليك ما صنعت إليا
بكيته يا علي بدمع عين	ما أغنى البكاء عليك شيئاً
كفى حزناً بدفنك ثم إنني	نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظام	وأنت اليوم أوعظ منك حيا*

فترى في رثائه بعض الحكمة ولم يغنه البكاء عن فقدته فزاد حزنه عليه، فقد كان قريباً إلى قلبه بعظاته له وهو اليوم يرى العبرة والعظة بموته.

وأبو نواس فقد تناول الرثاء بأنواعه في عزائه للفضل بن الرشيد بقوله:^٢

تعزى أبي العباس عن خير مالِكٍ	بأكرم حي كان أو هو كائن
حوادث أيام تدور صروفها	لهن مساوٍ مرة ومحاسن
وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى	ولا أنت مغبون ولا الموت غابن

ففي عزائه نجده وصف المرثي بأنه خير الناس والمعزي بالكرم، وتحدث عن حوادث الدهر ومساوئها ومحاسنها، وواساه وخفف عنه مصابه. وهذا أسلوب تقليدي في العزاء. ومن الأساليب القديمة أيضاً نجده يرثي نفسه بقوله:^٣

دبّ في آل السقام سفلاً وعلواً	واراني أموت عضواً فعضوا
ليس من ساعة مضت لي إلا	نقصتني بمدها بي جزوا
ذهبت جدتي بطاعة نفسي	وتذكرت طاعة الله رضوا
لهف نفسي على ليالٍ وأيام	تمليتهن لعباً ولهوا
قد أسأنا كل الإساة	فاللهم صفحاً عنا وغفراً وغفوا

وهنا يرثي نفسه، وكيف أن الأيام مضت بشبابه ويتحسر على الأيام التي قضاها في اللهو، واللعب. ويطلب العفو، والغفران من الله سبحانه وتعالى. ومن يقرأ هذه الأبيات

^١ - شكري، فيصل، أبو العتاهية اخباره وأشعاره، ص ٧٧٥، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥م.

^٢ - أبو نواس ديوانه، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزال، ص ٨١٥، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

^٣ - المصدر السابق نفسه - ص ٦٩١،

يحس أن الشاعر أصبح قاب قوسين من الموت وهو يبكي شبابه الذي أضاعه في طاعة نفسه. ومن روائع أبي تمام في الرثاء؛ قصيدته في رثاء محمد بن حميد الطوسي، التي عدد فيها مآثره، وبكى عليه بكاء مراراً، ولام كل من لم يبكي على ذلك فقد الجلل، موضحاً جزعه عليه. يقول فيها:^١

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فتى كلما فاضت عيون قبيلة دماً
فتى دهره شطران في ما ينوبه
فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر
ضحكت عنه الأحاديث والذكر
ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

وفي العزاء يقول معزياً محمد بن سعيد بإبنيه:^٢

أمحمد ابن سعيد إن أسى الفتى
أنت الذي لا تعزل الدنيا إذا
لو كان يغني حازم عن واعظ
فيها دواء الحر يوم ظمائه
ما النائبات صفحن عن حوائه
كنت الغني بحزمه وذكائه

حتى قال:

ن لا يعزى جازعاً بحميمه
حى يعزى أولاً بعزائه*

فهو يمدحه ويخفف عنه، ويرى أن حزمه، وذكاءه يغنيه عن الوعظ. فهو انتهج الطريقة المألوفة في العزاء لدى الشعراء.

ومما أستحدث في الرثاء في العصر العباسي؛ إخراج الرثاء مخرج الفكاهة، وظهر أيضاً رثاء المدن ورثاء الحيوان، يقول أبو نواس في رثاء كلب له لسعته حية فمات:^٣

يا بؤس كلبى سيد الكلاب
أصفر، قد خرج بالملاب
فبينما نحن به في الغاب
فعلقت عرقوبه بناب
لا أبنت إن أبنت بلا عقاب
قد كان أغناني عن العقاب
كأنما يدهن الزرياب
إذ برزت كالحلة الأنياب
م ترع لي حقاً ولم تحاب
حتى تذوقني أوجع العذاب*

^١ - أبو تمام، ديوانه، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت. ج ٤، ص ٨٢.

^٢ - المصدر السابق نفسه - ص ٣٤٩،

^٣ - أبو نواس ديوانه، ص ١٠٥، دار صادر.

* الملاب: دهن يدهن به، الزرياب: ماء الذهب. *أسى: جمع أسوة وهي الحالة التي يقتدي بها. الحوباء: النفس، الحازم: الذي يربط الأمر ويحكمه

وطريقتهم هي طريقة من سبقوهم في اختيار الألفاظ، ولظهار الحزن، والتعبير عن إحساسهم إزاء فقدهم الجلل. ولن جددوا في بعض الموضوعات فقد التزموا بالقديم.

الهجاء

الهجاء لغة: هجاه يهجو هجواً، وهجاه: شتمه بالشعر، وهو خلاف المدح^(١). واصطلاحاً: هو تعبير عن عاطفة السخط، والغضب تجاه شخص تبغصه، أو جماعة تنتقم منها. والشاعر الهاجي يُفَسُّ بأهاجيه عما يُعَلِّجُ في صدره من ضغائن وأحقاد. ولذلك كان الهجاء سلاحاً من أسلحة القتال؛ يضعف الشاعر به خصومه معنوياً. والهجاء إذا لم يسلب الصفات المستحسنة التي تختص بالنفس ويثبت الصفات المستهجنة، لم يكن مختاراً. والاختيار أن يُنسب المهجو إلى اللؤم، والبخل، والشره، وما أشبه ذلك.^٢

ويقول صاحب الوساطة: (الهجاء أبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب، فأما القذف والفحش؛ فسباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم).^٣ ويتميز الهجاء الجاهلي بخصائص أبرزها قصر قصائد الهجاء. فأكثره مقطوعات وأبيات. فيرون أن قصر الهجاء وعفته هما أول أسباب رواجه وشهرته^(٤). والعفة أمر ظاهر في هذا الشعر، فلم ينحدر إلى الإقذاع، والشتم الواضح والفحش وشعرهم أقرب إلى اللوم، والعتاب، منه إلى البذاءة.

أما نشأة الهجاء فقد كانت مرتبطة بالعصبية القبلية، وما تنثيره من حروب وأحقاد. فالشاعر هو لسان القبيلة الذي يدافع عنها ويهجو خصومه. لذلك نجد الهجاء مرتبطاً بالفخر من ناحية؛ وبالمديح من ناحية أخرى. فهو يكون مرتبطاً بالفخر حين يكون هجاءً قبلياً، تحركه الحروب، والرغبة في الانتقام، أو الثأر. ومرتبطة بالمديح حين يتوجه الشاعر إلى مديح شخص يرجو نواله. فيعرض بخصوم ممدوحه وبنال منهم، فيقيم هجاءه على

^١ - ابن منظور، لسان العرب، مادة هجا، ج ١٥، دار صادر بيروت، ط ١، ١٩٩٠م - ص ٣٥٣،

^٢ - أبو هلال العسكري، الصنائع، ص ١٠٤، والعمدة، ج ٢، ص ١٧١.

^٣ - الجرجاني، القاضي عبد العزيز الوساطة بين المتبني وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد البجازي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت. ص ٢٤

^٤ - الجبوري، يحيى - الشعر الجاهلي، ص ٣٥٨.

عنصر المفاضلة. وهذا أشد أنواع الهجاء وأقبحه. ولذلك نهى سيدنا عمر بن الخطاب الحطئية عن الهجاء المقذع، وقد سأله الحطئية: وما المقذع؟ فأجاب: ^١ (أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعراً على مدح قوم والذم لمن تعاديبهم). وكان الحطئية قد مدح بغيضاً وهجا الزيرقان بقوله: ^٢

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة عاش في مستوعر شاسٍ
جاراً لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيماً بين أرماسٍ
ملوا قراه وهرتة كلابهم وجرحوه بأنيابٍ وأضراسٍ

ومن الهجاء اللاذع قول زهير بن أبي سلمى يهجي آل حصن: ^٣
وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟

ومن العجيب تصنعه أنه قد تحوّر في الأمر، ولم ينته بعد إلى رأي حاسم: أرجال هم أم نساء؟، ولو رماهم مباشرة بأنهم نساء، لكان هذا مجرد سباب ولضاع تهكمه الساخر، فهو تارة ينظر إليهم فيجدهم في الظاهر رجلاً، لهم هيئة الرجال ولحي الرجال. ولكن ينظر إليهم فيجدهم من الغدر وقلة الوفاء، فيراهم أقرب إلى طبيعة النساء. وقوله: (وسوف إخال أدري) يزيد من لذع الاستهزاء، ومعناه أنه سيواصل البحث عن حقيقة أمرهم.

وفي العصر العباسي ظهر مثل هذا النوع من الهجاء الذي نهى عنه سيدنا عمر بن الخطاب. إضافة للهجاء الساخر. وممن اشتهر في هذا المجال الشاعر بشار بن برد وكان القوم يخافون لسانه فيشكونه إلى برد أبيه فيضربه ضرباً شديداً، فكانت أمه تقول: ^٤

[لم تضرب هذا الصبي الضرير أما ترحمه؟ فيقول: ويلى والله إنى لا أرحمه فإنه يتعرض للناس فيشكونه إلى. فسمعه بشار فقال: يا أبت إن هذا الذي يشكونه منى إليك هو قول الشعر. واني إن ألممت عليه أغنيتك وسائر أهلي فإن شكوني إليك فقل لهم: أليس الله يقول: "ليس على الأعمى حرج" فلما عاودوا شكواه قال لهم برد ما قاله بشار. فانصرفوا

^١ - ابن رشيقي، العمدة، ج ٢، ص ١٧٠.

^٢ - ابن قتيبة-الشعر والشعراء-ج ١-ص ٣١٥

^٣ - الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، ج ٣، دار القومية للطباعة، القاهرة. ، ص ١٤٢

^٤ - بشار، ديوانه، شرح محمد ناصرالدين، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان. ص ٥

* مياس: لقب لدعبل الخزاعي تلميذ مسلم بن الوليد

وهم يقولون: ^١ فقهُ بردٍ أغيظ لنا من شعر بشار " ومن ذلك قوله في يعقوب بن داؤود وهو من الموالي، وقد استوزره الخليفة المهدي، وسلمه جميع الأمور، واشتغل باللغو يقول فيه: ^٢
يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم إن الخليفة يعقوب بن داؤود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

وقد نظم مسلم بن الوليد نقائض في الهجاء شبيهة بنقائض جرير والفرزدق. فهجاؤه لا يخرج عن أغراض القدماء ومعانيهم. ومن أشد أنواع الهجاء إيجاعاً، قوله في مياس: ^٣
مياس قل لي أين أنت من الورى لا أنت معلوم ولا مجهول
و كنت مجهولاً جعلتك معلماً و كنت معلوماً لقالك غول
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك ما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

ومن أنواع الهجاء القديمة الذي أثبت فيه بخل المهجو؛ إن كان موسراً، أو فقيراً قول مسلم أيضاً: ^٤

لو أن كنز العباد في يده لم يدع الاعتذار بالعدم

ومن معانيه النادرة والجديدة في الهجاء الساخر قوله في رجل يصف قبح وجهه وخلقه: ^٥
قبحت مناظره فحين خبرته حسنت مناظره لقبح المخبر

وقد كان هم شعراء الهجاء الانتقاص والنيل من خصومهم، وضحاك الناس عليهم. ولذلك كان جرير وهو من أعلام الهجاء يوصي بقوله: إذا هجوت فأضحك. ^٦ ومن ذلك قوله في هوان تغلب: ^٧

لو أن تغلب جمعت أحسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالاً

^١ -ديوان بشار- ص ٥

^٢ - السابق نفسه- ص ٩١.

^٣ - مسلم، ديوانه، ص ٣٣٤.

^٤ - المرجع السابق، ص ٢٣٩.

^٥ - المرجع السابق، ص ٣٢١.

^٦ - ابن رشيقي، العمدة، ج ٢، ص ١٧٢

^٧ - السابق نفسه-ص ١٧٠

ويقال أن بشاراً كان يُعدُّ أشدَّ ما هُجِّي به قول حماد عجرد* الذي عمد إلى عنصر الإضحاك من المهجو: ^١

ويا أقبح من قردٍ إذا ما عمي القرد

ومن أشعار أبي تمام في الهجاء التي اتبع فيها الطريقة التقليدية قوله يهجو عبد الله الكاتب، ومن الواضح أنه كان مدمناً للخمر، يقول: ^٢

لا تفتكن على الكؤوس بشربها فهي التي باتت بعقلك تفتك
كفيك خزيماً أن عقلك ذاهب يبكي عليك وأن وجهك يضحك

ومثل هذا النوع يصنف من أنواع الهجاء اللاذع، الذي وجد عند زهير بن أبي سلمى. وقد أظهر نوع آخر من الهجاء الساخر، يعتمد على توليد المعاني واستقصائها. ومثال ذلك قول بشار في رجل ثقيل يسمى أبو سفيان ويصفه بأنه أثقل من الأمانة التي تحملها الأرض يقول فيه: ^٣

ربما يتقل الجليس وإن كان خفيفاً في كفة الميزان
كيف لا تحمل الأمانة أرض حملت فوقها أباسفيان

أما أبو نواس فقد حاول أن يجدد في الهجاء. ومن أهاجيه نوع تمسك فيه بالأوضاع التقليدية منه قوله في الفضل بن العميد الرقاشي: ^٤*

أمات الله من جوع رقاشاً فلولاً الجوع ما ماتت رقاش
ولو أشممت موتاهم رغيفاً وقد سکنوا القبور إذن لعاشوا

وقد حاول شعراء العصر العباسي أن يجددوا في الهجاء. فظهر لون تميز بالسخرية الشديدة، والإيذاء المؤلم. وامتاز الهجاء بأنه أصبح شعر مقطوعات قصيرة، وليست قصائد مطولة كما كان الهجاء في العصور القديمة. وقد شاع الهجاء السياسي

^١ بشار، الديوان السيد محمد بد الدين العلوي، ص ٢٣١.

^٢ - أبو تمام، ديوانه، ج ٤، ص ٤١٠.

^٣ - بشار، الديوان السيد محمد بد الدين العلوي، ص ٢٣١.

^٤ - أبو نواس، ديوانه، تحقيق عبد المجيد الغزالي، ص ٥٢٨.

* هو حماد بن يحيى يكنى أبا عمر أصله ومنتشأ الكوفة، لم يتكسب بصناعة غير الشعر، الأغاني، ج ٣، ص ٣٢٩
* الرقاشي: نسبة إلى بني رقاش وقيل أنه كان يظهر الغنى وهو فقير والعز وهو ذليل والتكثر وهو قليل، ويظهر بأنه وهو مهين وصار عرضة لأهاجي الشعراء [مختارات البارودي، ص ٤٠٣].

كذلك، وكما مدح الشعراء المدن نجدهم هجوها أيضاً، إذن فالالاتجاه التقليدي عندهم في الهجاء تمثل في شكل القصيدة، وصفات المهجو من بخل وشره وغيره. والتجديد يتمثل في السخرية والإقذاع بالمهجو.

الحكمة:

الحُكْمُ في اللغة: العلم والفقهُ، قال تعالى: (وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا). (مريم: ١٢) أي علماً وفقهاً. والحكم العلم والفقهُ، والقضاء، والعدل. وهو مصدر حكم يحكم. وفي الاصطلاح هي المواعظ، والأمثال التي ينتفع بها الناس. وفي الحديث: (إن من الشعر لحكماً). أي إن في الشعر كلاماً نافعاً، يمنع من الجهل، والسفه، وينهي عنهما. وهو بمعنى الحُكْم ومنه الحديث: (الخلافة في قريش والحكم في الأنصار).^١ خصهم بالحكم لأن أكثر فقهاء الصحابة فيهم.^٢

والحكمة بالجاهلية دليل على رقي عقلية الشعراء، وتفكيرهم، وتأملهم في قضايا الناس، والحياة. وهي ثمرة تجارب كثيرة ومعرفة بالناس وأخلاقهم، والماضين ومصائرهم، وتأمل في سعي الإنسان، وغايته، ونهايته.^٣

والحكمة الجاهلية جاءت حقائق مجردة تملئها التجربة والفترة السليمة، ومثلهم العليا السائدة في عصرهم، فقد كانت أفكارهم صدىً لهذه التأملات والمشاهدات، تصاغ في بيت شعر، أو عبارة أنيقة، موجزة، غزيرة المعنى ذات دلالات بعيدة. فيقبل عليها السامعون يروونها، ويحفظونها، وتغدوا أمثالاً تجري على الألسنة على مر العصور. وقد وجدوا لها قبولاً في أنفسهم فكتب للحكمة بذلك البقاء. وقد جاءت الحكمة عندهم على قدر كبير من النضج العقلي. فقد استفادوا من خبرة الماضين، وأخبار الملوك، والأمم البائدة.

فاضت الحكمة على ألسنة الكثيرين من العرب. ففيهم العقلاء الذين تفجرت ينباع الحكمة على ألسنتهم. فعرفوا بالحكماء. فالحكمة ضاربة في تاريخ الإنسانية منذ وجد قابيل

^١ - ابن حنبل-المسند ، ط٢، ١٩٩٢م، دار سحنون تونس. ج٤، ص١٨٧

^٢ - ابن منظور، لسان العرب، مادة حكم، دار المعارف -ج٢، ص٩٥١.

^٣ - الجبوري، يحيي -الشعر الجاهلي، ص٤٠٣.

وهابيل. وأبت حكمة هابيل أن تشهر سيفها في وجه أخيه، لأن رجاحة العقل هضمت
سفاهة العقل وطيشه.^١

ومن الشعراء الجاهليين هنالك من نظر واعتبر بالماضيين ولجأوا إلى الله سبحانه
وتعالى كما فعل لبيد وزهير. فحكم لبيد منثورة في قصائد كثيرة تأتي في نعمة روحية
صافية في تسبيح الله. وتأتي في العبر والمواعظ عند ذكر الماضيين. وتأتي في ثوب
حزين حين يبكي ويرثي موتاه. ومن أجود قصائد لبيد في الحكمة؛ قصيدته في رثاء أخيه
أريد، يسجل فيها تجاربه وخبراته في حكمه يصوغها، وأمثال يضربها، على شاكلة قوله:^٢

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
قد كنت في أكناف جارٍ مصنعة وفارقي جارٍ بأربد نافع
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا وكل فتى يوماً به الدهر فاجع
فلا أنا يأتيني طريق بفرحة ولا أنا مما أحدث الدهر جانع

فهو ينظر إلى نفسه، وإلى الناس كلهم أبناء فناء صائرون إلى بلى. وتبقى حركة
الزمان خالدة مستمرة. فالنجوم طوالع، والجبال والبيوت ثابتة، وأن هؤلاء الذين أفناهم
الدهر، أخوه الذي يحبه، وهو مع ذلك لا ييأس ولا يجزع على فراق أحبته ما دامت هذه
سنة الحياة، وما سلم من الدهر أحد.

فهذه الأبيات للشاعر الجاهلي تتم عن نضوج عقل وتأمل وخبرة في الحياة، قد أفاد
منها شعراء العصور التي تلتهم، ففي العصر العباسي جاءت الحكمة في ثنايا القصائد،
ولم تفرد لها قصائد خاصة بها. ونادراً ما نجد قصيدة أفردت للحكمة.

وشبيهه بشعر الحكمة شعر الزهد. فهو يقوم على نم الحياة الدنيا، والتنفير منها،
والتذكير بالموت، والحث على العمل الصالح. وكان يمثل هذا الشعر حركة مضادة لبعض
مظاهر المجون والزندقة التي شاعت في العصر العباسي. وحمل لواءها أبو العتاهية
وجعلها مذهباً له، ومن أشعاره فيها قوله:^٣

الموت حق والدار فانية وكل نفس تجزى بما كسبت

^١ حسن، محمد صادق - المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م - ص ٤٠٧.

^٢ لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه، دار صادر بيروت، ١٩٦٦م. ص ١٦٨-١٧٠.

^٣ أبو العتاهية، ديوانه، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م. ص ٧١،

ما كل ذي حاجة بمدرکہا کم من يد لا تنال ما طلبت
من لم یسعه الکفاف مقتنعاً ضاقت علیه الدنيا بما رحبت

فالحكمة المستمدة من تجارب الحياة واضحة في الأبيات. فليس كل ما يتمناه المرء يدركه، والقناعة كنز لا يفنى. وهذه هي الطريقة التقليدية في بث الحكم والمواعظ.

وقد تجئ الحكمة على لسان شاعر عوف بالمجون، واللهو، فرغم أنها تعبير عكسي عن سلوكه في الحياة؛ وتكون صادقة غالباً، لأنها وليدة تجربة قاسية ردتته إلى الصواب.^١ مثال ذلك الحكم التي نجدها في أشعار أبي نواس يقول:^٢

أرب قد أحسنت عوداً وبدأة إلى فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فعذري إقرارى بأن ليس لي عذر

ويقول ناصحاً:^٣

رى كل حي هالكاً وابن هالك وذا نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لیب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

ويقول أبو تمام في الوعظ والتزهيد:^٤

تحاول شيئاً قد تولى وودعا وهيهات منه أن يؤوب ويرجعا
خشنت على التأديب فهماً ومنطقاً لنت على الأيام ليتاً وأخدعا*
فأقبلت الأيام ترتاد مصرعا لجسمك فارتد إذ تيقنت مضجعا

وفي حديثه عن الدين يقول:^٥

أتأمل في الدنيا تجد وتعمر وأنت غداً فيها تموت وتقبر
تلقح آمالاً وترجوا نتائجها وعمرك مما قد ترجيه أقصر
وهذا صباح اليوم ينعاك ضوءه وليلتنه تنعاك إن كنت تشعر

^١ العماري، على محمد- الصراع الأدبي بين القديم والجديد، القاهرة، دار الكتب الحديثة ص ١٣٤.

^٢ أبو نواس، ديوانه، دار صادر بيروت. ص ٣٤٢

^٣ المرجع السابق، ص ٤٦٥.

^٤ أبو تمام، ديوانه، شرح شاهين عطية، ص ٤٩٣.

^٥ محمود سامي البارودي، مختارات البارودي، المطبعة الجديدة، القاهرة، ١٩٠٦م. ج ١، ص ٤٦٩

* اللبت: صفحة العنق، والأخدع: عرق في العنق، وترتاد: تطلب

ونجده كغيره من شعراء العصور السابقة يتأمل حركة الحياة، ويؤمن بالفناء ويرى أن عمره أقصر من آماله. فحكيمته ناتجة عن وعي وإدراك للحياة، ومصيره المجهول فيها. وتجربته التي أفادها منها.

وبشار بن برد رغم لهوه ومجونه نجده يتذكر الموت قائلاً: ^١

بدا لي أن الدهر يقدح في الصفا وأن بقائي ما حيت قليل
نعش خائفاً للموت أو غير خائفٍ على كل نفس للحمام دليل
خليلك ما قدمت من عمل التقى وليس لأيام المنون خليل

فهو يرى قرب الموت منه. ويأتي بحكمة هي أن ليس للموت خليل، إلا العمل الصالح للإنسان. وكغيره من شعراء عصره لم يأت بالجديد في الحكمة. بل جاءت حكمة تقليدية وليدة النجارب العامة. وله أبيات في الحكمة، والموعظة يقول فيها: ^٢

قست السؤال فكان أعظم قيمة من كل عارفة جرت بسؤال
فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فأبذله للمتكرم المفضال
وإذا خشيت تعذراً في بلدة فاشدد يدك بعاجل الترحال
واصبر على غير الزمان فإنها فرج الشدائد مثل حل عقال

ومن الذين بثوا الحكمة في أشعارهم من شعراء العصر العباسي مسلم بن الوليد.

فهو يرى تقلب حال الدنيا، وعدم ثباتها على حال واحد يقول: ^٣

كم رأينا من ملوك سوقة ورأينا سوقة قد ملكوا
قلب الدهر عليهم وركاً فاستداروا حيث دار الفلك

ويعتبر صالح بن عبد القدوس من أشهر شعراء الحكمة في هذا العصر. رغم أنه كان متهماً بالزندقة في زمن الخليفة المهدي. ^٤ ويكاد يذهب شعر ابن عبد القدوس كله في تقرير محاسن الأخلاق والشيم، ناظراً فيها نظرة تجريدية، دفعته إلى تعقب حكمة العرب

^١ - بشار بن برد-ديوانه-شرح السيد محمد بدر الدين العلوي - ص١٨٨.

^٢ - المرجع السابق، ص١٨٨.

^٣ - مسلم بن الوليد، ديوانه، ص٢٩٨.

^٤ - الرفاعي، عصر المأمون، ص٤٠٣.

والعجم، حتى قالوا إن في ديوانه ألف مثل للعرب وألف مثل للعجم. وحكمته نتاج تجارب ذاتية يقدمها في شكل وعظ يقول:^١

لا يعجبك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضه مبذول
ولربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول

ومن أروع قصائده في الحكمة قصيدته التي يقول فيها:^٢

لا خير في ود إمري متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف أنه بك واثق وإذا تواري عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ومنها:

واخفض جناحك للأقارب كلهم بتذل واسمح لهم إن أذنبوا
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثارة في كل نادٍ تخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمرء يسلم باللسان ويعطب

فموضوع الزهد في العصر العباسي لقي اهتماماً أكبر، وشغف بقراءة قصائده وإنشادها. ولم يعد الزهد كما في العصور السابقة مجرد ميل فطري إلى الزهادة، وتقوى الله. أو حالة من حالات الإيمان التي يصورها الشاعر. بل أصبح فكرة يعتنقها، ولا يكاد يصور سواها من المشاعر والأحاسيس. وكان الدافع إليه إضافة إلى الدافع الديني؛ أنه أصبح تيار معاكس لمظاهر المجون والزندقة التي شاعت في العصر، فنجد الشعراء انتهجوا الطريقة القديمة نفسها في التذكير بالموت، وبفناء الحياة الدنيا، ووعظهم بالإفادة من تجارب سابقهم. وكل ما كتبوه كان ناتجاً عن تجربة ذاتية، وفكرة ناضجة، وعقول راجحة.

نلاحظ مما تقدم في هذا الفصل، أن شعر العصر العباسي، رغم مظاهر الحياة الجديدة التي اقتضت التجديد فيه، نجده لم يخرج عن إطار الشعر التقليدي، وظل محافظاً عليه بفضل قوة تأثير الشعراء البدو ورجال الدين وتشجيع الخلفاء للنظام التقليدي في القصيدة العربية.

^١ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط٨ - ص٣٩٧.

^٢ شوقي ضيف، العصر العباسي الأول - ص٣٩٧.

الفصل الثاني

الشعراء البدو

المبحث الأول: مروان بن ابي حفصة

المبحث الثاني: الحسين بن مطير

المبحث الثالث: ابن هرمة

المبحث الرابع: علي بن الجهم

المبحث الخامس: ابن ميادة

المبحث السادس: شعراء آخرون

المبحث الأول

مروان بن ابي حفصة

مولده ونسبه:

شاعر مخضرم، اسمه مروان بن سليمان بن ابي حفصة، ولقبه ذو الكمر. ولد في اليمامة سنة خمسة ومئة للهجرة، كنيته ابو الهيثام او ابو الهندام ويكنى ايضا بابي السمط لأن السمط اسم لأحد ابناؤه كما جاء في قوله:^١

أهلاً بطيف لأم السمط أرقنا ونحن لا صدود منا ولا كذب

أما نسبه، فهو موضع خلاف بين الرواة الذين ترجموا له في أصله؛ فقد ذهب بعضهم إلى أن جده يزيد المكنى بأبي حفصة كان طبيباً يهودياً، أسلم على يد عثمان بن عفان، وقيل على يد مروان بن الحكم. وادعت قبيلة عكل العربية أن أبا حفصة ينتمي إليها، وقد أجمع أهل اليمامة وغيرهم على صحة هذا الادعاء. إلا أن أبا حفصة نفسه لم يقر لهم بذلك، حتى في عهد عبد الملك بن مروان.^٢ كما أن حفيد أبي حفصة، وهو محمد بن ادريس بن يحيى بن أبي حفصة، ينكر زعم قبيلة عكل أن جده أبا حفصة منهم، ويصرح بأنه من سبي فارس، نشأ في عكل وهو صغير،^٣ والأرجح أنه فارسي الأصل، وكان من سبي اصطرخ التي هاجمها المسلمون مرتين، وأصابوا منها ما شاءوا، وقد يكون أبو حفصة أحد من أصابوه، فنشأ في قبيلة عكل وهو غلام، ثم اشتراه عثمان بن عفان ووهبه فيما بعد إلى مروان بن الحكم.^٤

١- ابن النديم. الفهرست. دار المعرفة بيروت. ط ٢ ١٩٩٧. ص ١٩٦

٢- الاغانى لابى الفرج الاصفهاني ج ١٠. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ١٩٩٥. ص ٩١

٣- المرجع نفسه ص ٩١

٤- ابن خلكان- وفيات الأعيان- ج ٤. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط ١ ١٩٩٨. ص ٤١٣

ولئن اختلفت الروايات في أبي حفصة، فإنها أجمعت على أنه كان مولى لمروان ابن الحكم.

وقف أبو حفصة إلى جانب مولاه يوم الفتنة المعروف بيوم الدار، الذي انتهى بمقتل عثمان بن عفان. وقد أبلى أبو حفصة البلاء الحسن في ذلك اليوم، ودعا رفاقه من المقاتلين إلى الصبر والثبات، وعدم القبول بالصلح مع الخصوم فقال:^١

وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا أجل لا، ولا اخترت الحياة على القتل
ولكنني قد قلت للقوم جالدوا بأسيافكم لا يخلصن إلى الكهل

وقد جرح مروان بن الحكم في هذه المعركة فحمله أبو حفصة إلى دار امرأة من عنزة، وظل يداويه حتى تماثل للشفاء، فأعتقه مروان عرفاناً لجميله، وإلى ذلك يشير أبو حفصة بقوله:^٢

بنو مروان قوم أعتقوني وكل الناس بعد لهم عبيد
وزاد مروان في تكريمه إذ نزل له عن أم ولد تدعى بكر، كانت له منها بنت اسمها حفصة فحضرها وكني بها، جاء في الأغاني (حفصة على هذا بنت مروان بن الحكم).^٣

أسرته:

كان مروان بن أبي حفصة من أسرة توارثت الشعر، فأكثر أهل هذا البيت رجالاً ونساء يقولون الشعر، وأولهم أبو حفصة الذي قال يوم معركة الجمل:^٤

لست على الزحام بالأصر إني لوراد حياض الشر

^١ - مروان بن ابي حفصة. - الديوان دار الكتاب العربي. ط ١. ١٩٩٣. ص ٨

^٢ - المرجع السابق نفسه

^٣ - الاغاني ج ١٠. ص ٩

^٤ - مروان - الديوان. ص ٩

يقول ابن خلكان في هذه الأسرة: ^١ (إنهم أهل بيت كل واحد منهم شاعر، يتوارثونه كابر عن كابر) وورث يحيي الشعر عن أبيه يزيد، فكان شاعراً كبيراً نظم في المدح والرثاء، والفخر والهجاء، وقال مفتخراً بعطائه: ^٢

وقائلة ما بال مالك ناقصا وأموال أقوام سواك تزيد
فقلت لها إني أجود بما حوت يداي وبعض القوم ليس يجود

ومن شعراء هذه الأسرة، السمط بن مروان بن أبي حفصة، وابنه أبو الجنوب يحيي الذي ورث الشعر عن أبيه السمط، ولكنه لم يكن محلقة مثله، و لأبي الجنوب ولد يدعى مروان، وقد سلك مسلك جده مروان بن أبي حفصة في معارضته للعلويين، وكان يتمتع بمنزلة رفيعة لدى المتوكل، وقد مدح المامون والمعتصم قبل خلافة المتوكل، وورث الشعر عن مروان بن أبي الجنوب؛ أبناؤه محمد ومحمود ويحيي.

ومن شعراء هذه الأسرة متوج بن محمود بن مروان بن أبي الجنوب وكذلك ادريس ابن أبي حفصة وابنه محمد، وعاصم بن أبي حفصة واخته أمنة وعبد الله ابن السمط، والمؤمل ابن جميل بن يحيي بن أبي حفصة، والرزيق بن سليمان وابنه علي. ^٣

ولاشك في أن شاعرنا مروان ابن أبي حفصة هو أشعر شعراء أسرته يقول الكسائي: (انما الشعر سقاء تمخض فدفعت الزبدة إلى مروان ابن أبي حفصة) ^٤ وقال دعبل الخزاعي: (كل من قال الشعر من آل أبي حفصة بعد مروان وأخوته وولده وولد ولده فمتكلف، وجهدنا أن نجد لهم بيتاً نادراً فلم نجده). ^٥

١- ابن خلكان -وفيات الأعيان. ج ٤ ص. ٢٧٩

٢- مروان - الديوان ص ٩

٣- مروان. الديوان - ص. ١٠

٤- البغدادي تاريخ بغداد - دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ٢٠٠٤. ج ١٣. ص ١٤٥

٥- الجراح- ابو عبد الله محمد بن داود الورقة- دار المعارف مصر. ط ٢. د. ت. ص. ٤٩

شخصيته:

كان مروان بن أبي حفصة بخيلاً جشعاً حريصاً على جمع المال وخرزته، عاش بكفاف، وحرّم نفسه لذات الدنيا وأطايبيها، ولم ينتفع من ماله الوفير الذي حصل عليه من الخلفاء والأمراء، الذين مدحهم، وقد تحدث عن نفسه قائلاً: (ما فرحت بشيء قط فرحي بمئة ألف درهم وهبها لي أمير المؤمنين المهدي، فوزنتها فزادت درهماً فاشتريت به لحماً)^١.

امتازت حياة الشاعر بالبساطة والاعتدال والبعد عن اللهو والمجون، والاسراف فلم يتعرض لفنائه، ولم يقصف في حانة خمر، يقول طه حسين: (.. فلم يكن مروان ماجناً ولا عابثاً ولا زنديقاً)^٢.

وكان مروان بشع المنظر ولا يعتني بمظهره، يحافظ على لباسه البدوي الخشن، قال المرزباني في بشاعته: (كان شيخاً متدانياً يستبشع منظره)^٣.

علاقته ببني أمية:

كانت العلاقة وثيقة بين جد الشاعر أبي حفصة ومروان بن الحكم الذي أعتقه وولاه خراج اليمامة، نظراً لما يبذله في سبيل إنقاذه حين جرح في يوم الدار، وكان لا بد أن يحافظ شاعرنا مروان بن أبي حفصة على هذه العلاقة ويعمل على توطيدها. فكانت أول زيارة له إلى الشام في عهد الوليد بن يزيد بصحبة أعمامه، وزاره ثانية بصحبة الحسين بن مطير، وطريح

^١ -الأصفهاني- الاغاني. ج. ١٠. ص ٩٨

^٢ -طه حسين. حديث الاربعاء. دار المعارف- ط١٠- مصر- د.ت. ج. ٢ ص ٢٢٦

^٣ -المرزباني: الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران- معجم الشعراء- تصحيح وتعليق: أ.د. ف كرنيكو- مكتبة القدسي، دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان- ط٢- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م- ص ٣١٧

بن اسماعيل الثقفي، وكان ذلك عام ١٢٥ للهجرة. نظم مروان الشعر ولم يبلغ العشرين من عمره.^١

وقد مدح خلفاء بني أمية وأمراءهم، إلا أن أشعاره في بني أمية ما زالت مفقودة، وقد أضاعتها الحروب، وربما أخفى مروان بعض مدائحه إثر سقوط الدولة، وذلك خوفاً من الحكام الجدد.^٢

علاقته بمعن بن زائدة الشيباني وببني العباس:

بعد سقوط الدولة الأموية، لازم الشاعر اليمامة حتى عام ١٤١ هـ، حيث ولى أبو جعفر المنصور معن بن زائدة الشيباني اليمن، تقديراً منه لنجدته له يوم الهاشمية، إذ هاجمته جماعة من أتباع أبي مسلم الخراساني، وكاد المنصور أن يقتل في ذلك اليوم. أكرم المنصور معناً وآمنه، وكان معن فارساً مقداماً وجواداً سخياً، وكان من طليعة المدافعين عن ملك بني أمية.

ذاع صيت معن في اليمن إثر تكريم المنصور له، وراح الشعراء يقصدونه مادحين، فيجزل عليهم من عطائه. وهذا ما دفع مروان بن أبي حفصة لي أن يفد اليمن مادحاً معناً بقصائد تعتبر من آيات المديح العربي، خلدت الشاعر وخلدت ذكر معن الذي حباه بسخائه، وفي خبر شرائه بيت امتدح به معن:^٣ (اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو ينشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد، وإن قتل قبل أن يلقاه وينشده إياه، أوله:

مروان يابن محمد أنت الذي زيدت به شرفاً بنو مروان

٤- مروان -ديوانه. ص. ١٢

٢ - مروان -ديوانه. ص. ١٢

٣- الأصفهاني -الأغاني- ج-١٠- ص ٩٦

فأعجبته القصيدة، فأمهل الباهلي حتى أقام من مجلسه، ثم أتاه في منزله فقال له: إني سمعت قصيدتك وأعجبتني، ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ما قد رمته عنده؛ أتبيعي القصيدة حتى أنتحلها، فإنه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير؟ قال نعم. قال: بكم؟ قال: بثلاثمائة درهم. قال: ابتعتها؛ فأعطاه الدراهم وحلفه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المحرجة ألا ينتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينشدها، وانصرف بها إلى منزله، فغير منها أبياتاً وزاد فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان

ووفد بها إلى معن بن زائدة فملأ يديه، وأقام عنده مدةً حتى أثرى واتسعت حاله. فكان معن أول من رفع ذكره ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراث حسنة^١. ونال من معن ما لم ينل أحد من الشعراء، وظلت علاقة الشاعر بمعن متينة حتى مقتل معن على يد الخوارج سنة ١٥٣ هـ.

حزن عليه الشاعر حزناً شديداً ورثاه بقصيدة ضمنها فواجعه وآلامه، وعدد فيها مآثر معن وفضائله الجملة^١. وبقي مروان على صلة بأبناء معن يمدحهم دون أن يحظى منهم ما حظيه من والدهم. فقرر التوجه إلى بغداد طمعاً بعطايا بني العباس وأمرائهم، وكان اسمه وشعره قد سبقاه إلى هناك. وكانت رحلته الأولى إلى بغداد في عهد الخليفة محمد المهدي، الذي مدحه الشاعر في قصيدة مطلعها:^٢

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله وأقصرن عنه حين أقصر باطله

١- مروان-الديوان-ص ١٣

٢- السابق نفسه-الصفحة نفسها

وبقي الشاعر في كنف بني العباس يمدح خلفاءهم وأمراءهم حتى لمع نجمه في عهد الخليفة هارون الرشيد، وحظي منه ما تمناه من مال ومن رفعة المنزلة، وأصبح شاعره المفضل، الأمر الذي دفع ببعض الشعراء إلى مدح الخليفة وبني العباس بغية الظفر ببعض ما ظفر به مروان.

ولم ينج شاعرنا من حسد الحاسدين وكيدهم، وكان سلم الخاسر أكثر الشعراء حسدا لمروان، وقد تباهى يوما أمام مروان بجائزة نالها من الخليفة وقبضها دفعة واحدة، في حين كان مروان يقبض جوائزه مقسمة، فرد مروان على سلم هازئا ساخرا في قصيدة مطلعها:^١

أسلم بن عمرو قد تعاطيت خطة تقصر عنها بعد طول عنائكا
ومما قاله في رده على حساده:^٢

ما ضرتني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
وكذلك قوله:^٣

وهسدت حتى قيل أصبح باغيا في المشي مترف شيمة مختالها
ولم يقتصر الشاعر في مدحه على الخلفاء فقط بل مدح البرامكة ووزراء الرشيد منهم يحيى بن خالد البرمكي وولديه الفضل وجعفر، كما مدح عبد الله بن طاهر وغيره. يعتبر مروان شاعر الدولتين الأموية والعباسية.

^١-مروان - الديوانه-ص ٨٥

^٢-مروان - الديوان -ص ٦٨

^٣- مروان- الديوان -ص ١٠٨

وفاته:

اغراق الشاعر في مديح خلفاء بني العباس والمجاهرة بالدفاع عن حقهم في الخلافة، ومعارضته العلويين بشدة؛ زادت من حقد العلويين عليه، فتريصوا به شراً سيما بعد قوله:^١

أنى يكون وليس ذاك بكائن
لبنى البنات وراثه الأعمام
ويذكر أن أحدهم ويدعى صالح بن عطية الأضجم، وكان قد عاهد الله على أن يقتل الشاعر انتقاماً منه لموقفه المعادي للعلويين. وقد استطاع أن يوهم مروان ب صداقته، وظل يلزمه طوال وقته مبدياً له كل لطف ومحبة، حتى مرض الشاعر من حمى ألمت به، فزاد من إظهار مودته له وملازمته إياه، وذات يوم خلا به، وأمسك بعنقه ولم يتركه حتى قضى عليه. ثم انبرى يتباكى مع أهله عليه ولم يفتنوا لفعلة. وكانت وفاته زمن الخليفة الرشيد سنة ١٨١ هـ. لما ورد عن ادريس بن سليمان بن أبي حفصة قوله: (إن وفاة مروان كانت سنة ١٨١ هـ)^٢

بيد أن الجاحظ يحدد تاريخ وفاته بسنة ١٨٢ هـ.^٣ وكذلك يقول المرزباني (إن وفاة مروان كانت في شهر ربيع الأول سنة ١٨٢ هـ، وأنه دفن في مقابر نصر بن مالك الخزاعي، وهي المعروفة بالمالكية).^٤

^١ - مروان - الديوان - ص ١٧

^٢ - البغدادي - تاريخ بغداد - ج ١٣ ص ١٤٥

^٣ - الجاحظ - البيان والتبيين - ج ٣ ص ٢٨٩

^٤ - المرزباني - معجم الشعراء - ص ٣١٧

أغراض شعره:

المديح:

يعتبر المديح أهم أغراضه الشعرية، وقد اتصفت مدائحه غالباً بالمعاني التقليدية، وقد تحول الشاعر بمدحه العباسيين إلى الدفاع عن سياستهم والترويج لحقهم في الخلافة، ومعارضاً خصومهم العلويين. وعلى الرغم من أن شاعرنا كان ينتقل بين قصور الخلفاء والأمراء مادحاً ومتكسباً، وضروب الحضارة تحف به من كل جانب، إلا أنها لم تؤثر في أسلوبه التقليدي وطريقته في كتابة الشعر واتباعه لمذهب الاوائل، فنجده يتبع المنهجية القديمة في نظم قصائده من حيث استهلالها بالغزل والطلل، ثم الاستطراد الى وصف الناقاة وصولاً الى الغرض الشعري. قال يمدح معن بن زائدة الشيباني:¹

لَطَى شَمْسَهُ شَبُوبُ نَارٍ تَلَهَّبُ	وَوَهْمٌ عَسُولِ الْآلِ حَامٍ كَأَمَّا
عَصَائِبُ أَسْمَالٍ بِهَا تَدَحَّصُبُ	صَبْنَا لَهُ مِنَّا الْوُجُوهَ وَكُفَّهَا
تَنَادَفَ فِيمَا بَيْنَهَا الرِّيحُ تَلْغُبُ	إِلَى الْمُجْتَدَى مَعْنٍ تَخَطَّتْ رِكَابُنَا
طَرِيدٌ يَمُّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ يَهْرُبُ	كَأَنَّ نَلِيلَ الْقَوْمِ بَيْنَ سُهُوبِهَا
تَقَانَفَ صَعْرًا فِي الْوَيْ حِينَ تَجُنَّبُ	بَانَا طَئِيهَا وَهِيَ ذَاتُ عَجَارِفِ
حُومًا وَقَدْ كَانَتْ مِنَ الْجَهْلِ تَشْغُبُ	فَمَا بَلَغَتْ صَنْعَاءَ حَتَّى تَبْهَلَتْ
يُجِي الدِّي أَوْ خَائِفٍ يَتَرَقَّبُ	إِلَى بَابٍ مَعْنٍ يَنْتَهِي كُلُّ رَاغِبٍ
بِهِ يَفْخُرُ الْحَيَانُ بَكَرٍ وَتَغْلِبُ	جَرَى سَابِقًا مَعْنُ بِنِ زَائِدَةَ الَّذِي
إِلَى عِرْقِهِ يَمْنَى الْجَوَادُ وَيَسْبُ	فَوَزَّ حَتَّى مَا يُجَارَى وَإِنَّمَا
يُوشُّ مَا يَنْفَكُ يُجِي وَوَهْبُ	مُحَالَفُ صَوْلَاتٍ تُمِيتُ وَنَادِلُ

فالشاعر يصف رحلته في ذلك اليوم شديد الحرارة، حتى يصل إلى ممدوحه، مستخدماً الكثير من الألفاظ البدوية ذات المعاني الصعبة التي نجدها عند شعراء العصر القديم. ومن هذه العبارات التي تدل على بداوة الشاعر وتمسكه بنهجه القديم، (الآل) بمعنى

¹ - مروان - الديوان - ص ٢٣

السراب، (عصائب) مفردها عصابة أي ما عصب به من منديل ونحوه أو ربط به، (أسمال) جمع سمل وهو الرث من الثياب، (تنائف) مفردها تنوفة وهي الأرض القاحلة، تلقب، تحف وتضعف في وصفه للريح. كذلك وصفه للأرض: سهوب مفردها سهب وهو البعيد السهل من الأرض، والمعنى أنه لا احد يقوى العيش على تلك الأرض حتى أن دليل القوم يأنف البقاء فيها وتراه يفر منه كالفاتل المطارد. ويستمر الشاعر في وصفه لرحلته على تلك الأرض، ويصف لنا ناقته التي أقلته في هذا الطريق، فينتقي من الألفاظ (عجارف) جمع عجرفة أي سريعة الجري. (تتقاذ) بمعنى تسرع، (صعر) إمالة الخد تهاونا وكبرا. (البرى) جمع برة وهي الحلقة في أنف البعير، (تجذب) بمعنى تجد في السير. ووصفها عندما وصلت صنعاء وخفضت من سرعتها (حلوما) وقد كانت تبدي الممانعة (تشعب).

وأول ما يصف به ممدوحه بعد وصوله صفة الكرم، وهي الصفة الغالبة على الممدوح والمعروف بها بين قبائل العرب. والذي ينتهي الى بابه كل راغب في العطاء، وكل خائف يطلب الأمان. ووصفه بأنه موضع فخر للقبائل المتحالفة أو المتخاصمة أمثال بكر وتغلب. فكان في الصدارة دائما حتى لا يستطيع أحد أن يجاربه وينافسه. ثم يصفه في ساحة القتال بأنه محالف صولات (والصولة) هي السيطرة في ميدان القتال. (بريش فما ينفك يرجى ويرغب) وبريش بمعنى يسخو، ويرعب بمعنى يراع، فأثبت الشاعر صفات المدح والكرم والشجاعة لممدوحه، بأنه المرتجى في العطاء والمهاب في ساحة القتال. ومدح الفضل ابن يحيى فقال:¹

ما الفضل إلا شهاب لا أفول له	عند الحروب إذا ما تأفل الشهب
إن الجواد ابن يحيى الفضل لا ورق	يبقى على جود كفيه ولا ذهب
يعطي الله حين لا يعطي الجواد ولا	ينبو إذا سلت الهندية القضب
قد فاض عرفك حتى ما يعادله	غيث مغيث ولا بحر له حدب

¹ - مروان - الديوان - ص ٢٦

شبه الممدوح بالشهاب، وهو الكوكب شديد اللمعان الذي لا يغيب، وبعد أن وصفه لنا في ساحة القتال، يتحدث لنا عن كرمه مستخدماً من العبارات (اللها) جمع اللهوة وتعني الجزيل والجيد من العطاء. ويؤكد كرمه وعطاءه حين يعجز أهل الكرم من العطاء، فإن الفضل يعطي أفضل ما يملك، وكذلك سيفه يبقى مسلولا جاهزا للقطع، ويعني الشاعر أنه كريم وشجاع في كل الظروف والأحوال، ثم يشبه كرمه الفياض أنه أقوى من المطر الغزير والبحر مرتفع الأمواج. ونلاحظ أن الشاعر استخدم في وصف ممدوحه التشبيهات من البيئة التي يعيش فيها. الشهاب - البحر - المطر. وكذلك الألفاظ كلها من بيئته البدوية.

وقال يمدح الخليفة الهادي:¹

فما بلغت حتى حماها كلالها	إذا عريت أصلابها أن تقيدا
تشابهتما حلما وعدلا ونائلا	وحزما إذا أمر أقام وأقعدا
تنازعتما نفسين هذي كهذه	على أصل عرق كان أفخر متلدا

وهنا يصف نياق السفر أصلابها أي ظهورها، وكلالها أي تعبها، موضحا مشقة السفر الطويل، ويرمي بذلك إلى أن الناس يقصدونه من أماكن بعيدة طلبا لنواله. ثم يصفه بالحلم والعدل والكرم والحزم في كل الأمور. فممدوحه يشبه أبيه في هذه الصفات، فكلاهما من أصل عريق يفتخر به. وأشار شاعرنا إلى تشبيهه قديماً عند العرب، بأن الممدوحين يتشابهان في كل شيء كما تشابه النعل أختها في قوله:²

كما قاس نعلا حضرميا فقدها	على أختها لم يأل أن يتجودا
---------------------------	----------------------------

قدها يعني قطعها، ولم يأل بمعنى لم يتردد في البذل. فتشبيههما بتشابه النعل واضح فيه ملمح البداوة البعيدة عن التدوييق والانتقاء للجميل.

¹ - مروان - الديوان ص ٤٠

² - المرجع السابق - الصفحة نفسها

وقال في مدح المهدي:^١

خلت بعدنا من آل ليلي المصانع وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع
أبيت وجنبي لا يلائم مضجعا إذا ما اطمأنت بالجنوب المضاجع
أتاني من المهدي قول كأنما به أحتز أنفي مدمن الضعن جادع
ومالي إلى المهدي لو كنت مذنباً سوى حلمه الصافي من الناس شافع

فمطلع القصيدة تتضح فيه روح البداوة والسماة التقليدية. رحيل المحبوبة عن ديارها وتركها خالية أثار فيهم الشوق، ولم تغمض له عين بعد فراقها، ولو كان مكان المنام مريحا. ثم يطلب العفو من المهدي بعد أن أوشوا به لدى المهدي، فيمدحه شاعرنا بالحلم طالباً الشفاعة والسماح.

الفخر:

كان شاعرنا يفتخر بعطاء الخلفاء وجوائزهم. قال مفاخراً ومعيراً سلم الخاسر بقلة جائزته.^٢

أسلم بن عمرو وقد تعاطيت خطة تقصر عنها بعد طول عنائكا
واني لسباق إذا الخيل كلفت مدى مائة أوغاية فوق ذلكا
فدع سابقاً إن عاودتك عجاجة سنابكه أوهين منك سنابكا

(والسنابك) جمع سنبك وهو طرف الحافر. (أوهين) بمعنى أضعفن. (العجاج) هو غبار الحرب. والشاعر يفتخر باقدامه حين يدعى الفوارس إلى الحرب، ويعير سلماً الخاسر فيما معناه: مالك والحرب فلست بأهل لها وكذلك خيلك.

^١-المرجع السابق نفسه- ص ٧٦

^٢- مروان -الديوان ص ٨٥

ويقول مفاخرًا:^١

حييت بأوقار البغال وإنما سراب الضحى ما تدعي من حباكا

وبعني أنه منح من العطاء ما تعجز عن حمله البغال، أما نصيبه فكان قليلاً يشبه
سراب الضحى الذي لا يكاد يرى. ثم يقول:^٢

فأقسم لولا ابن الربيع ورفده لما ابتلت الدلو التي في رشائكا

والرشاء هو حبل الدلو، والمعنى أن الفضل أعطاك قليلاً، ولكنك لم تحصل على
شيء من سواه. وهذه العبارات (الرشاء)، (السراب) نجدها تكررت عند شعراء العصر
الجاهلي، قال بشر بن أبي خازم في هجاء قبيلة بني لأم:^٣

ألا أبلغ بني لأم رسولا فبئس محل راحلة الغريب
إذا عقدوا لجار أخفروه كما غر الرشاء من الذنوب

وقد شبه الشاعر نقضهم للعهد بانقطاع حبل الدلو، وهو تشبيه من البيئة البدوية التي
تستخدم الدلو وهو من أساسيات حياتهم، بعد أن وصفهم بعدم احترامهم وإكرامهم للضيف.

^١ -مروان -الديوان ص ٨٦

^٢ -السابق نفسه الصفحة نفسها

^٣ -بشر بن ابي خازم . الديوان . شرح مجيد طراد- دار الكتاب العربي -بيروت -ط١١٩٩-ص٣٣

الرتاء:

ومن أروع مرائيه قوله في رثاء معن بن زائدة الشيباني؛ وكان الشاعر من المقربين إليه ومدحه كثيراً وأغدق عليه معن الكثير من الهدايا. فكان موت معن فاجعة أليمة في نفس الشاعر، فرتاه بعبارات ملؤها الحزن والحسرة على فراقه، وفقد الدنيا لمثل هذا الرجل المتفرد بعطائه وصفاته الفاضلة. قال:^١

مضى لسبيله معن وأبقى كرم لن تبيد ولن تُنالا
كأن الشمس يوم أصيب معن من الإظلام ملبسة جلالا
هو الجبل الذي كانت نزار تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن وقد يروي بها الأسل النهالا

فذكر هنا من العبارات (الجلال) جمع جل وهو لباس الدابة الذي تصان به، ويقصد يوم مماته حجبت الشمس نورها من الأرض حزنا عليه، ويشبهه بالجبل في قوته، وتقخر به قبيلة نزار في قضائه على الأعداء، والآن بعد مماته لم تعد ثغور بلاده في مأمن من الأعداء بعد أن كانت تصدهم في حياته. والثغور جمع ثغر وهو الفتحة في حدود البلاد، والأسل هي الرماح والنهال بمعنى المتعطشة.

ثم يكرر شدة شوقه وحزنه على فراق المرثي، مستخدماً أسلوب الذكر ليؤكد إحساسه بالحزن، ذاكراً مآثر الميت، وكيف يكون الحال من بعده. يقول:^٢

وقد كنا بحوضك ذاك نرؤى ولانرد المصردة السجالا
فلهف أبي عليك إذا العطايا جعلن منى كواذب واعتلالا
ولهف أبي عليك إذا الأسارى شكوا حلقا بأسوقهم ثقالا
ولهف أبي عليك إذا اليتامى غدوا شعنا كأن بهم سلالا

^١ - مروان-الديوان - ص ٩٥

^٢ - مروان-الديوان - ص ٩٩

ولهف أبي عليك إذا المواشي
ولهف أبي عليك لكل هيجا
ولهف أبي عليك إذا القوافي
ولهف أبي عليك لكل أمر
أقمنا باليمامة إذ يئسنا
وقلنا أين نرحل بعد معن
قرت جدبا تمات به هزالا
لها تلقى حواملها السخالا
لممتدح بها ذهبت ضلالا
يقول له النجى الا احتيالا
مقاما لا نريد له زيالا
وقد ذهب النوال فلا نوالا

(المصردة) من التصريد وهو القليل من الشرب، (السحال) هو الحوض الذي قل ماؤه.
والمعنى: وهبتنا الكثير من عطايك، ولم نكن نقصد لحاجتنا البخلاء الأشحاء. ونجده ذكر من
الذين افنقده وأوضح أثر بعد المرثي عنهم في نفوسهم. الأسرى، اليتامى، الحرب، قصائد
المدح، الصديق أو النجى، سيذكرونه في كل أمر يستدعي حلا أو علاجاً، وبعد موتك، يقول
سئمنا الإقامة باليمامة، ولكن إلى من نأوي بعدك لسؤاله حاجتنا، فلا نوال بعدك.

ولا تخفى علينا عبارات الحزن والأسى التي صاحبت الأبيات، منبعثة من عاطفة حرى
تعاني من الآلام والجزع على فراق المرثي، كما لا يخفى علينا استخدام الشاعر للألفاظ
البدوية وطريقته التقليدية وأثر البيئته في أبياته.

الهجاء:

ذكرنا أن أهم الأغراض التي كتب فيها مروان، المدح والثناء وله بعض الأبيات في الفخر، أما الهجاء والغزل لم تكن له فيه قصائد طويلة إلا بعض الأبيات. قال هاجياً بعض رواة الشعر:^١

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباغر
لعمرك لا يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح مافي الغرائر

وزوامل جمع زامل وهو البعير، والأباغر جمع بعير، الأوساق حمل البعير، والغرائر هي الأوعية. والمعنى أنهم يحفظون الشعر ويروونه، دون أن يميزوا حسنه من رديئه، شأنهم كالبعير التي تحمل أثقالاً لا تعرف ماهيتها.

الغزل:

الغزل عند مروان بن أبي حفصة لا نجده في قصيدة منفصلة، شأنه في ذلك شأن من سبقوه من شعراء العصر القديم، فنجد في مقدماته من قصائد المديح كأن يقف على ديار المحبوبة ويصف الرحلة حتى وصوله للممدوح. قال متغزلاً:^٢

شفاء الصدى ماء المساويك والذي به الريق من خمل يغازلها طفلاً*
فيا حبذا ذاك السواك وحبذا به البرد العذب الغريض الذي يجلو*

والمعنى أن ريقها يزيل العطش، وفمها تتبعث منه رائحة زكية كرائحة الروض عند المساء. وأنعم بذاك الريق الذي يجلو أسنانها ويبقيها ناصعة البياض.

^١ - مروان - الديوان - ص ٧٠

١ - السابق نفسه - ص ١١٢

* الصدى: العطش. ماء المساويك: الريق. خمل: روض. يغازلها: بداعبها. طفل: المساء

* البرد: الأسنان الناصعة البياض. الغريض الناصع البياض. يجلو: يلمع لنظافته

مميزات شعره ومكانته الشعرية:

كان مروان شديد الإعتناء بشعره، يدقق في قصائده، ينقحها ويراجعها، ويعرضها على مشاهير الأدباء، متوخياً تقويمها والنظر فيها بغية الإطمئنان إلى جودتها، وكان يعرض قصائده على بشار بن برد، ويونس بن حبيب، وخلف الأحمر ومحمد بن سلام الجمحي.^١

يقول الأصمعي في إعتناء مروان بشعره: (مروان متكلف يشبه زهير والحطيئة)،^٢ ويقول مروان نفسه: (كنت أعمل القصيدة في أربعة أشهر، وأحكها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربعة أشهر، ثم أخرج بها إلى الناس).^٣ ويقول ابن المعتز في مروان وشعره: (إنه من المجيدين المحككين للشعر).^٤

وقد أتبع شاعرنا المنهجية القديمة في نظم قصائده من حيث استهلالها بالغزل والطلل، ثم الاستطراد إلى وصف الناقة وصولاً إلى الغرض الشعري.

يقول الشريف المرتضي: (.... كان مروان متساوي الكلام متشابه الألفاظ، غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق لها. فلذلك قلت النظائر في شعره. ومدائحه مكررة الألفاظ والمعاني. وهو غزير الشعر قليل المعنى. إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحثق، وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وطبقته وأشهر شعراء أهله. ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ، وتدقيق المعاني، وحسن الألفاظ، ووقوع الشبهات، ودون بشار بن برد في

^١ - مروان - الديوان - ص ١٥

^٢ - الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمغ - فحولة الشعراء - ش. توري - تقديم د. صلاح الدين المنجد - دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان - ط ٢ - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - ص ٤٨

^٣ - الأغاني ج ١٠ ص ١٠٢

^٤ - ابن المعتز، عبد الله بن محمد العباسي - طبقات الشعراء - تحقيق: عبد الستار أحمد فراج - دار المعارف - القاهرة - ط ٣ - ص ٤٥

الأبيات النادرة السائرة، وكأنه طبفة بينهما، وليس بمقصر دونهما شديدا ولا منحط عنهما بعيداً^١

ويقول الأصمعي: (.... ويشار أشعر لأن مروان سلك طريقا كثر سلاكه، فلم يلحق بمن تقدمه، وشركه فيه من كان في عصره. وإن بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد فانفرد به، وأحسن فيه، وهو أكثر فنون شعر وأقوى على التصرف، وأغزر وأكثر بديعا، ومروان آخذ بمسالك الأوائل).^٢

فالأصمعي يوافق الشريف المرتضي في تفضيل بشار على مروان بن أبي حفصة، وهناك من يفضله على بشار ومسلم، كما جاء في الأمالي، (أما إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأبو عمرو بن الشيباني، فكانا يفضلانه على بشار ومسلم).^٣

وكان ابن الأعرابي يعتبر شعر مروان خاتمة الشعر العربي. ورد في الأغاني (...في حين كان ابن الأعرابي يختم به الشعراء وما دون لأحد بعده شعرا).^٤

نجد أن الشاعر كتب في معظم الأغراض الشعرية، وخصص مدحه للخلفاء والأمراء لنيل عطاءهم، وأثر بيئته البدوية انعكس في شعره بصورة واضحة.

^١ - المرتضي، الشريف - أمالي المرتضي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - ط ١ - ١٩٤٥ م. ج ١ ص

٥١٨

^٢ الأصمعي - فحولة الشعراء ص ٣٧ - ٥١

^٣ - المرتضي، الشريف - الأمالي - ج ١ ص ٥١٨

^٤ - الأصفهاني - الأغاني ج ١٠ ص ١١٢

المبحث الثاني

الحسين بن مطير الأسدي

الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي ،أحد شعراء العصر العباسي ، وقيل أنه من موالى بني أسد ، ويرجح أنه ولد في بداية القرن الثاني ، وهو من أهل الجزيرة العربية من قرية يقال لها (زباله) في طريق الحجاج بين مكة والكوفة.

ونشأة الحسين بن مطير في هذه البيئة التي جعلته يحمل سمات أهل البادية، ويتحلى بصفاتهم ومميزاتهم، فعاش البادية إحساسا وحقيقة، لذا نجده في تعبيره ينحو مذهب الأعراب أهل البادية. أما شعره فهو مرحلة بادية التطور بين العهدين الأموي والعباسي.^١ وإن البداوة والصحراء تشدانه اليهما في كثير من طرق تعبيره وشطحات خياله.

وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وأول ما يعرف عن أخبار اتصاله بالخلفاء و الأمراء بوصفه شاعرا كان أمام الوليد بن يزيد، واتصل بالأمير العربي معن بن زائدة الشيباني والي اليمن زمن أبي جعفر المنصور ومدحه في مناسبات عدة ولما قتل معن رثاه رثاء جيدا مشهورا. وكان أول اتصاله بالخلفاء العباسيين قد بدأ بالمهدي فمدحه وأجزل لله المهدي العطاء واستمر معه الى أن توفي ١٧٠هـ وقيل ١٦٩.^٢ يقول عنه الشكعة:^٣ (الشاعر كان ذكيا طموحا، ثقف نفسه وزاد شعره على معان ابتكرها ، وموضوعات استحدثها...لقد تماوج شعره بين المديح والرثاء وبين الغزل والوصف ثم أسهم بعد ذلك في الحكمة بنصيب).

ومن أهم موضوعات شعره:

^١ - الشكعة- مصطفى- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ص ٥٤١

^٢ - ابن مطير-شعره-ص١٢٤

^٣ - الشكعة- مصطفى- رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية ص ٥٤١

المدح:

لا تختلف معانيه فيه عن المعاني التي تناولها الشعراء العباسيين، إذ يردد في مدحه للمهدي المعاني القديمة، والمعاني الجديدة التي يرددها الشعراء في المدح، من الجود الغامر، وعلو الهمة، وحسن القيادة، وسعة الصدر، وكرم الاخلاق، مع العفة والجلال والمهابة، ولكنه ينحو في بعض مدائحه المبالغة في وصف الممدوح وهذه نجدتها في أكثر المدائح العباسية.

ومن ذلك قوله في مدح المهدي¹

لو يعبد الناس يامهدي أفضلهم ما كان في الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة في السود طراً إذا لابيضت السود

فالمبالغة في أن الجود صور من كفه وأن السواد بالقليل من نوره. يقول في مدح معن بن زائدة الشيباني:²

اتيتك إذ لم يبق غيرك جابر لا واهب يعطي الأُها والرغائب

(الله) جمع لهوة، وهي أفضل العطاء، (الرغائب) جمع رغبة وهي الكثير من العطاء. فوصفه بالكرم أكثره والعطاء أفضله وهذه من المعاني المعروفة التي يرددها الشعراء. وقال يمدح المهدي:³

البيك أمير المؤمنين تعسفت بنا البيدُ هوجاء النُجاء خبوب
ولو لم يكن قدامها ما تقاذقت جبال بها مغبرة وسهوب
فتى هو من غير التخلق ماجد ومن غير تأديب الرجال أديب

¹ - شعر الحسين بن مطير - ص ١٢٥

² - شعر الحسين بن مطير - ص ١٣٩

³ - المصدر السابق نفسه - ص ١٤١

علا خلقه خلق الرجال وخلقه
 اذا شاهد القواد سار امامهم
 وان غاب عنهم شاهدتهم مهابة
 يعف ويستحي اذا كان خالياً
 اذا ضاق أخلاق الرجال رحيب
 جرى على ما يتقون وثوب
 بها يقهر الأعداء حين يغيب
 كما عف واستحيا بحيث رقيب

نجد سمة البداوة واضحة في مطلع الأبيات وفي الصفات التي وصف بها الممدوح من سماحة أخلاق وسعة صدر وحسن قيادة ومهابة وعفة ، ومن الألفاظ البدوية (تعسفت) من العسف، وهو أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا علم، (البيد)، جمع بيداء، وهو الأرض المقفرة، (الهوجاء) وهي الناقة المسرعة (السهوب)، الأرض الواسعة البعيدة (خبوب) صيغة مبالغة من الخبب وهو ضرب من عدو الإبل، فالألفاظ والمعاني من بيئة الشاعر البدوية.

وقال في مدح معن بن زائدة:^١

حديثٌ ليلى حبذا إذلالها تسال عن حالي وما سؤالها
 عن امرئٍ قد شاقه خيالها وهي شفاءُ النفس لو تنالها
 سل سيوفاً محدثاً صقالها صاب على أعدائه وبالها*

وعند معن ذي الندى أمثالها

فالبداية تقليدية في حديثه عن المحبوبة وطيفها ومكانتها في نفسه. ثم يصف ممدوحه بالشجاعة وكيف انه قضى على أعدائه بضربات سيفه، فأذاقهم المر ثم يصف معن.

وفي مدحه المهدي بالكرم والشجاعة وتشبيهه عطاءه بالمطر يقول:^٢

له يوم يؤس فيه للناس أبؤس ويوم نعيم فيه للناس أنعم

^١ - شعر الحسين بن مطير الاسدي - ص ١٨٤

^٢ - المصدر السابق نفسه - ص ١٨٦

* الصقال : الجلاء - الصاب : عصارة شجر بو

فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويمطر يوم البأس من كفه الدم
ولو أن يوم البؤس خلّى عقابه على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلّى نواله على الأرض لم يصبح على الأرض معدم
فتشبيه العطاء بالمطر أمر معروف ومنتبع عند شعراء العصر القديم وزاد عليه الشاعر
المجاز المرسل (يمطر من كفه الدم) على اعتبار إن كفه أو يده سبباً في الضرب والطعن،
وهذا دلالة على قوته وأنه أبلى بلاء حسناً في ساحة المعركة حتى كثرت الدماء المتدفقة من
أعدائه بسبب ضرباته وطعناته القوية ، وعبر عنها بتمطر دلالة على كثرتها

الثناء:

الثناء عنده كالمدح في صفة التقليدية ويختلف مدحه ورتاؤه لمعن بن زائده، إذ تغلب
عليه نغمة الصدق، وفي رثائه رنة الأسي كان يقول:²

الما بمعن ثم قولاً لقبه سفتك الغواصي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعاً
ويا قبر معن كيف وارىت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
وتعد هذه القصيدة من أشهر قصائد الرثاء وأقواها في الشعر العربي¹. حتى أن

ممدوحى الشاعر كانوا يغارون من هذه القصيدة. وان شهرة الحسين كشاعر جاءت من خلال
هذه المرثية فالشاعر ببراعته وتمكنه استطاع أن يشارك السامع معه في حزنه، لأنه نظمها
بإحساس صادق، وظهرت براعته في خطابه القبر الذي ضم جسد معن وتعجبه، كيف أن

²- شعر الحسين بن مطير - ص ١٧٢

¹- الأغاني - ج ١٦ - ص ٢٣

ذلك اللحد المحدود المساحة يستطيع استيعاب كل تلك المعاني النبيلة التي اتصف بها معن من فضل خلق، وجود وسماحة. إلى أن يقول:²

فكنت لدار الجود يامعن عامرا
فتي عيش في معرفه بعد موته
تمنى أناس شأوه من ضلالهم
تعز أبا العباس عنه ولا يكن
أبي ذكر معن إن تموت فعاله
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي
فقد أصبحت قفرا من الجود بلقعا
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
فأضحوا على الأذقان صرعى وظلعا*
جزاؤك من معن بأن تتضعضا*
وان كان قد لاقى حماماً ومصرعا
له مثل ما أسدى أبوك وما سعى

فعبّر عن جوده بالدار العامرة وبعد موته أصبحت مجدبة قاحلة كما شبهه بالسيل الذي تبقى آثاره بعد وقوفه وكم تمنى الناس أن يكونوا مثله إلا أنهم فشلوا في أن يتصفوا بصفاته، وكنى عن ذلك بقوله: "أضحوا على الأذقان صرعى وظلعا" ويعلل بالصبر وعدم الحزن عليه بان لا يضعفوا، فذكره لا ينمحي لان أفعاله لا تموت وان مات هو فصفاته باقية وذكراه العطرة. واستخدم الاستعارة في تشخيصه لذكره برفضه موت فعاله.

وكل هذه المعاني ساقها الشاعر بعاطفة جياشة ملؤها الحزن وألفاظ تبوح بتلك المعاني يكللها الإحساس العميق بالأسى والفجيعة.

² - شعر الحسين بن مطير - ص ١٧٢

*البلقع : الأرض القفر التي لا شئ فيها

*ظلعا: جمع ظلع من ظالع إذا عرج-تضعض: ضعف

الوصف:

واشتهر بوصف المطر وصفاً بديعاً حتى عدّه ابن المعتز من أحقّ الشعراء به.^١
وكذلك له شعر قاله في وصف بعض مظاهر الطبيعة، كالسيل واندفاعه والبرق والرياح
والوحوش، يقول:^٢

مستضحكٌ بلوامع مستعبرٌ	بمدامع لم تمرها الأقداء
فله بلا حزن ولا بمسرة	ضحك يؤلف بينه وبكاء
ودنت له نكباؤه حتى	إذا من طول ما لعبت به النكباء
ذاب السحابُ فهو بحر كلّه	وعلى البحور من السحاب سجا
ثقلت كُلاه فانهرت أصلابه	وتبعجت من مائه الأحشاء

وهي قصيدة أعجب بها أصحاب المعاني والمختارات واثنوا عليها لما تمتاز به من الدقة
والتفصيل والأحكام، وقد وصفها ابن قتيبة بأنها مع إسراره فيها كثيرة الوشي لطيفة المعاني.^٣
ولا يخفي علينا التصوير واختيار الألفاظ في هذا الوصف ودور الرياح في نوبان السحاب
وتشبيه السحاب بغطاء البحر ومرة أخرى في صورة الحيوان (وتبعجت من مائة الأحشاء)
فماذا يا ترى لو بَلَّ لفظه تبعجت بلفظة ارق؟ ولكن الشاعر أظنه على بدواته اختار الألفاظ
التي يرى أنها أكثر تناسباً لوصفه وتؤدي معنى ما يريد بكل دقة ووضوح. ويقول:^٤

فعلى الشباب تحيةً من زائرٍ	يغدو ويطرق ليله وصباحا
وبنازل لما أراد إقامة	أهلا أراد مرؤة وصلاحا

^١ - ابن المعتز - الطبقات - ص ١١٨

^٢ - شعر الحسين بن مطير - ص ١٣٤ - ١٣٥

^٣ - الشعر والشعراء - ص ٩٢

^٤ - شعر الحسين بن مطير الاسدي - ص ١٤٩

فدع الشباب فقد مضى لسبيله وانظر بعينك بارقاً لمأحا
مازال يدفعه الصبا دفع الطلي من لعل حتى أضاء ولاحا
جون الرباب عصى الرياح على الربا متبركا من فوقها الحاحا

برع الشاعر في تبيان عناصر البادية وإبرازها في صور جلية أخذة فرجع إلى الشعر القديم واستقى منه أوصافه وصوره ومعانيه. فالبدائية تقليدية وحسن التخلص باستخدامه أسلوب الإنشاء الطلبي الأمر (دع) بمعنى اترك، وهو أسلوب أمر، ويواصل في الطلب وانظر فيصيف لنا ذلك البرق وكيف أن السحاب يدفعه كما يدفعه الإنسان وهذا تشبيه بليغ أتى به الشاعر في صورة المفعول المطلق ليحدد بدقة حركة البرق ويوضح اتجاهه فيذكر من الأماكن لعل.

ويصف السحاب بالجون (الأسود) وحركة الرياح على المرتفعات والسحاب ثابت لا يتحرك. ويقول في وصف فرس:¹

مبلغ التقريب يعبوب إذا بادر الجونة واحمر الأفق

وهنا نجده يصف سرعة ذلك الفرس مستخدماً من ألفاظه البدوية الدالة على السرعة (تقريب - يعبوب) ومثل هذه الألفاظ نجدها عند شعراء العصر الجاهلي فقد وصف امرؤ القيس فرسه في سرعة مستخدماً التصوير من البيئة قال:²

له ايطلا ظبي وساقا نعامه وإرخاء سرحان وتقريب تتقل

فذكر التقريب وهو أن يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً وهذا دلالة على سرعة - والتنقل هو ولد الثعلب. فكما تأثر امرؤ القيس ببيئة، كذلك نجد ابن مطير يحافظ على تلك الألفاظ القديمة معتزلاً ببداوته.

¹ - شعر الحسين بن مطير الاسدي ل- ص ١٧٥

² - امرؤ القيس - الديوان - ص ٢٦

*الطلي: الشخص لعل : موضع بين البصرة والكوفة يدفعه : يسوقه السجاد : الغطاء*الكلي وكلية وهي أقل السحابة متبركا : مقيماً لا يتحرك

الغزل:

والغزل عنده هو ذلك الغزل البدوي فطري العاطفة والذي كان يعجب كثيراً من أهل الأدب في بغداد. وله قصيدة جيمية يصفها ابن المعتز بأنها (شعر كأنه الديباج بل نظم الدر في حسن وصف وإحكام)^١ يقول فيها:^٢

كأننا يا سليمى لم نلم بكم وتحتنا علسيات ملاجيح
ولم نكلمك والحساد قد حضروا وفي الكلام عن الحاجات تخليج
ولم نقل يوم سارت عيسكم عنقا والدوسرى بجذب الساج مجروح*
إلى أن يقول:

دار لناعمة بيضاء حلتها عصب يمان وبُرد فيه تدبيح

ففي هذه الأبيات كان الشاعر يوضح مدى تمكنه من نهج القدامى وأسلوبهم وكذلك محافظة على هذا الطريق في ظل الحضارة التي تحيط به من كل جانب. فنجده يعبر عن حبه وغزله بأصعب الألفاظ، فظهرت فيها روحه البدوية ودعمها بالألفاظ والمعاني والأسلوب البدوي يسلك الحسين في غزله مسلك البديين الذين طهرت حياة البادية نفوسهم فعموا في حبه وفي التعبير عنه. يقول في قصيدة له في الحب:^٣

أحبك يا سلمى على غير ريبة ولا بأس في حب تعف سرائره
وكنت إذا استودعت سراً طويته بحفظ إذا ما ضيع السر ناشره
واني لأرعى بالمغيبة صاحبي حياءً كما أراحه حين أحضره

^١ - ابن المعتز - الطبقات - ص ١١٦

^٢ - شعر الحسين بن مطير - ص ١٤٥

^٣ - المرجع السابق نفسه - ص ١٦٢

* العلسيات: المنسوبة إلى بني علس - ملاجيح: سريعات - تخليج: منع - العيس: النوق - العنق: ضرب من سير الإبل - الدوسري: النوق العظيمة - الساج: الخشب الصلبة - مجروح: متحرك ومضطرب.

ويا عائي لولا نفاسةُ حبها عليك لما باليت انك خابره
كأن سليمي حين قامت فأشرقت بوجه أسيل زينته غدائره

ويقول معبراً عن إحساسه بالشوق والحنين:^١

احن ويشيني الهوى نحو يثرب ويزداد شوقي كل ممسى وشارق
كذاك الهوى يزري بمن كان عاشقاً ونول الهوى يحنو على كل عاشق
ويقول:^٢

من كل بيضاء مخماص لها بشرُّ كأنه بذكي المسك مغسولُ
فالخذ من ذهب والثغر من بردِ مفلج واضح الأنياب مصقولُ

فكل هذه الصفات نجدها عند الشعراء القدامى يصفون بها محبوباتهم بياض اللون
والرائحة الطيبة والخد الناعم والأسنان المفلجة والأنياب المصقولة.

وذكر الشاعر عدة أسماء في غزله منها سلمى وأسماء وذلفاء ولا ندري أي رمز
لواحدة أم غير ذلك. يقول:^٣

أيا ظبية الوعاء أنت شبيهة بذلفاء إلا أن ذلفاء أجدل
فعيناك عيناها وجيدك جيدها وشكلك إلا أنها لا تعطل

فاخذ شاعرنا هنا التشبيه من البيئة فشبه محبوبته ذلفاء بالظبية ويخاطبها مستخدماً
الاستعارة المكنية تشخيصاً لتلك الظبية ويعقد مقارنة بينها وبين محبوبته ويصل إلى نتيجة هو
يعلمها ان محبوبته أفضل لا تصافها بالجمال الطبيعي خالي من الزينة التي يراها شاعرنا عند
الفتيات من قلائد وخلاخيل وغيرها ولا ننسى أن هذه الظواهر أكثر ما تكون في منطقة بها

^١ - شعر الحسين بن مطير - ص ١٧٦

^٢ - السابق - ص ١٧٨

^٣ - السابق - ص ١٧٩

من ضروب الحضارة وفنونها وثقافتها. والفتاة البدوية زينتها المعنوية الحياء والخلق الحسن وزينتها المادية الكحل والخضاب.

الحكمة:

والحكمة في شعر ابن مطير كأنما هي تفكر في أحداث الدهر وتغير الأحوال، وتبدلها، مع استخلاص العظة منها، وبها من النصح والإرشاد، والدعوة إلى الخير والمعروف يقول:¹

فلا تك مغروراً بمسحة صاحب	ومن الود لا تدري علام مصيرها
وما الجود من فقر الرجال ولا الغنى	ولكنه حيم الرجال وحيرها ³
وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها	فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها
إذا يسر الله الأمور تيسرت	ولانت قواها واستنقاد عسيرها
وكم قد رأينا من تكدر عيشه	وحال صفا بعد اكرار غدیرها
وكم طامع في حاجة لا ينالها	وكم بائس منها أتاه بشيرها
وكم خائف صار المخوف ومقتر	تمول والاحداث يحلو مريها*
فنفسك أكرم عن أمور كثيرة	فمالك نفس بعدها تستعيرها
ونفسك فاحفظها ولا نقش للورى	ومن السر ما يطوي عليه ضميرها
فما يحفظ المكتوم من سر أهله	إذا عقد الاسرار ضاع كثيرها
من القوم إلا ذو عفاف يعينه	على ذاك منه صدق نفس وخيرها
ولا تقرب الأمر الحرام فإنه	حلاوته تفنى ويبقى مريها
ولا تهلك الدنيا عن الحق واعتل	لآخرة لابد ان ستصيرها
ومن يتبع ما يعجب النفس لا يزل	مطيعاً لها في فعل شئ يضيرها

¹ - شعر الحسين بن مطير - ص ١٦٧

* الحيم والحير : الأصل والطبيعة

* المخوف: المرهوب-تمول : اغتنى المسحة : الشئ

فحكمته مستخلصة من تجاربه في الحياة فعبر لنا عن تلك المعاني بصدق وعاطفة بها بعض الحزن نتيجة لما نهى عنه. ونجده استخدم أسلوب الذكر أو التكرار في بعض الأبيات فنجد ادوات النفي والنهي ما ولا وكذلك كم الخبرية التي تفيد الكثرة ليؤكد لنا كثرة هذه الصفات ومن الذكر أيضاً كلمة نفسك وهي أيضاً لتقوية المعنى وتأكيده.

واستخدم من علم البديع الطباق بين الفقر والغنى ، الصفا والكدر، يسير وعسير ، حلاوتها ومريرها. كما أنه استخدم البيان في لانت قواها واستقاد عسيرها (استعارة مكنية).

وكذلك في قوله: فما يحفظ المكتوم عن سر أهله إذا عقد الأسرار ضاع كثيرها

وقوله أيضاً: (و حال صفا بعد اكرار غديرها) فجعل الحال كأنه غدير ماء يصفو ويتعكر،

مذهبه وطبقته:

يجمع القدماء على أن الحسين بن مطير الأسدي كان يشبه القدماء والأعراب لا في احتذائه على طريقتهم في صناعة الشعر، بل أيضاً في ملبسه وحياته، ولذلك يقولون إن زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية. ويدل ما بقى من شعره على ذلك دلالة قوية، فهو ينحو نحو القدماء في اختيار الأوزان الطويلة والألفاظ القوية والأسلوب الجزل. وهو من ناحية أخرى يحتفظ في مدائحه بالتقاليد الموروثة وخاصة وصف الأطلال، ووصف الطعائن المفارقة ووصف الرحلة والناقة والصحراء. أما في الغزل يقترب اقتراباً شديداً من الشعراء العذرين.¹ أمثال جميل بثينة وقيس بن الملوح.

¹ - شعر الحسين بن مطير الاسدي - ص ١٢٨

أما طبقته فلم يحددها القدماء ولا قرنوه بأحد من الشعراء غير أن بعض العلماء والأدباء أشادوا به. فيصفه ابن المعتز بأنه من المكثرين المجيدين المعروفين،^١ ويذهب أبو الفرج الأصفهاني إلى انه شاعر متقدم في القصيد والرجز فصيح،^٢ ويصفه ياقوت الحموي بأنه من فحول المحدثين،^٣ أما عبد الله بن طاهر فقد فضله على الشعراء العباسيين جميعاً،^٤ لقوله في مرثيته العينية التي سبق ذكرها ص ٩٩.

وأرجو أن أكون قد كشفت بعض الشيء عن شخصية الحسين مطير والقليل عن حياته وموضوعات شعره، التي عكست بيئته وعبرت عنها خير تعبير.

^١ - ابن المعتز - الطبقات - ص ١١٩

^٢ - الأغاني - ج ١٤ - ص ١١٠

^٣ - معجم الادباء - ياقوت الحموي - ج ١٠ - ص ١٦٧

^٤ - الاغاني - ج ١٤ - ص ١١٣

المبحث الثالث

إبراهيم بن هرمة

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة، وكنيته أبو اسحاق، من فهر من قريش ولد عام ٧٠هـ وهو من أبناء المدينة، وقيل أن أهله ألحقوا بقريش، فسموا بالخلج.^١

وكان ابن هرمة لا يهتم أن يقترن اسمه بقريش التي كانت مطمحاً للانتساب إليها من كل عربي وعجمي.^٢

اتصف ابن هرمة بالقصر والدمامة، واتصل بعبد الله بن الحسن بالمدينة، وكان ينزل عليه وعلى ابنه محمد النفس الزكية، وكان يصاحبهما إلى البادية إذا خرجا إليها. وعاصر الشاعر ابن ميادة وكانا يلتقيان ويتبادلان الحديث والشعر، فكلاهما من شعراء البادية وإن وفدوا على الخلفاء في العراق.

وظل على صلة بعبد الله بن الحسين وابنه محمد وهو من المتشيعين لآل البيت، يقول في النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي:^٣

ومهما ألام على حبه فإني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالمكرمات والدين والسنة القائمة

^١ - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٤، ص ٣٦٨.

^٢ - المرجع السابق، ص ٣٦٧.

^٣ - شعر ابن هرمة، ص ٢١٤.

وصار يتجول بين عشائر العرب في نواحي مكة والمدينة ببوادي الحجاز، وقصد الرؤساء مادحاً واتصل بأبي جعفر المنصور وصار من مادحيه ومقربيه.

وكان ابن هرمة من أبرع الشعراء المخضرمين بين الأموية والعباسية، سمي بساقية الشعراء أو خاتمة شعراء العصر الأموي وخاتمة شعراء العصر العباسي، فهو آخر التقليديين ومن عوفوا بالسير على نهج القدماء وطرائقهم الفنية ولم يتأثر بأسلوب المحدثين.

ويعد الأصمعي ابن هرمة خاتم الشعراء فيقول: (ختم الشعر بابن هرمة).^١

لقد عاصر ابن هرمة أواخر حياة جرير والفرزدق وتأثر بهجائهما كما تأثر بفحولتها في الصوغ والقول والالتزام بالأصول الشعرية، ومن ثم فإنه آخر الشعراء الذين يحتج

وهو معاصر لابن ميادة وإلى العباس الأعمى، وكانت وفاته عام ١٧٦هـ.^٢ على أرجح

الأقوال. أهم أغراض شعره:

^١ - ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، ص ٢٠.

^٢ - البغدادي، عبد القادر بن عمرو - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - تحقيق وشرح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي القاهرة - ط ٤ - ١٩٩٧ - ج ١ - ص ٤٢٥.

^٣ - ابن هرمة - شعره - ص ٢١

المدح:

لم يترك ابن هرمة غرضاً من أغراض الشعر التقليدية إلا وطرقه، والمدح أهم موضوع أدار شعره عليه فممدوحه كثيرون وقد أنفق عمره الطويل في إجتداد معروفهم إذ كان له من ظروفه الحرجة حافز دائم على أن يلتمس لديهم ما ينشده من خطوة ومن رزق.¹

ابن هرمة يستهل مدائحه بالوقوف على الأطلال، وهو الشكل التقليدي لقصيدة المديح الذي ظل مستمراً عند شعراء البادية في العصر العباسي، فهو يستهل قصيدته في مدح السرى ابن عبد الله بمقدمة طللية كعادة البديين؛ يقول:²

أفي ظل قفر تحمل أهله ووقت وماء العين ينهل هامله
تسائل عن سلمى سفاها وقد نأت بسلمى نوى شحط فكيف تسائله
وترجو ولم ينطق وليس بناطق جوابا محيل قد تحمل أهله
ونؤي كخط النون ما إن تبينه تته ذبول من شمال تذائله
فقل للسرى الواصل البر ذي الندى محاً إذا ما بُت صُتَّق قائله
جواد على العلات يهتز للندى كما اهتز غضبُ أخلصته صياقله

فهو يسأل الطلل الذي لا يجيبه، ويصف آثار الديار، ويشبه الحفير الذي حول الخيمة بالهلال، ويذكر أثر الرياح عليه، ثم يصف بالكرم في حالة الشدة وشبهه بالسيف حسن الصنع.

¹ شعر ابن هرمة، ص ٤٥

² السابق نفسه - ص ٨٥.

*النوى: الرحلة، الشحط: البعيدة، المحيل: التغير، النؤى: الحفير حول الخيمة، عفا: درس، الذبول: جمع ذبل وهو ما أنسجت من الريح على الأرض، تذائله: تمسه بسرعة، العلات: الشدائد، الغضب: السيف.

وقال يمدح أبا جعفر المنصور:^١

عفا النعف من أسماء نعف رواوة
سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل
إليك أمير المؤمنين تجاوزت
بزرر امرأة لا يحض القوم سره
إذا ما أبي شيئاً مضى الذي أبى
كريم له وجهان وجه لدي الرضا
فريم فهضب المنتضي فالسلائل
وآذن بالبين الخليط المزييل
بناييد أجواز الفلاة الرواحل
ولا ينتحي الأذنين فيما يحاول
ون قال إني فاعل فهو فاعل
طليق ووجه في الكريهة باسل*

فسمات البداوة تتضح في بدايته ونكر الأماكن وذكر الصحراء بأسمائها البيد والفلاة حتى وصلوا إلى الممدوح فيضفي عليه الصفات المعروفة من كرم وبأس وشدة مستخدماً الألفاظ التي تتناسب معانيه.

وقضى ابن هرمة معظم حياته في بوادي الحجاز منتقلاً فيها ويذهب أحياناً إلى حواضره ليمدح هذا أو ذاك ولكن يذهب بكل أدوات البادية كما رأينا.

^١ - شعر ابن هرمة، ص ١٦٦.

*تجاوزت: قطعت البيد وهي الصحراء، يحض: لا يظهرهم عليه، انتجى: شاور، الطليق: الضاحك، الباسل: الصلب القوي والمر العابس

الفخر:

افتخر بكرمه ومن ذلك قوله:^١

كُنْ ضَيْفِي إِذَا تَأْوَيْتَنِي أَوْسَعُ أَيْبَاتِنَا وَأَدْفُوهُنَا
لَسْتُ بِذِي ثَلَاثَةِ مُونَفَةٍ أَقْطُ أَلْبَانَهَا وَأَسْأَلُوهَا
خَيْرَ الرِّجَالِ الْمَرْهُفُونَ كَمَا خَيْرَ تَلَاعِ الْبِلَادِ أَوْطُوهُنَا

يصف نفسه بالكرم وأنه لا يتاجر بأغنامه ولا يضيع ألبانها ليستخرج منها الأقط والزبد لبيبهه.

ويقول أيضاً في المعنى ذاته:^٢

كَيْفَ احْتِيَالِي لِبَسْطِ الضَّيْفِ مَنْ حَصَرَ عِنْدَ الطَّعَامِ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ حِيلِي
أَخَافُ تَرْدَادَ قَوْلِي (كُلِّ) فَأَقْطَعُهُ وَالسَّكْتَ يَنْزِلُهُ مِنِّي عَلَى الْبُخْلِ

فالمعنى رائع ينم عن مدى اهتمام شاعرنا بضييفه وحفاوته وبيحث عن حيلة أو معنى غير قوله (كل) ولا يريد أن يسكت عنه حتى لا يوصف بالبخل.

^١ - شعر ابن هرمة، ص ٥٨.

^٢ - السابق نفسه ص ١٨٢.

*الثلة: جماعة الغنم، موانعة: محافظ عليها، أقط الطعام: عمله، ملأ السمن طنجه وأذاب زبده، امرهقون: جمع مرهق وهو الذي يغشاه السائلون والأضياف، التلاع: جمع تلعة وهي مسيل الماء إلى الوادي.

الغزل:

أما غزله فمنه ما نظمه تقليدياً فكان معيناً يستمد منه علماء اللغة والنحو قواعدهم، أو ليثبت به بعض ظواهر اللهجة القرشية فقد قيل أن قريش لا تهمز فقال قصيدته الهمزية، ومنها ما عبّر به عن مشاعره وحياته الماجنة. يقول متغزلاً:^١

هل ما مضى منك يا أسماء مردود أم هل نقضت مع الوصل المواعيدُ
أم هل لياليك ذات البين عايدهُ أيام يجمعنا خلص فبالدودُ
أقصرت عن جهلي الأذى وجماني زعُ من الشيب بالفودين منقودُ
إن الغواني لا تتفك غانية منهن يعتادني من حبها عيدُ

الوصف:

وقال يصف فتاة:^٢

ثم قامت من حولها أترابها وعتة الأرداف غرتي الملتزم

وقال يصف مهيبة:^٣

لا يرفعون إليه الطرف خشيته لاخوف بأس ولكن خوف إجال

^١ شعر ابن هرمة، ص ١٠٠.

^٢ السابق نفسه - ص ١٩٢.

^٣ السابق نفسه - ص ١٨٢.

* خلص: موضع بين مكة والمدينة فيه قرى ونخل - موضع من نواحي المدينة، الفودان: جانب الرأس - منقود - معاب، الغواني: جمع غانية وهي الفتاة الجميلة، العيد: الشوق، وعتة الأرداف: ممثلثة العجيزة، غرتي الملتزم: رقيقة الخصر.

وقال يصف ناقة:¹

ترى ظلها عند الرواح كأنه لى دقّها رأل يخب جنيب

والمعنى أن ظلها من سرعتها يضطرب اضطراب الرأل (ولد النعام) وذلك عند الرواح. يقول إنها وقت كلال الإبل نشيطة منبسطة.

الرثاء:

يقول في رثاء قومه:²

ما أظنّ الزمان يا أم عمرو ناركأ إن هلكت من بيكيني
كم أخ صالح وعم وخال وابن عم كالصارم المسنون
قد جلتة عنا المنايا فأمسى أعظما تحت ملحدات وطين
رهن رمس ببهوة أو حزير يالقوم للميت المـدفون

فهو بيكي قومه الذين رحلوا عنه حتى أنه توقع ألا يرثيه أحد بعد موته فلم يبق منهم أحد وذكر من الأماكن التي فيها قبورهم - بهوة وحزير.

وقال يرثي إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس:³

¹ شعر ابن هرمة، ص ٦٧.

² المرجع السابق، ص ٢١٨.

³ المرجع السابق ص ٢٢١.

* الدف: الجنب - الرأل: ولد النعام - الخيب: ضرب من سير الإبل، الجنيب: النشيط.
*الرمس: القبر، بهوة ماء باليمامة - بهوة الوادي وسطه - الحزير: المكان الغليظ. عليت: أفقرت وأبست.

ند كنت أحسبني جلدًا فضعضني قبر بحران فيه عصمة الدين
فيه الإمام وخير الناس كلهم بين الصفائح والأحجار والطين
فيه الإمام الذي عمت مصيبتُه وعيلت كل ذي مال ومسكين

ونجده كلما رثا أحدهم يذكر القبر والطين ويظهر عاطفة الحزن والتفجع على فراقه
وكذلك يستخدم أسلوب الذكر لتقوية المعنى وتأكيدِه كان يقول (فيه الإمام .. فيه الإمام) دلالة
واضحة على ألمه وحسرتِه كما أنه يثير عاطفة الحزن فيمن حوله ببيكائه على المرثي.

الهجاء:

عرف ابن هرمة بالهجاء المؤلم لخصومه، قال يهجو جماعة نزارية جفت قومها
وحالفت اليمانيين:^١

ما عادت لذي يمن رؤوساً ولا ضرت بفرقتها نزارا
كعنز السوء تنطح من فلاها ترام من يحد لها الشفارا

وقال يعرض بعبد العزيز بن المطلب لرفضه وصله، وبآل عامر الذين أجازوه استهانة
بكرامة آبائهم:^٢

نطبت إلى كعب فردوك صاغراً فحولت من كعب إلى جنم عامر
وفي عامر عز قديم وإنما أجازك فيهم هزل أهل المقابر

^١ شعر ابن هرمة، ص ١١٨. الأغاني، ج ٤، ص ٣٩٤. فلاها: بحث في شعرها وحكمها.

^٢ المرجع السابق ص ١٢٨.

* عيلت: أفقرت وأبست

وقد عاب بعضهم شعره فهجاه بقوله:^١

ياك لا الزمن لحبيك من لُجمي كِلا يَنكُل قِراصا من اللُجمِ
يدق لحبيك أو تنقاد متبعا مشى قيَّـد ذي القَردان والطمِ
أنى إذا ما أمرؤ خفت نعامته إلى واستحصرت منه قوي الودمِ
عقدت في ملتقى أوداج لبتة طوق الحمامة لا يبلى على القدمِ

فالروح والمعاني البدوية واضحة جلية في الألفاظ والمعاني والصور فهو يخرج الشعر كما جادت به قريحته التي عدها أهل عصره جافية عن مألوفهم في الشعر آنذاك.

الحكمة:

أما حكمه فخلاصة تجاربه ودليل فكره في حياته. ومن ذلك:^٢

إن الذي شق فمي ضامن لي الرزق حتى يتوفاني

وكذلك قوله:^٣

إذا أنت لم تأخذ من اليأس عصمة تشد بها في راحتك الأصابع

^١ شعر ابن هرمة، ص ٢١٠.

^٢ المرجع السابق ص ٢٢٥.

^٣ شعر ابن هرمة، ص ١٤٠.

* طرق الماء: الماء المجتمع الكدر - الرقيق: الكدر - المشارع: مورد الماء.

* النكل: اللجام، القردان: دويبة صغيرة - الحلم: الصغير أو ضخم من قردان، الودم: سيور تُقدُ مستطيلة - استحصدت قواه: أحكم فتلها وهي كناية عن الغضب - خفت نعامته: كناية عن جهله وإساءته

شربت بطرق الماء حيث لقيته على رنقٍ واستعبدتك المطامع
وأصرف عن بعض المياه مطيتي إذا أعجبت بعض الرجال المشارع
وفي اليأس عن بعض المطامع راحة ويا رب خير أدركته المطامع

فحكمته مستفاعة من تجاربه وأثر البيئة واضح في استخدامه للصور البيانية من كناية
واستعارة (استعبدتك المطامع) وقوله:^١

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع
وينال حاجته التي يسمو لها ويُطَلُّ وترُ المرء وهو وضيع

الكناية في قوله (وجيب قميصه مرقوع).

ومن المعاني القديمة كلمة (وطلُّ) ونجدها مكررة عند شعراء العصر الجاهلي الذي
كثرت فيه الحروب والغارات وكانت من أهم مميزاته . يقول السموأل بن عاديا:^٢

ما مات مذّا سيد حتف أنفه ولا طُلّ منا حيث كان قتيل

فالأخذ بالنثار أمر ليس فيه جدال حتى ولو كان الشخص وضيع المكانة، وهو من
الصفات التي يفتخرون بها.

^١ شعر ابن هرمة، ص ١٤٣.

^٢ ابن عبد ربه-العقد الفريد-ج ١-ص ٩٣

* طل: أهدر، الوتر - الدم والنثار.

ويقول في العتاب:^١

فإنني ومُنْحِيكَ غير المصيب كالكلب ينبح ضوء القمر
مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كعاصر جنب الحجر

فالشاعر نجده مدح معاوية بن عبد الله بن جعفر فلم يعطه شيئاً لضيق يده. فعاتبه مستخدماً من الأمثال ما يدل على خيبة الأمل ومن الكناية ما يدل على عدم اهتمامه به.

وهكذا نجد أسلوبه يقترب كثيراً من "أساليب الشعراء الجاهليين والإسلاميين بقوته ومتانته ونصاعته، مما يجعل الأصمعي يصفه بأنه (ثبت فصيح)^٢، ومما جعل الخطيب البغدادي يقول فيه:^٣ (إنه شاعر مفلق فصيح مجيد حسن القول). أما عبد القادر البغدادي فيصفه بأنه شاعر مطبوع.^٤

^١ شعر ابن هرمة، ص ١١٤.

^٢ الأصمعي-فحولة الشعراء، ص ٣٢.

^٣ البغدادي-تاريخ بغداد، ج ٦، ص ١٢٨.

^٤ البغدادي-خزانة الأدب، ج ١، ص ٢٠٤.

* كالكلب ينبح ضوء القمر (مثل يضرب على خيبة الأمل).

المبحث الرابع

على بن الجهم

هو الحسن على بن الجهم القرشي، ينتهي نسبه إلى لؤى بن غالب - توطن قومه البحرين وخرجوا إلى خراسان بعد فتحها، وقد خرج أبوه لجهم إلى بغداد وكان وجيهاً ومقديماً، فهو تولى المناصب الرفيعة في خلافة المأمون والوائق. وكان لعلى أخ هو (محمد) عالم وأديب، تولى للمأمون عدداً من الولايات، وتولى دمشق للمعتصم، ولأسرته عموماً يد موصولة بالسلطان.^١ وقد نقل ابن العربي في كتابه محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار أن الشاعر كان بدوياً جافياً، مدح الخليفة الرشيد بما يدل على تلك البدوية في قوله:^٢

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب
أنت كالذئب لا عدمنك دلوا من كبار الدلا كثير الذنوب

ثم ما لبث أن انتظم في حياة الحضارة فصدر عن مثل هذه القصيدة في مدح المتوكل:^٣

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

ولما بلغ السن التي يذهب بها الصغار إلى الكتاب بدأ يذهب كل يوم من داره في شارع نحيل ببغداد إلى كتّاب في الحي يجمع بين صغار الصبيات والبنات وكان على حسن الوجه ذكي الفؤاد كثير النشاط، ظهرت عليه مخايل النجابة منذ طفولته، فكان يسعر البيت

^١ - الداية، د. محمد رضولن أعلام الأدب العباسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م، ص ٤٤.

^٢ - على بن الجهم، الديوان - دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٤٩م، ط٢، ١٩٩٦م. ص ٧٨

* من معاني الذنوب الدلو والخط والنصيب.

^٣ - على بن الجهم، ديوانه، ص ١٣٥.

وثباً وقفزاً وضجيجاً حتى أقلق والده بضوضائه وجلبته فسأل أبوه معلم الكتاب يوماً أن يحبسه في الكتاب. فلما رأى على رفاقه ينصرفون إلى دورهم وهو محبوس ضاق صدره فأخذ لوحة وكتب إلى أمه:^١

يا أمتا أفديك من أم أشكو إليك فظاظه الجهم
قد سرح الصبيان كلهم وبقيت محصوراً بلا جرم

وبعث باللوح إليها مع رفيق له من الصبيان. قال على "وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي، فأرسلت إلى أبي والله لئن لم تطلقه لأخرجن حاسرة أطلقه".

ومن حوادثه في الكتاب أن أخذ لوحه يوماً وكتب فيه إلى بنت صغيرة كانت معه:^٢

ماذا تقولين فيمن شفه سهر من جهد حبك حتى صار حيرانا

وهكذا بدأ يقول الشعر وهو صغير جداً ولعله كان دون عشر سنوات من عمره. والمعروف عنه أنه نشأ في أسرة جمعت بين العلم والأدب والشرف والوجاهة والثراء.

وقربه المتوكل واتخذة جليساً ونديماً وجعله من خاصة ندمائه. ويطلع على أموره الخاصة بينه وبين حظيانه وجواريه. وكان ينادم المتوكل مع على بن الجهم ويسمر عنده في الليل جماعة من الشعراء فضلاً عن المغنين والقيان، والمضحكين وكان ابن الجهم يتعالى عليهم ويراهم دونه، فاتفقوا عليه وكادوا له وسعوا به لدى المتوكل فتغير قلب المتوكل عليه وأمره بأن يلزم داره ففعل وانقطع ، ولكن الندماء لم يققوا عند هذا الحد فزعموا أنه كثير الطعن

^١ - على بن جهم، الديوان ص ٨.

^٢ - السابق نفسه - ص ٨.

على الخليفة والإزاء على أخلاقه فغضب المتوكل وأمر بحبسه فكان أول ما قال في الحبس
قصيدة كتب بها إلى أخوه ليوصلها إلى الخليفة أولها: ^١

توكاننا على رب السماء وسلمنا لأسباب القضاء

صفته وأخلاقه:

كان على بن الجهم وسيم الطلعة حسن الجسم فارساً شجاعاً أشار إلى وضاءة وجهه أبو تمام
الطائي بقوله: ^٢

بأي نجوم وجهك يستضاء أبا حسن وشيمنتك الإباء

ويشير البحتري إلى سحر جماله بقوله: ^٣

يا على بل يا أبا الحسن الما لك رق الظرفية الحسناء

على نفسه يشير إلى وسامة وجهه وحسن جسمه بقصيدته التي قالها لما صلب مجرداً
من ثيابه بأمر المتوكل: ^٤

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم حسناً وملء صدورهم تبجيلاً

ما عابه بـرّ عنه لباسه فالسيف أهول ما يرى مسلولاً

^١ - على بن جهم، الديوان - ص ١٤.

^٢ - السابق نفسه - ص ٢٤.

^٣ - السابق نفسه الصفحة نفسها

^٤ - السابق نفسه الصفحة نفسها

مذهبه في الدين والسياسة:

كان يفخر بالتدين ويمدح به ويرى كل مصيبيه دون مصيبة الإنسان في دينه. قال:^١

إن المصائب ما تعدت دينه نَعِمَ وَإِنْ صَعُبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلًا
هل تملكون لدينه ويقينه وجنانه وبيانه تبديلا

أما مذهبه فمذهب أهل الحديث الذين يقفون عند ظاهر الكتاب والسنة يتشدد في تسننه، وكان إمام أهل السنة في عصره الإمام أحمد بن حنبل فمال إليه على بن الجهم وكان يتردد عليه ويسأله ويروى عنه، حتى عُذَّ من الطبقة الأولى من طبقات الحنابلة ممن روى عن الإمام أحمد.

مذهبه في السياسة:

كان على بن جهم مخلصاً للخلافة العباسية فخوراً بالتشبع لها، يعتقد أن بني العباس أولى الناس بسياسة الأمة وتولي أمورها، لا تصلح إلا عليهم ولا تنقاد إلا إليهم، وتراه يفخر بخراسنيته سياسة كما يفخر بقريشيته نسباً وذلك أن خراسان كانت موطناً لأبائه حيناً من الدهر وكان اعتماد بني العباس عليهم. يقول للمتوكل:^٢

مذهبي واضح وأصلي خرا سان وعزى بعزكم موصول

وفاته:

كانت في سنة ٢٤٩هـ^٣. وهو متوجهاً إلى الغزو، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من كلب فقاتلهم قتالاً شديداً وقتل.

^١ - على بن جهم، الديوان ص ٢٧.

^٢ - السابق نفسه، ص ٦

^٣ - الأصفهاني - الأغاني - ج ١٠ ص ٢٤٧

أغراض شعره:

وأبواب شعره يمكن إرجاعها إلى المديح والرثاء والوصف والغزل والفخر والحكمة والهجاء. وهناك باب جديد لعله أول من نظم فيه هو نظم حوادث التاريخ.

أولاً المدح:

شعره في المدح جزل رصين فيه إحكام ودقة وإشادة بما خص به الممدوح من المزايا والفضائل. ومن قوله في مدح المتوكل:^١

وسطح على شاهق مشرف
إذا الريح هبت لها أسمعت
عليه النخيل بأثمارها
وفوارة ثأرها في السماء
غناء القيان بأوتارها
تُرد على المزن ما أنزلت
فليست تقصر عن ثأرها
على الأرض من صوب مدرارها
إلى أن يقول:

فلا زالت الأرض معمورة
بعمرك يا خير عمارها
فيف كرمه وعرانه الأرض فيذكر الماء المندفِع والسحاب والرياح والنخيل.

وقال يمدح المعتصم:^٢

متى عطلت رباك من الخيال
سقيت معاهداً صوب الغمام

١- على بن جهم، الديوان - ص ١٤٨.

٢- السابق نفسه - ص ٢٠٣.

* الفوارة: منبع الماء المندفِع.

ثم قال: ^١

قفوا حيوا الديار فإن حقاً علينا أن نحى بالسلام

وقال: ^٢

خليبي الهوى خلق كريم وفاء إن نأت بالجار دار
قُصّر عنه أخلاق اللئام ورعيًا للمودة والذمام

ويقول: ^٣

إليك خليفة الله استتقت قلائص مثل مجفلة النعام
تراه كالسراة معمعات إلى اللبات من جعد لُغام

ويقول أيضاً: ^٤

وأنت خليفة الله المعلى على الخفاء بالنعمة العظام
لسيفك دانت الدنيا وشئت عرى الإسلام من بعد انفصام

القصيدة طويلة واستخدم في بدايتها كل الصور التقليدية الدعوة بالسقيا وتحية الديار التجرد بالحديث عن الهوى ثم يصف الدابة بألفاظ بدوية فيها شيء من الصعوبة ثم ينتقل بعدها ليمدح الخليفة برفعة المكانة وحمايته للإسلام معبراً عن قوته وشجاعته بالسيف رمزاً للمعنى.

^١ - على بن جهم، الديوان ص ٢٠٤

^٢ - السابق نفسه - ص ٢٠٥

^٣ - السابق نفسه - ص ٢٠٦

^٤ - السابق نفسه - ص ٢٠٨

* استقل: ذهب وارتحل - القلائص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة، السراة: جميع سى - اللبات: جمع لبة وهي المنحر - الجعد المتراكم - النعام: زيد أفواه الإبل.

الفخر:

ولشدة اعتداده بنفسه يكثر الفخر في كثير من قصائده فيفخر بنفسه ونسبه ودينه وعلمه وشجاعته وكرمه ووسامته. يقول عندما صُلب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أنزل:^١

لن تسابوه وإن سلبتم كل ما خولتموه وسامة وقبولا*
هل تملكون لدينه ويقينه وجنانه وبيانه تبديلا
لم تتقصوه وقد ملكتم ظلمه ما النقص إلا أن يكون جهولا
كادت تكون مصيبة لو أنكم أوضحتم ذنباً عليه جليلا
لو نصف الأيام لم تعثر به إذ كان من عثراتهن مقبولا

الرشاء:

وله في رثاء المتوكل قصيدة هي من أجمل قصائده، تدل على وفاء عظيم بعد أن آذاه المتوكل. وصف في أولها سحابة جعلها رمزاً للمتوكل وفيها براعة في حسن التخلص من المقدمة للغرض يقول فيها:^٢

وسارية ترتاد رُضاً تجودها نغلت بها عيناً قليلاً هجودها
أنتنا بها ريح الصبا وكأنها فتاة تزجيهما عجوز تقودها

ويقول:

فلما أضرت بالعيون بروقها كادت تُصمُّ السامعين رعودها

^١ على بن جهم، الديوان، ص ١٨٦.

^٢ ديوانه، ص ١١٣.

* الوسامة: أثر الحسن.

* السارية: السحابة تأتي ليلاً.

إلى أن يقول:

فمرت تقوت الطرف سبقاً كأنما
وخلت أمير المؤمنين مجّداً
جنود عبيد الله ولت بنودها
نهيذاً ومن خير الملوك شهيدها

الوصف:

أما شعره في الوصف ففيه براعة ودقة وهو يصور الموصوف كأنك تراه وفي هذا دلالة على قوة ملاحظته ودقة شعوره وسعة خياله يقول في وصف الليل:¹

كم قد تجهمني السرى وأزالني
وهزرت أعناق المطي أسومها
ليل ينوء بصدرة متطاول
حتى تولى الليل ثاني عطفه
نصداً ويحجبها السواد الشامل
وخرجت من أعجازه وكأنما
وكان آخره خضاب ناصل
ورأيت أغباش الدجى وكأنها
تذ في بُردي رمح ذابل
وحميت أصحابي الكرى وكأنهم
حزقُ النعام ذعرن فهي جوافل
فوق القلاص اليعملات أجادل

نجد براعة التصوير تكمن في تشبيهاته من البيئة البدوية- الخضاب الناصل - الرمح الذابل جماعة النعام - الإبل الأصيلة.

¹ على بن جهم، الديوان - ص ١٧٦.

*الأغباش: جمع غباش وهو بقية الليل - الحزق وهي الجماعة، القلاص: جمع قلوص وهي الشابة من الإبل، اليعملات: جمع يعملة وهي الناقة النجيبة والأجادل: جمع أجدل وهو الصقر.

الغزل:

وشعره في الغزل من عيون الشعر وذلك أنه كان بطبعه ميالاً إلى اللهو والتمتع بالجمال على اختلاف مظاهره وساعد على ذلك وسامة وجهه وحسن بيانه وكونه من الطبقة العليا، ثم اختصاصه بالمتوكل ومنادمته له نحو سبع سنين، وشهوده مجالس اللهو والغناء في قصور الخلافة وله فلسفة في تفسير الهوى نجدها في قوله الذي سبق ذكره:^١

خليلي الهوى خلق كريم :قَصَّرَ عَنْهُ أَخْلَاقَ النَّأْمِ
وفاء إن نأت بالجار دار ورعيًا للمودة والذمام
كأنه يرى أنه لا حياة دون لهو وغزل.
ويقول أيضاً:^٢

نزلنا بباب الكرخ أفضل منزل على محسنات من قيان المفضل
فلابن سريح والغريض ومعبد ودائع في آذاننا لم تبذل
أوانس ما فيهن للضيف حشمة ولاردهن بالمهيب المجل
يسر إذا ما الضيف قل حياؤه يغفل عنه وهو غير مغفل
ويكثر من ذم الوقار وأهله إذا الضيف لم يأنس ولم يتبذل
إلى أن يقول:

فبادر بأيام الشباب فإنها تقوت وتقنى والغواية تنجلي
ودع عنك قول الناس أتلف ماله فلان فأمسى مدبراً غير مقبل
هل العيش إلا ليلة طرحت بنا وأخرها في يوم لهو معجل

^١ - علي بن جهم، الديوان - ص ٢٠٥

^٢ - المصدر السابق نفسه - ص ١٨٨

* ابن سريح والفريضة ومعبد من أشهر المغنيين في العصر الأموي. تبذل: ترك التصاون.

الهجاء:

قال المسعودي: (... وكان في لسانه فضل قلّ من يسلم معه منه).^١ كان يتعال على ندماء المتوكل كما ذكرنا فسعوا به إلى الخليفة وأقنعوه بأنه هجاه فلم يستبعد ذلك وكانت هذه المكيدة سبب محنته فهجا خصومه ممن عابه وأغتابه يقول:^٢

بنّي متيم هل تدرون ما الخبر	كيف يُسُتر أمر ليس يستتر
حاجيتكم من أبوكم يا بني عصب	شنتي ولكنما للعاهر الحجر
ند كان شيخكم شيخاً له قطر	لكن أمكم في أمرها نظر
ولم تكن أمكم والله يكلؤها	محجوبة دونها الحراس والسُتر
كانت مغنية الفتيان إن شربوا	وغير ممنوعة منهم إذا سكروا

فنجده في هجائه هذا لا يتورع عن هتك الأعراض وانتهاك الحرمات فيهجوهم بوضاعة الأصل.

الحكمة:

ومن الحكمة قوله:^٣

إذا اجتمع الآفات فالبخل شرها	وشر من البخل المواعد والمطل
لا خير في وعد إذا كان كاذباً	ولا خير في قول إذا لم يكن فعل

وفي مثل هذا البيت أنشد النابغة الجعدي يقول:^٤

^١ مروج الذهب، ج ٢، ص ٢٧٥.

^٢ علي بن جهم، الديوان - ص ١٢١. حاجيتكم: كلمتكم.

^٣ علي بن جهم، الديوان - ص ١٨٣.

^٤ القرشي، أبو زيد - جمهرة اشعار العرب - دار نهضة مصر - ج ٣٨ ص ٣٨

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدر
ولا خير في جهل إذا لم يكن فيه حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم: ^١ (لا يفضض الله فاك) وقيل عاش النابغة أكثر من مائة سنة ولم تنكسر له سن واحدة.

ويقول ابن الجهم: ^٢

الله يعلم حيث يجعل أمره ما عالم أمراً كمن هو جاهل

وفي هذا المعنى يقول السموأل بن عاديا من شعراء العصر الجاهلي: ^٣

سلي إن جهلت الناس عناوعنهم فليس سواء عالم وجهول

فطريقته على نهج القدامى واضحة وحكمه من تجاربه في الحياة.

^١ - الحدادي-زين الدين محمد- فيض القدير شرح الجامع الصغير-المكتبة التجارية الكبرى-مصر ط١-١٣٥٦هـ-ج٣ ص٤١٧

^٢ - علي بن الجهم-ديوانه-ص١٨٤

^٣ - البغدادي-خزانة الأدب-ج١٠ ص٣٣١

المبحث الخامس

ابن ميادة

هو الرماح بن أبرد بن ثوبان المري، ينسب إلى ظالم بن مرة من ذبيان ، وكانت مساكنهم بين فدك وخيبر في الشمال الشرقي من المدينة، وابن ميادة عربي أصيل من غطفان التي أنجبت النابغة والشماخ، وهو أحد الشعراء الذين عرفوا بأهمهم فنسبوا إليها على غير عادة العرب المألوفة فينسب الرجل إلى أبيه، ويقال أنه كان أحمر مبسوط الجسم، نظيف الثياب يتطيب ويهتم بمظهره، وابن ميادة عربي صحيح النسب، صادق في ولائه لعرويته وليس في أدبه نفس شعوبي، كما أول بعض الدارسين قوله:^١

أنا ابن ابي سلمى وجدي ظالم وأمي حسان حصنتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى وظالم بأكرم من نيظت عليه التمام

فابن ميادة يزعم أن أمه فارسية ، ومن ثم فقد جعل من فارسيتها مفخرة له، الأمر الذي يوهم بشعوبيته:^٢ (ولكن الرجل وقد كانت أمه جارية مشتراة بالمال ولدته في ظروف غير كريمة ، رأى أن ينتحل لها نسبا ، فلما كان انتحال العروبة نسبا لها أمرا مستحيلا لأنها جارية مشتراة ، ولأنها كانت من بنات الصقلب ، وبالتالي فإن السمات العربية بعيدة عن أن تنطبق عليها فقد هدى الشاعر تصوره أن يلحقها بالفرس).

ونجد بقية أبيات ابن ميادة في القصيدة نفسها تؤكد صدق عرويته ، وابتعاده عن الشعوبية إذ يقول:^٣

^١-البغدادي-خزانة الأدب-ج١-ص١٦٠

^٢-الشكعة، رحلة الشعر-ص٤٣

^٣-ابن ميادة-شعره-٢٢٧

لو أن جميع الناس كانوا بتلعة
وَجئْتُ بجدي ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا
سجودا على أقدامنا بالجمام
ويؤكد ابن ميادة عربيته ويتعنى مفتخرا بها وبانتماء قومه لها:^١

سقتني سقاة المجد من آل ظالم
بأرشية أطرافها في الكواكب

وكتب في أغراض الشعر المختلفة معبراً عن عربيته وبدأوته.

أغراض شعره:

المدح:

وبعد تولي العباسيين الخلافة قصد أبا جعفر المنصور ومدحه بقصيدة يقول فيها:^٢

وكواعب قد قلن يوم توأعد
قول المجد وهن كالمزاح
ياليتنا في غير أمر فادح
طلعت علينا العيس بالرماح
بيننا كذاك رايتني متعصباً
بالخز فوق جلالة سرداح*
فيهن صفراء المعاصم طفلة
بيضاء مثل غريضة التفاح

ومنها في مدح المنصور:^٣

^١ - ابن ميادة - شعره - ٨٣

^٢ - ابن ميادة - شعره - ص ٩٩

^٣ - المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها

* الناقة البطحة - السرداح : الطويلة الكثيرة اللحم

فلئن بقيت لألحقن بأبحر ينمين لا قطع ولا انزاح
ولآتين بني علي إنهم من يأتهم يتلق بالإفلاح
قوم إذا جُلبُ الثناء إليهم بيع الثناء هناك بالأرباح
ولأجلسن إلى الخليفة إنه رحب الفناء بوسع بحباح*

ونلاحظ البداية البدوية التقليدية في وصف الناقة والرحلة ووصفه للممدوح بالكرم ونجده قد عبّر عن هذه الصفة بأساليب عدة مصورة لبيئة وثقافته البدوية.

الفخر:

ويفتخر ابن ميادة بصفاته الحسنة ورفعة مكانته التي تكون اقرب للكواكب، يقول:¹

أ ابن ميادة تهوى ذُجبي صلت الجبين حسن مُركبي
ترفعني أُمي وينميني أبي الجلالة فوق السحاب ودوين الكوكب

وقال يفخر بشعره:²

فجرنا ينابيع الكلام ويحره فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر إلا شعر قيس وخندف وقول سواهم كافة وتملح

ونلاحظ جمال التصوير لشعره بالينبوع والبحر الذي يسبح فيه الرماة وهذا ينم عن خيال واسع ومبتكر. ويقول مفتخراً بكرمه:³

أنا ابن ميادة عقار الجزر كل صفي ذات ناب منفطر

¹ - شعر ابن ميادة - ص ٧٠

² - السابق نفسه - ص ٩٧

³ - السابق نفسه - ص ١٦١

* بحباح : كثير العطاء

ونجده يكرر دائماً في فخره قوله "أنا ابن ميادة". يقول أيضاً:^١

أنا ابن ميادة لباس الحلل
أمر من مر وأحلى من عسل
حتى إذا الشمس دنا منها الأصل
تروحت كأنها جيش رحل
فأصبحت بصعبي منها ابل
وبالرجلاء لها نوح تكل
يتبعن سدو سبط جعد رفل

ويتضح أسلوبه البدوي في ألفاظه وطريقته وذكره للإبل وصفاتها واسماء بعض الأماكن.

ويفتخر الشاعر كثيراً بأمه وينسبها إلى الأعاجم يقول:^٢

أنا ابن أبي سلمى وجدي ظالم وامي حصان أخلصتها الأعاجم
اليس غلام بين كسرى وظالم باكرم من نيظت عليه التمام
لو أن جميع الناس كانوا بتلعة وجئت بجدي ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجود على أقدامنا بالجمام

^١ - شعر ابن ميادة - ص ٢١٨

^٢ - السابق - ص ٢٢٧

*الناقة الصفي : الناقة الحلوب - صعبي : موضع بشرق الكوفة و اليمامة

°الرجلاء : موضع قرب صعبي

°السدو : مد اليد نحو الشيء - رفل : يعبر طويل الذنب او سايق الذنب

ويؤكد ابن ميادة عرويته ويتغنى مفتخراً بها وبانتماء قومه لها إذ يقول:^١

سقتني سقاة المجد من آل ظالم بأرشية أطرافها في الكواكب

الغزل:

الغزل عند ابن ميادة يتسم بالرقّة والسلاسة والعفة التي يقصد إليها وتحتشم صورته كعادة العذرين الذين تخرجوا عن إيراد الصور الخليعة.

قال:^٢

ياخليلي هجرًا كي تروحا هجمتا للروح قلباً قريحاً
إن تريغا لتعلما سر سعيدي تجداني بسر سعيدي شحيحاً
إن سعيدي لمنية المتمني جمعت عفة ووجهاً صيباً
كلّمتني وذاك ما نلت منها إن سعيدي ترى الكلام ريحاً

وصفها الشاعر كما نرى بالعفة وجمال الوجه، ويذكر أنه لا يبوح بسرّها لصاحبه، وهذا هو نهج شعراء الغزل العفيف، ونجده يستخدم أسلوب الذكر في تكراره لاسم محبوبته سعيدي متلذذاً باسمها المحبب إلى نفسه.

يقول متغزلاً:^٣

واني على سوط الهوى ذو تجلد أصابره ما لم اجد عنه مخرجا
ولا عيش ألا أن تبيت ملهوجا على نار من تهوى وتصيح منضجاً

^١ - ابن قتيبة : الشعر والشعراء - احمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر - ١٩٧٦م - ص ١٧١

^٢ - شعر ابن ميادة - ص ٩٨

^٣ - المصدر السابق نفسه - ص ٨٩

وألفاظه البدوية واضحة في غزله. ويقول في ام جدر:^١

واني لان الفاك يا أم جدر
ومن اجلها كلفتها النص والسرى*
بذكراك حتى طار عن رأسه الكرى
ويحتل اهلانا جميعاً لأيس
وأشعت قد نبهته وهو ناعس
كما طار فرخ البانة المتمايس

ويقول أيضاً في أم جدر قصيدة يقتفي فيها اثر زعماء الغزل العذري العفيف:^٢

ألا حيبا رسما بذى العش مقفرا
ألا لا تعد لي لوعة مثل لوعتي
اضربه حتى تنكر عهده
فذا العش أسقيت الغمام ولا يزل
فاجب دار دارها غير انني
عشية اثنى بالرداء على الحشي
يميل بنا شط النوى
وربعا بذى الممدور مستعجما قفرا
عليك بأدمي الهوى يرجع الذكرا
حراجف يسفرن الرغام بها سفا
ترود بك الآجال مغلولباً نضرا
اذا ما اتيت الدار ترجعني صفرا
كان الحشي من دونه اسعرت جمرا
عداد الثريا صادفت ليلة بدرا

نجده ذكر لنا من الالفاظ البدوية والأمكنة والرياح- عدد الثريا أي ما يأتيها في السنة
الا مرة واحدة - وسقيا الأرض بالسحاب والمطر والتفاف نباتات الأرض لاغولب - كل هذه
العبارات توضح مدى تاثر الشاعر ببيئته، ويوضح كذلك إحساسه بالشوق لمحبوته ام جدر
بعد ان خرجت مع زوجها للشام.

^١ - شعر ابن ميادة - ص ١٦٣.

^٢ - المرجع السابق نفسه-ص ١٣٢

* نص الدابة : رفها في السير - السري : سير الليل

* حراجف : ج(حرجف) وهي الريح الباردة - يسفرن : يكنسن - الرغام : دقيق التراب او الرمل المختلط بالتراب

* ذو العس: موقع في بلاد بني مرة - من اودية القصيدة نواحي المدينة - المدينة : هو موقع في ديار غطفان - الآجال : جمع أجل وهو القطع من بقر الوحش. اغولب النبات: اذا التف واغلوليت اذا التف عليها.

الوصف:

وله قصيدة في وصف الناقة من الرجز يقول فيها:¹

حمراء حمراء منها ضخمة المكان
ساطعة اللبة والجران
كانها والشول كالشنان
من كل حمراء القرا هجان
تميس في حلة ارجوان
لو جاء كلب معه كلبان
أو لآعب في كفه نُقَّان
أو زافنان ومغنيان
ما برحت أعظمها الثماني
الدهر أو تملأ ما تداني
من العلاب ومن الصحان*

¹ - شعر ابن ميادة - ص ٢٣٥

* حمراء : ناقة حمراء لم يخالط حمرتها شي - ساطعة : ممتدة - اللبة: وسط الصدر والمنحر - الجران : باطن العنق - الشنان: القرية - الشول: الابل التي اتى عليها من حملها او وضعها سبعة اشهر فخف لبنها - العلاب : جمع علبة وهي اناة من الخشب يحلب فيه اللبن - الصحان : ج صحن وهو القدر لا بالكبير ولا بالصغير

أسلوب الشاعر وطريقته في وصف الناقة توحى بأنه ما عاش في بيئة غير البادية، ولم يلتق بأهل الحضرة فذخيره من العبارات والألفاظ البدوية لا يُعلَى عليها وثقافته بالإبل وصفاتها تؤكد أصالته وحبه لبيئته.

ومما يروى من شعره الجيد في حب الوطن قوله:^١

ألا ليت شعري هل ابين ليلة بحرّة ليلي حيث ربتني أهلي
بلاد بها نيطت على تمانمي وقطعت عني حين ادركني عقلي

والصورة نجدها بدوية يحن فيها الشاعر الى منازل اهله ومرابع قبيلته ومراتعها.

الثناء:

ونجده يرثي رباح بن عثمان المري وببكيه موضحاً مكانته بين قومه، يقول:^٢

مررت على الفرات فهاج دمعي مع الاشرار ضجات النواح
فقلت حواصناً يندبن بها بناحية ابن عمك ذا الصلاح
فما رزي العشيرة من قتيل أعز على العشيرة من رباح
سفته الساقيات من المنايا نطاس العلم فواز القداح

ويقول في رثاء الوليد بن يزيد:^٣

^١ - ابو الفرج الاصفهاني - الاغاني - ج ٢ - ص ٣١٨

^٢ - شعر ابن ميادة - ص ١٠٤

^٣ - شعر ابن ميادة - ص ٩٥

ألا لهفي على الملك المرجى غداة أصابه القدر المتاح
ألا أبكى الوليد فتى قریش واسمها إذا عد السماح
وأجبرها لذى عظم مهيض إذا ضنت بدرتها اللقاح*

ويظهر إحساسه بالحسرة والأسى في قوله ألا لهفي - ألا أبكى، ووصفه للمرثي بأفضل الصفات وتفرد به مستخدماً اسم التفضيل اسمها - وأجبرها.

الهجاء:

عُرف بن ميادة بمناوشة الشعراء وجرهم إلى ميدان المهاجاة وكأنما تحركه قوة خفية وعت صور النقائض التي دارت في زمن غير بعيد عن زمنه، يقول الأصفهاني: (كان غريضا للشعر، طالبا مهاجاة الشعراء ومساباة الناس...).

وابن ميادة تهاجى مع عدد كبير من الشعراء أو جرت بينه وبينهم نقائض ومساجلات عديدة غير أنها لم تتخذ شكل النقائض عند أصحابها المعروفين، وإنما كانت نقائض ابن ميادة سواء في ذلك ما قاله أو رد عليه تدور حول الشتم والسب والتحقير والسخرية، قال ابن ميادة يهجو عقبة بن كعب بن زهير:^٢

إن تك خالنا فقبحت خالا فأنت الخال تنقص لا تزيد
فيوماً في مزينة أنت حر ويوماً أنت محتدك العبيد
أحق الناس أن يلقي هوانا ويؤكل ماله، العبد الطريد

^١ - الأغاني - ج ٢ - ص ٢٦٣

^٢ - شعر ابن ميادة - ص ١٠٨

* جمع لقوح وهي الحلوب من الإبل

وقال يهجو علقمة بن عقيل:^١

يابن عقيل لا تكن كذوباً
إن شربت الحزر والحلبيا
من شول زيد وشممت الطيبا
جهلاً تجنيت لي الذنوباً

ونجد من الألفاظ (الشول) وهي النوق التي خف لبنها واتى عليها سبعة اشهر من يوم نتاجها،
(الحزر) من الحليب ما كان فوق الحامض. ومن نقائضه رده على الحكم عندما هجا قوم
الشاعر وجردهم من الفضائل والصق بهم ما ينال من مروءتهم قائلاً:^٢

فيامرّ قد اخزأك في كل موطن من اللوم خلات يزدن على العسر
فمنهن أن العبد حامي دياركم وبئس المحامي العبد عن حوزة التفر

فرد عليه ابن ميادة بنقيضه من البحر نفسه والقافية والروى يقول فيها:^٣

لقد سبقت بالمخزيات محارب وفازت بخلات على قومها عشر
فمنهن إن لم تعقروا ذات ذروة لحق إذا ما احتيج يوماً إلى العقر
ومنهن أن لم تمسحوا عربية من الخيل يوماً تحت جل على مهر
ومنهن ان لم تضربوا بسوفكم جماجم إلا فيشل القرح الحمر

فشعر ابن ميادة كما لاحظنا طابعه بدوي فقد كثر فيه ذكر الإبل وصفاتها، وكل أغراض

شعره قديمة.

^١ - شعر ابن ميادة - ص ٨٢

^٢ - الأغاني - ج ٢ - ص ٣٩٨.

^٣ - ابن ميادة - شعره - ص ١٥٣

المبحث السادس شعراء آخرون

ناهض بن ثومة:

هو ناهض بن ثومة بن نصيح الكلابي العامري، من بني عامر بن صعصعة، توفي نحو ٢٢٠هـ. وهو شاعر بدوي فارس فصيح من شعراء العصر العباسي، كان يقدم البصرة، فيكتب عنه شعره، وتؤخذ عنه اللغة.^١

ومما يروى عن بداوته القصة المشهورة التي دارت أحداثها في قرية بكر بن عاصم الهلالي:^٢ والتي مفادها أنه لم يتعرف على كثير من الأشياء التي تميزت أو عرفت بها الحاضرة كالمباني وأشكال الملابس الزاهية وأنواع الطعام وغيرها من مظاهر الترف المدني كالآلات الموسيقية والقيان وغيرها، ووصفها بأوصاف مضحكة، فكلما سأله عن شيء يضحكون عليه. ويعجب ناهض من ضحكهم، ثم كان بعد ذلك يستعيد هذا الحديث، ويطرف به إخوانه فيضحكون منه.^٣

وبقي ناهض على بداوته ينتجع بادية العراق ونواحي البصرة، وبادية الشام من نواحي حلب، لذلك كان شعره عربياً محضاً، تتفجر فيه ثقافة الصحراء، لم تمسها لوثة المدينة، وهو شعر يجري على بديهته، مشبع بقيم الفخر الذاتي والفخر القبلي، لأن سنده البادية لم ينقطع في خضم بدع المحدثين، وأن ثقافة البادية الحق لا ثقافة تشبه بها، أما علاقته بشعراء عصره، (فقد كانت له مهاجاة مع عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، كانت على نحو نقائض جرير

^١ -الأصفهاني -الأغاني-ج٣-ص ١٧٨

^٢ - المرجع السابق نفسه-ج٣-ص ١٧٩

^٣ -الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر - تاريخ آداب العرب- الناشر: دار الكتاب

العربي.ص ١٣٠

والفرزدق).^١ قال أبو الفرج: كان يهجو رجل من بني الحارس يقال له نافع بن الأشعر الحارسي، فأثرى عليه ناهض، فما قاله في جواب قصيدة هجا بها قبائل قيس، قصيدته التي أولها:^٢

ألا يا أسلما يا أيها الطلان وهل سالم باقٍ على الحدثنِ
أبيننا لنا حبيبتنا اليوم إننا مبينان عن يوم بما تسلانِ
إلى أن يقول:

فدع ذا ولكن قد عجبت لنافع ومعواه من نجران حيث عواني
عوى أسداً لا يزدهيه عوائه مقيماً بلوذا يذبل وذقاني
لعمرى لقد قال ابن أشعر نافع مقالة موطوء الحريم مهان

ومضى في هجاء خصمه نافع بعد أن استفتح كعادة القدماء بتحيةة الطلل ونداء الرفاق ثم أحسن التخلص إلى غرضه من نظم القصيدة وهو هجاء نافع بقوله "فدع ذا" وواصل في الهجاء وشبهه بالذئب يعوي في الجبال (جبل يذبل وذقان) وهي تشبيهات بدوية استخدم فيها الفاظ بدوية فصيحة.

ومن أشعاره التي تصور بداوته وقدم نهجه ويظهر فيها ذكر الطلل والإبل والأماكن والجبال وفخره بنفسه وحمائته للعشيرة بلغة بدوية فصيحة ومعاني وتشبيهات مستمدة من البيئة، ومناسبتها: إن رجلا منهم أورد إبله الماء فوردت إبل الكعبي عليها، فزاحمتها، لكنها ألقته على ظهره فتكشف، فقام مغصبا بسيفه إلى إبل الكعبي، فعقر منها عدة، وجلاها عن الحوض، ومضى الكعبي مستصرخا بني كلاب على الرجل، فلم يصرخوه فساق باقي إبله واحتفى بأهله حتى رجع إلى عشيرته، فشكا ما لقي من القوم واستصرخهم، فغضبوا له، وركبوا

^١ - النجار، إبراهيم شعراء منسيون - دار الغرب الإسلامي - ط ١ - ١٩٩٧ - ص ١٧١

^٢ - الأصفهاني - الأغاني - دار الكتب - ج ١٣ - ص ١٧٥

معه حتى أتوا حلة بني كلاب، فاستاقوا إبل الرجل الذي عقر لصاحبهم، ومضى الرجل فجمع
عشيرته، وتداعت هي وكعب للقتال، فتحاربوا في ذلك حرباً شديدة، وتمادى الشر بينهم، حتى
تساعى حلمانهم في القضية، فأصلحوها على أن يعقل القتلى والجرحى، وترد الإبل، وترسل
من العاقر عدة الإبل التي عقرها للكعبي، فتراضوا بذلك واصطلحوا، وعادوا إلى الإلفة، فقال
في ذلك ناهض بن ثومة:^١

أمن طلل بأخطب أبدته نجا الويل والديم النضاح
ومر الدهر يوماً بعد يوم فما أبقى المساء ولا الصباح
وقل لمحلة غنيت بسلمى لريدات الرياح بها نواح

إلى أن يقول:^٢

أنا الخطار دون بني كلاب وكعب إن أتيح لهم متاح
أنا الحامي لهم ولكل قزم أخ حام إذا جد النضاح
أنا الليث الذي لا يزدهيه عواء العاويات ولا النباح
وهذا نموذج آخر لشعره:

ألا حيي المنازل بين رمح وبين القهب دارسة المباني
عفاها كل أوظف ذي حيي وسافي الترب من ذات الزبان
منازل من سعاد وجارتها ذوات الدل والسحل اليماني
ومجدول زهاه على التراقي نظائم لؤلؤ بين الجمان

حيا الشاعر المنازل وذكر أماكنها (الرمح والقهب) وتأثير المطر والرياح عليها، وذكر اسم
المحبوبة ووصف جاراتها بالمنعمات المترفات.

نلاحظ أن كل أشعاره تعكس بداوته وتأثره الشديد ببيئته الجافة من خلال الألفاظ والمعاني
والأسلوب، واستخدام التشبيهات من البيئة، والتزامه بالنهج القديم للقصيدة العربية، ولا نجد أثراً
للحضارة أو الحياة المدنية التي تركت بصماتها التجديدية على بعض شعراء العصر.

^١ - الأصفهاني - الأغاني - دار الكتب - ج ١٣ - ص ١٨٢

^٢ - السابق نفسه والصفحة نفسها

أبو الخطاب البهلي

هو عمر بن عامر بن بهدل التميمي، بصري فصيح راجز متقدم، كان الأصمعي يتخذه حجة ويروي شعره.^١ وقد ذكره ابن النديم (من بين فصحاء العرب).^٢ اتصل بموسى الهادي والفضل بن يحيى البرمكي، وقيل:^٣ (إن موسى كان لا يأذن لأحد من الشعراء مدة أيام خلافته، ولا يرغب في الشعر، ولا يلتفت إليه، وقد أنهمك في الشرب والقصف، وكان مشغولاً بالسماع، فلما قال أبو الخطاب البهلي رأيته سألتني فأوصلتها إليه، فلما سمعها أعجب بها شديداً وقال للحاجب: اخرج إلى الباب فمر من ينادي: أين نسابة الأسد؟ ففعل. فلما سمع أبو الخطاب ذلك علم أن شعره قد وصل وعمل عمله. والشعراء مجتمعون - فقال: هأنذا. وأخذ الحاجب بيده وأدخله البيت. فقال: هات أنشدنا، فأنشده قصيدته الرائية، فاستحسنها موسى وأعجب بها، وأمر في ذلك اليوم ألا يحجب عنه شاعر، وأن يعلموا أن أبا الخطاب كان السبب في ذلك. وأمر لأبي الخطاب بألف دينار وكساه وحمله والقصيدة مشهورة وهي هذه:^٤

ماذا يهجيك من دار بمحنية	كالبرد غير منها الجدة العصر
عفت معارفها ريح تنسفها	حتى كأن بقايا رسمها سطر
لن يؤمن الناس من لم يؤمنوا أبدا	والله يؤمن من آووا ومن نصروا
لا يكسر الناس ما شدوا جبائره	وليس يجبر طول الدهر من كسروا
أنت الدعامة يا موسى إذا احتدمت	نيرانها وحماة الحرب تجتزر
وان غضبت فما في الناس من بشر	إلا على خطر ما مثله خطر

^١ - ابن المعتز، عبد الله بن محمد العباسي - طبقات الشعراء - تحقيق: عبد الستار أحمد فراج - دار المعارف - القاهرة - ط ٣ - ص ١٣٢.

^٢ - الرافعي - مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر - تاريخ آداب العرب - الناشر: دار الكتاب العربي - ص ١٣٢.

^٣ - ابن المعتز - طبقات الشعراء - ص ١٣٢.

^٤ - المرجع السابق نفسه - الصفحة نفسها.

فهو - كما نرى - مقتدر على الكلام، مجيد للوصف حسن الوصف قد جمع إلى قوة الكلام
محاسن المولدين ومعاني المتقدمين.^١
ومما يستحسن له قوله:^٢

وقد اغتدى قبل ضوء الصباح	وقبل ورود الغطاء الحثاث
بصاقي الثلاث قصير الثلاث	طويل الثلاث عريض الثلاث
محجل رجلين طلق اليدين	له غرة مثل ضوء الإراث
ذا احترت القوم ما عندهم	فإن الجياد تكون احتراثي

قيل:^٣ أهدى رجل من أهل البصرة إلى أبي الخطاب البهلي خروفاً مهزولاً، فقال أبو
الخطاب:^٤

أهدى إلينا معمر خروفاً	كان زماناً عنده مكتوفاً
يعلفه الكشيح والسفوفاً	والفارقون بعده مؤففاً
حتى إذا صار مستجيفاً	أهدى فأهدى قصباً ملفوفاً
جُل جُداً فوقه وُصُفاً	وكان من فعاله موصوفاً

وتعكس كلماته روحه المرحة، وسخريته اللطيفة.

وله أيضاً في الرجز:^٥

أما	ترين	البهلي	قد	نحل
وصار	يمشي	مشية	فيها	خطل
على	ثلاث	أرجل	فيها	عصل
واحدة	في	كفه	من	الأئل
كسرطان	البحر	يمشي	في	الوحد

^١ - ابن المعتز - الطبقات - ١٣٤

^٢ - المرجع السابق نفسه - الصفحة نفسها

^٣ - ابن النديم، أبو الفرج محمد ابن اسحق - الفهرست - تحقيق ابراهيم رمضان - دار المعرفة بيروت - ط ٢ - ١٩٩٧ - ج ١ - ص ٦٩

^٤ - المرجع السابق نفسه - الصفحة نفسها.

^٥ - الجاحظ - البيان والتبيين - ج ١ - ص ٦

ومما يستجاد له قوله للفضل بن يحيى بن خالد:^١

تشاغل الناس بينيانهم والفضل في بنا العلا جاهد
كل ذوي الرأي وأهل النهى للفضل في تدبيره حامد

وأشعار أبي الخطاب كثيرة جيدة، وهو أحد العرجان، وقد ذكره الجاحظ في كتابه. وزعموا أنه بلغ من معرفته وخوف الناس بادره لسانه أن يبعث بعصاه إلى الأبواب في حوائجه، فلا تحجب العصا عن أحد، ولا ينهنه حتى تقضي حوائجه. ومما سار له قوله:^٢

قلت لرجلي وهي عوجاء الخطا تشكو إليّ وجعاً من النسا
ومن أذى العرق وفي العرق أذى مري ففهيهاك من أخذ العصا
لا تطمعن في الذي لا يشتهي وفي تسعيك الذي لا يرتجى
كم بين قول الغانيات: يا فتى وقولهن: شاب هذا وانحنى
وقد نظرن اليوم من قبح الجلا جبين وجه وجبيننا في القفا
أسره منهن كيما لا يرى ولو بدا رمين رأسي بالحصا
خاطب رجله العرجاء وهي تشكو ألمها، ألا تطمع فيما تشتهي، وكأنه يشكو فقره ويصف
حاله بين الغواني بأنه كبر في سنه ولم تعد له حظوة عندهن.

^١ -البغدادي- محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون-التذكرة الحمدونية-دار صادر بيروت-ط١١٤١٧هـ-ج٩-ص١٩٨

^٢ -ابن المعتز-طبقات الشعراء-ص١٢٥

أبو شُرَاعَة:

هو أحمد بن محمد بن شراعة القيسي شاعر عباسي من شعراء البصرة في القرن الثالث، (جمع بين قبح الخلقة وسماحة الخلق، صحب الجاحظ ورثاه عند موته، وصحب دعبل الخزاعي وعبد الصمد المعذل الجماز وغيرهم. عمّ طويلاً، من أشعر أهل زمانه، ونقل شعره عن طريق ابنه أبو الفياض سوار).^١

قال أبو جعفر: ^٢ قلت لأبي شراعة: كم أتى عليك من السنين؟ وكانُ مناً. قال: ثنتان وتسعون سنة. ... وعاش أبو شراعة بعد ذلك دهراً طويلاً، وكان جيد الشعر مليح المعاني صاحب نظر، وعاش إلى أيام المتوكل، وكان قد مدح المهدي بن المنصور. وكان المتوكل يحسن إليه ويقول: هذا مدح آبائي وأسلافي. وهو القائل فيه:^٣

ما بال سعدى أخلفت ميغادي	وتيسرت لقطيعتي وبعادي
أسعادُ هل ننبُ سوى أني امرؤ	شغلت محبتكم علي فؤادي
ولقد دنوتِ وكنت غير بخيلة	حتى إذا أطمعت في الميعاد
برقت بوارقُ من نوالك خُلب	كذب العداة صواعق الإيعاد

يقول المبرد: ^٤ وكان أبو شراعة حليماً مألوفاً، جميل الخلق، كريم العشرة، وكان يقول من الشعر ما يجانب به مذاهب المحدثين، ويقترف طريق الماضين وأهل البادية؛ فشعره عربي محض، ومن أشهر قصائده في المديح:^٥

إليك ابن موسى الخير أعملت ناقتي	جللةً يصفو عليها جلالها
كتوم الوجى لا تشتكي ألم السرى	سواء عليها موتها واعتلالها

^١ -الأصفهاني- الأغاني-ج ٢٣-ص ٢٢

^٢ - طبقات الشعراء: ابن المعتز-ص ٣٧٤

^٣ المصدر السابق نفسه-ص ٣٧٥

^٤ -الحصري،ابراهيم بن علي تميم-جمع الجواهر في الملح والنوادر-تحقيق علي محمد البجاوي-دار الكتب المصرية١٩٥٤-ص ١١٦

^٥ -الأصفهاني- الأغاني-ج ٢٣-ص ٣٣

إذا سقيت أبصرت ما جوف بطنها
وإن حملت حملاً تكلفت حملها
بعثنا بها تسمو العيون وراءها
وغذى مغذينا بصوت فشاقتني
أحب لكم قيس بن عيلان كلها
وما لي لا أهوى بقاء قبيلة

وإن ظمئت لم بيد منها هزالها
وإن حط عنها لم أبل كيف حالها
إليك وما يخشى عليها كلالها
متى راجع من أم عمرو خيالها
ويعجبني فرسانها ورجالها
أبوك لها بدر وأنت هلالها

كعادة الأقدمين بدأ بالناقة ووصفها وصفاً حسياً ومعنوياً، وذكر المحبوبة أم عمرو وطيفها.
وله من نهج القدامى ذكر الطيف فهو يقول:^١

طاف الخيال ولات حين تطرب
طرقت فنفرت الكرى عن نائم
فبكى الشباب وعهده وزمانه
أن زار طيف موهناً من زينب
كانت وسادته نراع الأرحبي
بعد المشيب وما بكاء الأشيب

يقول الأصفهاني:^٢ وقد تجمعت فيه أخلاق المواساة والبذل والإيثار، ويقال وقف عليه يوماً
سائل فرمى إليه بنعله انصرف حافياً، فعثر فدميت أصبعه فقال في ذلك:

ألا أبالي في العلا ما أصابني
فلم تر عيني قط أحسن منظراً
لست أبالي من تأوب منزلي
وهذه الأخلاق الكريمة عربية بدوية أصلية.

وإن نقبت نعلاي وحفيت رجلي
من النكب يدمى في المواساة والبذل
إذا بقيت عندي السروايل والنعل

^١ -الأصفهاني -الأغاني -ج ٢٣-ص ٢١

^٢ -المرجع السابق نفسه-ص ٢٢

أبو فرعون الساسي:

اسمه شوبس، أعرابي بدويّ، فصيح اللسان قدم البصرة قدم البصرة يسأل الناس بها، وكانت له أشعارٌ طريفة.^١ وهو شاعر عباسي، ينسب إلى قرية الساس أسفل واسط، وفي بعض الكتب الشاشي، وهو من أبناء أواخر المائة الثانية، شعره معظمه رجز، وأغراض شعره لا تخرج من ذكر الفقر وتصاريفه يذكر ابن النديم له ديواناً بثلاثين ورقة ضاع أكثره.^٢

ومن قوله، في عمر بن حبيب القاضي:^٣

كفاني الله شركَ يا ابن عمي ... فأما الخيرُ منك فقد كفاني

قال أبو محرز الكوفي: 'أتى أبو فرعون الساسي أبا كهمس التاجر فسأله، فأعطاه رغيفاً من الخبز الحواري كبيراً، فصار إلى حلقة بني عديّ فوقف عليهم وهم مجتمعون، فأخرج الرغيف من جرابه، وألقاه في وسط المجلس وقال: يا بني عدي استفحلوا هذا الرغيف، فإنه أنبل نِجاج على وجه الأرض، قالوا: وما ذلك؟ فأخبرهم، فاجتمعوا إلى أبي كهمس التاجر فقالوا: عرضتنا لأبي فرعون وقد مزقنا كل ممزق.

ومما يستملح له - وكان من أفصح الناس وأجودهم شعراً، وأكثرهم نادرة - قوله:^٤

رأيت في النوم بختي	في زي شيخ أرت
أعمى أصم ضئيلاً	أبا بنين وبنت
فكيف لي بدواء	يلين لي بطن بختي؟

وهو القائل أيضاً:^٥

ليس إغلاقي لبابي أن لي	فيه ما أخشى عليه السرقا
إنما أغلقه كي لا يرى	سوء حالي من يجوب الطرqa
منزلُ أوطنه الفقر فلو	دخل السارق فيه سُوقا

^١ - الجراح-الورقة-ج ١-ص ١٣

^٢ -المصدر السابق نفسه

^٣ -الجراح-الورقة- ج ١-ص ١٤

^٤ - ابن المعتز - طبقات الشعرا - ٣٧٤

^٥ - المرجع السابق نفسه-ص ٣٧٥

^٦ - المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها

لا تراني كاذباً في وصفه لو تراه قلت لي قد صدقا

وله أيضاً:^١

وصبية مثل فراخ الذر	سود الوجوه كسواد القدر
جاء الشتاء وهم بِشَرِّ	بغير قمص وبغير أزر
حتى إذا لاح عمود الفجر	وجاءني الصبح غدوت أسري
وبعضهم ملتصق بصدري	وبعضهم منحجر بحجري
أسبقهم إلى أصول الجدر	هذا جميع قصتي وأمري
فارحم عيالي وتول أمري	كنيت نفسي كنية في شعري

أنا أبو الفقر وأم الفقر

ومن قوله في الرجز:^٢

أنا أبو فرعون زين الكوره	حسن شيء مشيةً وصوره
تضحك إن مرت به ممكوره	ضحك الأفاعي في جراب النوره

ويرتجز أيضاً:^٣

يا أخوتي يا معشر الموالي	يا أخوتي يا معشر الموالي
أنا ابنكم وأنتم أخوالي	أنا ابنكم وأنتم أخوالي
هذا زبيلي وجراي خالي	هذا زبيلي وجراي خالي
والماء عال والدقيق غالي	والماء عال والدقيق غالي
وقد مللنا كثرة العيال	وقد مللنا كثرة العيال

^١ - طبقات الشعراء: ابن المعتز ص ٣٧٧

^٢ - الثعالي-أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب-دار المعارف القاهرة-د.ت-

ج ١-ص ٤٢٩

^٣ - الجراح-الورقة-ص ١٣

وهذه القصيدة من خيار شعره والذي أخذ فيه طريق الجد كلمته في الحسن بن سهل، وقد أجمع الناس على حسنها وفصاحتها وهي قوله:¹

سُقياً لحي باللوى عهدتهم	منذ زمان ثم هذا عهدهم
عهدتهم والعيش فيه غرة	ولم يناو الحدثان شعبهم
ولم يبينوا لنوى قذافة	تقطع من وصل حبالى حبلهم
فليت شعري هل لهم من مطلب	أو أجدن ذات يوم بدلهم
الناس أشباهٌ كما قد مثلوا	وفيهم خير وأنت خيرهم
حاشا أمير المؤمنين إنه	خليفة الله وأنت صهرهم

ونلاحظ مما تقدم أن معظم أشعاره في الرجز يشكو فيها حاله وفقره، بطريقة مستملحة لطيفة، وبلغة بدوية بسيطة فصيحة، ليس فيها من الحوشي المستغرب من الألفاظ.

¹ - طبقات الشعراء: ابن المعتز - ص ٣٧٧

الأحيمر السعدي:

نسبه ليس مرفوعا، وجاء في سمط اللالكئ هو الأحيمر بن فلان بن الحارث بن يزيد السعدي، من شعراء الدولتين.^١

وكان الأحيمر لصا كثير الجنايات، وطرده قومه لكثرة جنائياته،^٢ وخاف السلطان، فخرج في الفلوات وقفار الأرض. ويقول السعدي: ^٣ (كنت حين خلعتني قومي وأطل السلطان دمي وهربت وترددت في البوادي، فظننت أني قد جزت نخل وبار، أو (قد)قريت منها، وذلك لأدنى كنت أرى في رجع الظباء النوى، وصرت إلى مواضع لم يصل أحد إليها قط قبلي، وكنت أغشى الظباء بهائم الوحش فلا تنفر مني، لأنّها لم تر غيري قط. وكنت آخذ منها لطعامي ما شئت، إلا النعام، فإنّي لم أره قط إلا شاردا فرعا).

ويعلمن تمرده على واقع الفقر، ففي إعلانه لصوصيته تمرد على السلطة وقوانينها. يقول:^٤

وإنّي لأستحي من الله أن أرى أجرُّ حبلًا ليس فيه بغير
و أن أسأل المرء اللئيم بغيره وبعران ربي في البلاد كثير
عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر

فإنه يستحي من الفقر لا من السرقة. ويعود هذا الأمر إلى أن له موقفاً وسلوكاً وفهماً خاصاً لمسألتي الحق والصواب. فالبعران كثيرة، وهو يبيح لنفسه أن يأخذ منها ما يشاء.

^١ -البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز-سمط اللالكئ في شرح أمالي القالي-تحقيق عبد العزيز الميمني-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-د.ت-ج١-ص١٩٥.

^٢ - الخالديان، أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي- حماسة الخالديين بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين-تحقيق: الدكتور محمد علي دقة- الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية- ١٩٩٥م.ج١-ص٤٥

^٣ - الدينوري، عيون الأخبار- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - دار الكتب العلمية -بيروت ١٤١٨ هـ-ج٢-ص١٠٤

^٤ - السابق نفسه-ج٢-٧٧٤

أما تصوير الشاعر ولفته لوحوش الصحراء، وعزلته فيها فيوحي بما في حياته الاجتماعية من سوء دفعه إلى الفقر والتشرد ومصاحبة الحيوان الوحشي. إذ يقول:^١

أُراني وذئبَ القفرِ إلفين بعدما تَداني كلانا يَشمزُّ ويُدْعُو
تألّفني لما دننا وألقه وأمكّني للرمي لو كنتُ أُغدرُ
ولكنني لم يَأتمني صاحبُ فيرتابَ بي، مادامَ لا يتغيّرُ

قال متغزلاً:^٢

وقالت أرى ريع القوام وشاقها طويل القناة بالضحاء نؤوم
فإن أك قصدا في الرجال فإنني إذا حل أمر ساحتى لحسيم
تعيّرني الإعدام والبدو معرض وسيفى بأموال التجار زعيم

وهنا وصف المحبوبة كما يصف الجاهليون محبوباتهم بالقوام الممشوق، وكنى عن الترف والنعيم بأنها نؤوم الضحى، ثم افتخر بأنه يحسن التصرف وأفتخر ببداوته وفقره وقدرته في نهب الاموال بالسيف. وفي وصيته قال:^٣

من القول ما يكفي المصيب قليله ومنه الذي لا يكتفي الدهر قائله
يصد عن المعنى فيترك مانحاً ويذهب في التقصير منه يطاوله
فلا تك مكثاراً تزيد على الذي عنيت به في خطب أمر تزاوله

^١ - الدينوري، ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم -الشعر والشعراء-دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـ-ج٢-ص٧٧٥

^٢ - القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيّنون- الأماي-تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي-دار الكتب المصرية-ط٢-١٩٢٦-ج١-ص٤٩

^٣ - ابن رشيّق، ابو علي الحسن- العمدة في محاسن الشعر- تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد-دار الجيل ط٥-١٩٨١-ج١-ص١٣٤

ومعاني الحكمة واضحة في الأبيات وإسدائه النصح، وهذا يدل على فطنته واستفادته من تجاربه التي تاب عنها. وقال بعد توبته:^١

قل للصوص بني اللخناء يحتسبوا	بز العراق وينسوا طرفة اليمن
ويتركوا الخز والديباج يلبسه	بيض الموال ذوو الأعناق والعكن
أشكو إلى الله صبري عن زواملهم	وما ألقى إذا مرت من الحزن
لكن ليالي تلقاهم فتسلبهم	سقياً لذاك زمان كان من زمن
فرب ثوب كريم كنت آخذه	من القطار بلا نقد ولا ثمن

ويتضح لنا من شعره اعتداده ببداوته، وثباته على مبدأ الصعاليك الفلسفي في حياتهم الذي لا يتخرجون منه، و يبررون لسرقاتهم بأنها تحقيق تكافل اجتماعي وتحقيق لمبدأ المساواة بين الناس.

^١ - الفالي، الأمالي ص ٤٩

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول: الخصائص الموضوعية لشعر البدو

المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية لشعر البدو

المبحث الثالث: تحليل نماذج شعرية

المبحث الأول

الخصائص الموضوعية

الدراسة الفنية للقصيدة العربية، ذات أهمية كبيرة في دراستنا للشعر البدوي في العصر العباسي، ذلك أنها تعرفنا على البناء العام للقصيدة العربية القديمة: (المطلع ووصف الظعن والغرض والخاتمة)، وهو الهيكل الذي قامت عليه في الشعر القديم، وقد حرص عليه بعض الشعراء على مر العصور الأدبية، والبدو في العصر العباسي على وجه الخصوص، فرغم التغيرات التي طرأت على بيئاتهم وثقافتهم، وكان أحرى بهم ان يتخلوا عن القديم ليواكبوا العصر، إلا أنهم تمسكوا به وحافظوا عليه.

فالشعراء البدو كانوا يحرصون على قالب التقليدي، فالقصيدة العربية القديمة تبدأ من المقدمة التي يمهدها الشاعر للغرض الذي من أجله كتب القصيدة. بحيث يوجد رابط بين المقدمة والغرض. وهو ما يسمى بحسن التخلص، ثم خاتمة القصيدة وهي البيت الأخير، ومعظم الخواتيم تكون في الحكمة.

أما مطالع القصائد فقد تنوعت عند القدماء وسار الشعراء البدو على نهجهم، فمنهم من يبدأ بالوقوف على الأطلال، أو يبدأ بذكر الطيف، أو يستوقف الصحب، أو يدعو للديار بالسقيا أو يذكر الشيب.

المقدمة الطللية:

مطلع القصيدة الجيد يجذب السامع والقارئ. وينبغي للشاعر أن يحدد ابتداء شعره. فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده أول وهله،^١ فإذا كان الابتداء حسنا بديعا مليحا رشيقا كان داعيا إلي الاستماع لما يجيء بعده من كلام.^٢

كانت مطالع القصائد عند القدماء تبدأ بالغزل فعمل الشعراء على تجويده وتحسينه، وإلى جانب المقدمات الغزلية والطللية ثمة مقدمات في الطيف وغيره،^٣ وقد اهتم النقاد بالمقدمات الغزلية والطللية في الشعر الجاهلي فقد أفاضوا فيها إفاضة استحقت الاهتمام عندهم، فيجب مراعاة المقام في المقدمات، يقول ابن الأثير:^٤ (فإذا كانت القصيدة في حادثة من الحوادث كفتح، أو هزيمة جيش، أو غير ذلك، فإنه ينبغي أن لا تبدأ بالغزل، لأن هذا يدل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية، أو علي جهله بوقع الكلام في مواضعه، ولأن الأسماع تكون مطلعها إلي ما يقال في تلك الحوادث، أما إذا كانت القصيدة مدحا صرفا لا يختص بحادثه من الحوادث؛ فهو مخير بين أن يفتتحها بالغزل أو لا).

فكل الشعر القديم مقدماته غزلية أو طللية أو يبدأها الشاعر بذكر الطيف، بخلاف المقدمات الجديدة التي استبدلت ذكر الأطلال بالوقوف على القصور، والمقدمة الخمرية والغزل بالمذكر، وتتوعد المقدمات فشملت أغراض الشعر المختلفة، وكان المديح أكثر الأغراض التي تصدرتها المقدمات الطللية والغزلية.

^١ - ابن رشيق - العمدة - ج ١ - ص ٢١٨

^٢ - العسكري، أبو هلال - الصناعتين - ج ١ - ص ٤٣٧

^٣ - عطوان، حسين - مقدمة القصيدة الجاهلية - دار المعارف مصر ١٩٧٠ - ص ١١٤

^٤ - ابن الأثير - ضياء الدين أبي الفتح نصر الله - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة - نهضة

مصر - ط ١١٩٦٠ - ج ٢ - ص ٢٣٦

والمقدمة الطللية لها مكانة هامة في القصيدة العربية، وخاصة في العصر الجاهلي، إذ لم تقتصر على وصف الرسوم الدارسة والمحبوبة الراحلة، بل صارت نهجاً متميزاً للقصيدة، سار عليه الشعراء والتزموا به، والمقدمة هي بمثابة الوجه للقصيدة، لذا عدها بعض النقاد في الشعر بمنزلة القفل (إن الشعر قفل أوله مفتاحه).^١

وفي العصر العباسي الأول تصدرت الأطلال أغلب القصائد الشعرية التي نظمها أعلام هذا العصر من الشعراء، خاصة في مجال مدح الخلفاء، والتغزل بالمحبوبة، وظهرت مقدمات جديدة كالمقدمة الخمرية. فالمقدمة الطللية لها دلالاتها العميقة، التي تعبر عن الفناء والرحيل والألم على فقد المحبوبة، وقد تمسك بها الشعراء البدو الذين ساروا على نهج القدامى ممن سبقوهم في العصر الجاهلي. يقول الحسين ابن مطير:^٢

عرفت منازلًا بشعاب شرح
فحييت المنازل والشعابا
منازل هيجت للقلب شوقاً
وللعينين دمعاً واكتئابا

الشاعر يحدد موقع الأطلال ويحييها، ويأتي هذا التحديد المكاني في مطلع القصيدة، ليدلل على تعلقه الشديد بهذه المنازل، ثم يصف ما اعتراه من شوق وحزن واكتئاب، حتى أدمعت عيناه. ويقول في قصيدة أخرى:^٣

وقد كان في الدار التي هاجت الهوي
شفاء الجوى لو كان مجتمع الشمل*
فالأطلال في نظر الشاعر تنثير الهوى في نفسه، وتذكره بأيامه الجميلة التي قضاها فيها. وتعبيره عن ذلك الإحساس بقوله (وقد كان) يزيد من تأكيد شفائه من ذلك الألم.

ومن المقدمات الطللية أيضاً مقدمة ابن ميادة:^٤

ألا حيباً رسماً بذى العش مقفراً
وربعاً بذى الممدور مستعجماً قفراً
أضر به حتى تنكر عهده
حراجف يسفرن الرغام بها سفراً*

^١ - العسكري، أبو هلال - الصناعتين - ص ٤٣١

^٢ - الحسين ابن مطير - شعره - ص ١٣٨

^٣ - المرجع السابق نفسه - ص ١٨١

^٤ - ابن ميادة - شعره - ص ١٣٢

* الجوى: الحرقه - الشمل: الأمر

* ذو العش والممدور: أسماء مواضع - الحراجف: جمع حرجف وهي الريح الباردة - مستعجماً: الذي لا يرد جواباً

ذكر الشاعر أسماء الأماكن (ذي العش والممدور) ويصفها بأنها خالية قفرة، ويذكر أثر
ضرر الرياح عليها، ويدلل على خلوها من السكان بأنها لا ترد جواباً، وقد سبقه إلى هذا المعنى
امرؤ القيس الذي ذكر أيضاً أنها لم ترد عليه في قوله: ^١

صم صداها وعفا رسمها واستعجت عن منطق السائل
وكذلك يحكي إبراهيم بن هرمة عما يثيره ذلك الربيع في نفسه ويصفه بأن الرياح قد
أضرت به لأنها كثيرة متواصلة، ويستخدم الشاعر الاستفهام التقرير مجرداً من نفسه شخصاً آخر
يوجه له الحديث، وكأن هذا الإحساس قد عرفه كل الشعراء وألفوه، لذا نجد كثيراً في أشعارهم،
فهو يقول: ^٢

أهاجك ريع بالبلين كاتر أضرب به سافٍ ملث وماطر*
ويقول: ^٣

عوجا على ريع ليلي أم محمود كيما نسانله من دون عبود
عن أم محمود إذ شط المزار بها لعل ذلك يشفي داء معمود*
ويقول أيضاً: ^٤

يا دار سعدى بالجزع من ملل حبييت من دمنة ومن طلل
وفي الأبيات كما نرى ذكر اسم المحبوبة ودارها، ثم حياها وحي الأطلال والدمن، وقد
سبقه في ذكر الدمن زهير ابن أبي سلمى بقوله: ^٥

١- امرؤ القيس-الديوان ص148

٢- ابن هرمة-شعره-ص1٢٢

٣-المصدر السابق نفسه-ص1٠٨

٤- المصدر السابق نفسه-ص1٨٤

٥- زهير بن أبي سلمى-الديوان-ص1٠٥

*- البلين: كأنه ثنية-كاتر: دائر- الساف: التراب الذي تدرؤه الرياح- ملث: الدائم المتواصل

*- عبود: جبل- معمود: من هذه العشق

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتلم
وكذلك النابغة:^١

يا دار مية بالعياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
والبدوي ناهض بن ثومة يقول:^٢

ألا يا أسلما يا أيها الطلان وهل سالم باق على الحدثن
ونشأة العتابي أقرب إلى البداوة مع أخذه بحظ عظيم من الثقافة المدنية يفتتح بالأطلال
قائلاً:

ماذا شجاك بحوارين من ظل ودمنة كشفت عنها الأعاصير
شجاك حتى ضمير القلب مشترك والعين إنسانها بالماء مغمور

الطيف:

وهو من الظواهر المألوفة في القصيدة العربية، وقد كثر وروده في المقدمات الطللية،
جاء في لسان العرب (الخيال والخيالة: تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة، وطيف الخيال:
مجيئه في النوم، وطاف الخيال: ألم في النوم، والطيف: الخيال نفسه).^٣

فذكر الطيف في المقدمات الطللية، يعبر عن قدرة الشاعر على الإبداع، وقد أبدع
شعراء العصر العباسي الأول في مقدماتهم، المجددين منهم والمقلدين، ومن الأمثلة الدالة على
ذلك، قول مسلم بن الوليد:^٤

طيف الخيال حمدنا منك الماما
لله واشٍ رعى زوراً ألم بنا
بتنا هجوداً وبات الليل حارسنا
قد قلت والصبح عندي غير مغتبطٍ
داويت سقماً وقد هيجت أسقاما
لو كان يمنعنا في النوم أحلاما
حتى اذا الفلق استعلى له ناما
ما كان أطيب هذا الليل لو داما

^١ - النابغة-الديوان-ص ٤٩

^٢ -الأصفهاني-الأغاني-ج ١٣-ص ١٧٥

^٣ -ابن منظور- لسان العرب-مادة طيف

^٤ - مسلم بن الوليد-الديوان-ص ٦١

فهو يخاطب الطيف الذي زاره أثناء نومه، فعبر عن إحساسه بالشوق والسقم، ويات الشاعر والطيف مسهداً حتى ظهر ضوء الفجر، وتمنى دوام الليل، ولقاء طيف المحبوبة، انتصاراً لحبه الحزين، واستدعاءً للذاكرة كي يبقى حضورها ماثلاً، وتحرراً من الهجر والحرمان.

ويرى ابن هرمة، أن حبه لليل سببه طيف المحبوبة، ويقول:^١

أحب الليل أن خيال سلمى إذا نمنا ألم بنا فزارا
كأن الركب إذ طرقتك باتوا بمندل أو بقارعتي قماراً*
ويذكر اسماً آخرًا في مقدمة طللية هو "عليه":^٢

طرقت عليه صحبتي وركابي أهلاً بطيف عليه المنتاب
طرقت وقد خفق العنوم رحالنا بتتوفة يهماء ذات خراب*
فطيف عليه زاره ومعه رفاقه، وهم يركبون إبلهم فوصف مافي الطريق من ظلمة ومخاطر،
وصحراء قاحلة ليس فيها ماء ولا معالم، وكأن حال الصحراء يتبدل، وكأنما زارته روضة فنشرت
رائحتها الذكية، وأعشابها الندية حولهم فيقول:^٣

فكأنما طرقت بريا روضة من روض عوهق طلة معشاب
وفي المعنى نفسه يقول مروان ابن ابي حفصة:^٤

طرقتك زائرة فحيي خيالها ببيضاء تخط بالحياء دلالتها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

والحسين بن مطير الأسدي يورد معنى الطيف فيقول:^٥

^١ - ابن هرمة-شعره-ص ١١٧

^٢ - المصدر السابق نفسه-ص ٧٢

^٣ - ابن هرمة-شعره-ص ٧٢

^٤ - مروان بن ابي حفصة-ديوانه

^٥ - الحسين ابن المطير-شعره-ص ١٤٧

*الركب: ركب الإبل - مندل وقمار: موضعان بالهند يجلب منهما العود-القارعة: وسط الطريق-المنتب: الذي يزور مرة بعد مرة-
العنوم: الظلام.

* التتوفة: القفر - اليهماء: المفازة لا ماء فيها ولا صوت-الإنذار

زارتك سلمة والظلماء داجية والعين هاجعة والروح معروج
فمرحبا بك من طيف ألم بنا وليس يا سلم بي في السلم تحريج
فهو يرى أن زيارة الطيف له واستمتاعه به، ليس فيه ذنب ولا حرج، وهذا ما يردده الشعراء في وصف الطيف.

فشعراء العصر العباسي نجدهم ساروا على نهج الأقدمين من الجاهليين وغيرهم ممن كتب في معاني الطيف والخيال.

التجرد:

وهو أن يجرد الشاعر من نفسه شخص آخر، يوجه له الخطاب، إما باستيقاف الصحبة أو مناداتهم، بعبارات متنوعة (خليلي-قفا-صحيبي)، ومن العبارات التي استهل بها شعراء العصر العباسي الأول مقدماتهم الطللية عبارة (خليلي) التي استخدمها الجاهليون في مطالع القصائد، لمخاطبة الطلل والتماس الأصحاب للتباكي على رحيل المحبوبة، يقول الحسين بن مطير:^١

خليلي هذي زفرة اليوم قد مضت فما بعد ميّ زفرة قد أطلت
وقوله أيضاً:^٢

خليلي مافي العيش عيب لو أننا وجدنا لأيام الصبا من يعيدها
وأيضاً قوله:^٣

خليلي من عمرو قفا وتعرفا لسهمة داراً بين لينة فالحبل

إن تكرار عبارة خليلي؛ يعطي القصيدة قوة، فيها الكثير من معاني الوجد والشوق، ويعبر الشاعر من خلالها عن إحساسه ويستدعي رفاقه في لحظات الحزن التي تنتابه ساعة الوقوف على الطلل، فتتجلى ظاهرة الالتماس، وهي قديمة لدى الشعراء، ومن صنع خيالهم، فالشاعر يستعين بصاحبيه ليخفف عن نفسه ما بها من هول حتى لا يشعر بالوحدة.

^١ - الحسين ابن مطير-شعره- ص ١٤٣

^٢ - المصدر السابق نفسه ص ١٥٩

^٣ - السابق نفسه-ص ١٨١

ومن صور التجرد أيضاً قول ابن ميادة:^١

خليلي هجرا كي تروحا هجتما للرواح قلباً قريحا
إن تريغا لتعلما سر سعدى تجداني بسر سعدى شحيا
فالشاعر يكشف عن مكانة المحبوبة في نفسه، موجهاً حديثه لصاحبيه، مستخدماً من علم
المعاني الأمر بغرض الالتماس وهو أن يكون الأمر من صديق لصديقه، وكذلك الذكر بغرض
التلذذ باسم محبوبته، لتقوية المعنى وتأكيده.

وفي مقدمات ابن هرمة، نجد أيضاً التجرد والالتماس ويتمثل في قوله:^٢

قفا فهريفا الدمع بالمنزلِ الدرسِ ولا تستملا أن يطول به حبسي*
فهو يدعو صاحبيه للبكاء على ديار محبوبته، ويقول إن وقوفه بها سيطول.

وصف الظعن:

ومن المشاهد التي ترتبط بالأطلال ويفتح بها الشاعر قصيدته حين يقف عليها، ثم يصف
مشاهد الرحيل والوداع، ورحلة الظعائن، ومن ذلك قول ابن هرمة:^٣

تذكر بعد النأي هنداً وشقرا فقصر يقضي حاجة ثم هجرا
ولم ينس أظعانا عرض عشية طوالع من هرشى قواصد عزورا
حوائم في عين النعيم كأنما رأينا بهن العين من وحش صورا*

يصفهن بأنهن عشن في الترف والنعيم، وذكر أسماء الأماكن المتجهة إليها الظعائن بالحمول،
وشبههن بالعين، وهي البقرة الوحشية واسعة العين، ثم صور ألمه وحزنه لبعد محبوبته، وما به
من هم وأشياء في نفسه كثيرة لا تكاد تحصى.

ويقول:^٤

^١ - ابن ميادة - شعره - ص ٩٨

^٢ - المصدر السابق نفسه - ص ١٣٥

^٣ - المصدر السابق نفسه - ١١٦

* أريفا: اسكيا - تستملا: تستطيلا - الحبس: الوقوف

* النأي: البعد - شقرا وهند: صاحباته - هرشى: ثنية في طريق مكة - عزور: ماء - حوائم: من حام الطائر حول الماء إذا دار حوله.

^٤ - ابن هرمة - شعره - ص ٦٦

أم لا تذكر سلمى وهي نازحة
شطت وفي النفس مما لست ناسيه
الا اعتراك جوى سقم وتسهب*
هم بعيد وحاجات أطانيب
ويقول ابن مطير:^١

إن الخليط أجدوا البين فأدلجوا
يا صاحي هل أنت بالتعريج تنفعنا
بانوا ولم ينظروني أنهم لججوا
على منازل بالبرقاء منعرج
على منازل بالطاؤوس قد درست
تسدي الجنوب عليها ثم تنتسج*
نلاحظ أنه ذكر من المواضع البرقاء والطاؤوس، ومن الرياح الجنوب، التي تثير التراب،
وذكر أن الخليط قد جدوا في السير والرحيل في آخر الليل، كذلك نجد يوجه حديثه إلى صاحبه
الذي توهمه كما يفعل الأقدمين تماماً.

وفي ذات المعنى يقول ابن ميادة:^٢

إن الخليط أجدوا البين فاندفعوا
وسبقهم إلى هذا الاستخدام الأموي جرير بقوله:^٣
وما ربوا قدر الأمر الذي صنعوا

بان الخليط ولو طوعت ما بانا
فقطوا من حبال الوصل أفرانا
فهو كذلك تحدث عن الرحيل وجماعة المسافرين ووداعهم.

يقول ابن مطير في ذكر الرحيل:^٤

إذا ارتحلت من ساحل البحر رفقة
فإن لا يصاحبها يتبع بأعين
مشرقة هاج الفؤاد ارتحالها
سريع برفراق الدموع اكتحالها
ففي الرحيل دموع تكحل العين في تصوير الشاعر لها، وإحساس بالحزن واستحالة اللقيا.

وبشار بن برد يصف الرحيل بدقة لا نجدها عند كثير من المبصرين فهو يقول:^٥

^١ - ابن المطير - شعره - ص ١٤٤

^٢ - ابن ميادة - شعره - ص ١٦٩

^٣ - جرير - ديوانه - ٥٧١

^٤ - ابن مطير - شعره - ص ١٨٥

* تسهب: ذهاب العقل - شطت: بعدت - أطانيب: كثيرة

^٥ - بشار بن برد - الديوان - ص

أفد الرحيل وحتي صحبي والنفس مشرفة على النحب
لما رأيت الهم مجتئحاً في القلب والعينان في سكب
والبين قد أفلت ركائبه والقوم من طرب ومن صب
ناديت أن الحب أشعري قتلاً وما أحدثت من ذنب

إنها لحظات تسكب فيها العبرات، لتفضح مافي القلب من لوعة وحسرة، والشاعر لا يقوى على الصبر والجلد، فنأدى بأن الحب قاتله، معبراً عما به من حرقة وألم، فلم يجد شعوراً أقوى من القتل لعبير به عن ألم الفراق. ونجد الشعراء أحياناً يحددون يوم الرحيل، ويستخدمون صوراً عديدة للتشبيه من البيئة المحيطة بهم، فأبو تمام يقول:^١

زالت بعينيك الحمول كأنها نخل موافر من نخيل جواثا
يوم الثلاثا لن أزال لبيهم كدر الفؤاد لكل يوم ثلاثا
إن الهموم الطارقاتك موهناً منعت جفونك أن تذوق حثا

فأبو تمام يشبه الظعن المرتحل بالنخل الموافر كثيرات الحمل، ثمارها متعددة الألوان، والظعن فيه نساء يلبسن ملابس ملونة وهوادج ملونة، هذا إضافة إلى إحساسه بالكدر والضيق كل يوم ثلاثاء، كما ارتبط منظر الظعن بالشجر العظيم وهو الدوح. وفي ذلك يقول ناهض بن ثومة:^٢

إلى ظعن بالعاقرين كأنها قرائن من دوح الكثيب ثمان
لسلمى وأسماء اللتين أكنتا بقلبي كنيي لوعة وضمان

فالظعن يأخذ صورة الدوح الكثيف القريب من بعضه، (وترتبط الطعائن في أذهان الشعراء بالشجر العظيم والسفن السابحة، ويخص الشعراء النخل الباسق بصور خاصة دون غيرها من الأشجار، كالدوم والأثل، ويختارون النخيل وصفاً للطعائن، خاصة عندما تكون بالحمل مكومة، قد حان صرامها، وزهت أغداقها بالثمار الملونة الزاهية).^٣

^١ - أبو تمام-الديوان-ص. ١٢٨.

^٢ - النجار، إبراهيم-شعراء منسيون-ج١-ص١٧٩

^٣ - أبو سويلم، أنور-الإبل في الشعر الجاهلي-دار العلوم للطباعة والنشر-ط١-١٩٨٣م-ص٤١.

مقدمة الشيب

الشيب والشباب يعتبر من أساسيات مقدمة القصيدة العربية القديمة، (ولم تكن فكرة الشيب والشباب في الشعر العربي لتتوقف عن اللحاق بمثلتها من الأفكار النسبية في عالم القصيدة).^١ وقد شغلت هذه الفكرة الكثير من الشعراء في العصر العباسي الأول بشكل لافت، إذ قلما يخلو ديوان شعر من الحديث عن الشيب، يقول أبو تمام:^٢

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل مشيب الفؤاد

فهو يعلل لشيبه المبكر، بما أصابه من أحداث زمانه، وهموم حياته التي أصابت فؤاده، فظهرت على مفرقه كأنها غبار وقائع الدهر. وقال مروان بن أبي حفصة:^٣

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله وأقصرن عنه حين أقصر باطله
وقال الغواني قد تولى شبابه وبدل شيئاً بالخضاب يقاتله
يقاتله كيما يحول خضابه وهيهات لا يخفى على اللحظ ناصله
ومن مد في أيامه فتأخرت منيته فالشيب لا شك شامله

يقول إن الحساد قد وشوا به إلى المحبوبة، إلى أن ابتعدت عنه، وقد أهملته كل السنوات لتقدم سنه وظهور الشيب عليه، وشبه إخفائه للشيب بأنه يقاتله بالخضاب، وكأن الحناء هي السلاح الذي يقاتل به عدوه، ولكن كأن الأمر استحال عليه، فلا بد أن تظهر أطرافه التي زال عنها الخضاب، وهذا هو حال كل من مد الله في أيامه فلا بد أن يشمل الشيب.

وفي بيت آخر يشكو دهره وينفي أنه يغير شيئاً بالخضاب، ويستنكر هذا الأمر على اعتبار أنه حيلة من الحيل، فهو لا يغير شيئاً في الواقع، إذ يقول:^٤

قاسيت شدة أيامي فما ظفرت يداي منها بصاب ولا عسل*
ولا أغير شيبني بالخضاب وهل في العقل تغيير شيب الرأس بالحيل

^١ - البنا-عز الدين حسن- الطيف والخيال في الشعر العربي القديم-دار المناهل -بيروت ١٩٩٤-ج٣-ص١١٩

^٢ -أبو تمام-الديوان-ص١٣٥

^٣ - مروان -الديوان-١١٣

^٤ - السابق نفسه-ص١١٥

الدعاء بالسقيا:

تكررت الدعوة بالسقيا عند الشعراء الأقدمين، وتبعهم من جاء بعدهم من الشعراء، فنجد الشاعر يدعو بالسقيا لديار المحبوبة وللعهد الذي قضاه معها، حتى يكون ذلك العهد محافظاً على ما كان به من نضارة وحيوية، وعلى ما كانت عليه تلك الديار في الفترة التي كان الشاعر قريباً منها. يقول بن مطير:^١

ومن مرقب الزوراء دار حبيبة إلينا محاني متنها وظهورها*
وسقيا لأعلى الواديين وللرحا إذا ما بدت يوماً لعينيك نورها
فهو يدعو لذلك الوادي بالسقيا، ويذكر من أسماء المناطق الزوراء والرحى. ويدعو كذلك بالسقيا لقبر معن بن زائدة في رثائه له قائلاً:^٢

أما بمعن ثم قولاً لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

وكأن الشاعر يرجو أن تكون صفات المرثي محافظة على ما بها من حيوية ونضارة، فوجه حديث للقبر وهو يقصد صاحب القبر، والدعوة بالسقيا تكون للمكان، ويرمز بها الشاعر للعهود الجميلة الفانية بين أحبائه وأصحابه. ويقول ابن ميادة:^٣

ومرا على تيماء نسأل يهودها فإن لدى تيماء من ركبها خيرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها فاسقي الغوادي بطن نبلن فالغمر*
فهو يذكر من الأماكن تيماء والغمر، ثم يدعو بالسقيا على بطن نبلن والغمر، وذلك بعد أن يسأل عن الركب الذي مر بتيماء ليعرف أخباره، ويدعو بالسقيا للأماكن التي مر بها ركب أحبائه. ويقول أيضاً:^٤

أهاج لك الشوق الطلول الدوارس عفاهن سفاسف من الترب يابس
منازل أسقاهن غاد ورائح وسار سرى من آخر الليل راجس*

^١ - مروان - النديوان - ص ١٦٥

^٢ - ابن المطير - شعره - ص ١٧٢

^٣ - ابن ميادة - شعره - ص ١٣٢

^٤ - المصدر السابق نفسه - ص ١٦٢

*الصاب: عصير مر المذاق * المرقب: ما ارتفع من الأرض - الزوراء: مدينة ببغداد

فهو يصف تلك الأطلال التي غطاها التراب، وأخفى معالمها، فنزل عليها المطر وأتاها السيل.

حسن التخلص:

لما كانت القصيدة الجاهلية متعددة الأغراض، وكان رأي أغلبية النقاد إلزام الشعراء بها حرصوا على الاهتمام بالشكل، والخروج من جزء إلى جزء خروجاً يشعر بتماسك أجزاء القصيدة، ومن هنا جاءت العناية بالتخلص من المقدمة إلى الغرض الرئيس.

والمقصود بحسن التخلص حسن الانتقال من غرض شعري إلى غرض آخر بحيث لا يشعر السامع بهذا الانتقال لشدة الممازحة والانسجام.^١

يقول ابن رشيق:^٢ (أولى الشعر بأن يكون تخلصاً ما تخلص منه الشاعر من معنى إلى معنى ثم عاد إلى الأول وأخذ من غيره ثم رجع إلى ما كان فيه). ويستشهد بالنابغة الذبياني في إحدى قصائده التي يعتذر فيها للنعمان:^٣

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع
ثم تخلص للاعتذار فقال:^٤

ولكن هما دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبغيه الأصابع
ونلاحظ براعة الشاعر في حسن تخلصه من معنى إلى آخر.

^١ - ربيع، محمد-قضايا النقد-دار الفكر للنشر-عمان الأردن-ط١-١٩٩٠-ص٧٤

^٢ - ابن رشيق-العمدة-ج١-ص٢٣٧

^٣ - المرجع السابق نفسه-الصفحة نفسها

^٤ - المرجع السابق نفسه-الصفحة نفسها

* سفاسف: ما رق من التراب- راجس: صوت الشيء المختلط كالسيل والرعد والجيش.

يقول أبو الشيبص الخزاعي:^١*

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضا على أنقاض*
ولقد أتتك على الخطوب سواخطا ورجعن عنك وهن رواض
واضح ان هذه القصيدة في المديح، وصف فيها الإبل وسيرها، ثم انتقل إلي المدح
وصف ممدوحه بالكرم بدلالة رجوع المطايا وهي راضية عنه بعد ان أحاطها بكرمه الدافق.

ويقول أبو العتاهية في مديحه لعمر بن العلاء:^٢

إن المطايا تشتكك لأنها قطعت إليك سباسباً ورمالاً
فإذا وردن بنا وردن مخفة وإذا رجعن بنا رجعن ثقلاً
ونجد الشاعر تخلص من المديح عن طريق المطايا التي تقطع المسافات الطويلة،
ثم ترجع إليه محملة بالأنقال، مما يدل على كرم الممدوح واجزاله العطاء.

واستشهد ابن طباطبا على حسن التخلص بقول منصور النمري:^٣

إذا امتنع المقال عليك فأمدح أمير المؤمنين تجد مقالا
حتى ما أن تزال به ركاب وضعن مدائحا وحملن مالا
ومن أمثال هؤلاء أيضاً أبي نواس في قوله:^٤

يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام
عرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطني وللزمان عرام
أيام لا أخشي لأهلك منزلاً إلا مراقبة على ظلام

^١ - ابن طباطبا- عيار الشعر-ص ١١٣

^٢ - أبو العتاهية-ديوانه-دار صادر بيروت-ص ٣٧٧

^٣ - ابن طباطبا-عيار الشعر-ج ١-ص ١٨٧

^٤ - أبو نواس-ديوانه-طبعة الغزالي-ص ٤٠٨

* أبو الشيبص هو محمد بن رزين بن سليمان الخزاعي، شاعر متوسط المحل بين شعراء عصره، قيل أنه من أوصاف الناس وأمدحهم للملوك.(مهذب الأغناس-ج ٧-ص ٢٢٣).

* الوجيف:ضرب من سير الإبل

ويصف الدابة:^١

وتجشمت بي هول تتوقة
تذر المطي وراءها فكأنها
وإذا المطي بنا بلغن محمدا
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر
هوجاء فيها جرأة إقدام
صف تقدمهن وهي أمام
فظهرهن على الرجال حرام
قمر تقطع دونه الأوهام

فلا بد ان يكون الربط واضح بين المقدمة والغرض، فإذا فقدنا طريقة الوصل بين الأجزاء في الانتقال من موضوع إلي موضوع؛ أصبحت القصيدة متفرغة متباعدة أشبه بمجموعه من المقطوعات الشعرية الغنائية، لذلك يرى النقاد أن القصيدة الجاهلية لا تتوفر فيها الوحدة العضوية، ويرجعون ذلك إلي تعدد موضوعاتها، وانتقال الشاعر في قصيدته من غرض إلي غرض عن طريق تلك العبارات التي تربط بين الموضوعات كقولهم:^٢
(فعد عما ترى ودع ذاإلي فلان.....). كقول حسان بن ثابت:^٣

عرفت ديار زينب بالكثيب
فدع عنك التذكر كل يوم
وخبر بالذي لا عيب فيه
بما صنع المليك غداة بدر
كخط الوحي في الرق القشيب
ورد حرارة الصدر الكئيب
بصدق غير أخبار الكذوب
لنا في المشركين من النصيب
ونلاحظ انه تخلص من المقدمة بقوله (دع) وانتقل مباشرة الى غرضه.

ومثله قول ابن ميادة في المدح:^٤

ألا نسأل الربع الذي ليس ناطقاً
كم العام منه أو متى عهد أهله
هممت بقول صادق أن أقوله
رأيت الوليد بن يزيد مباركاً
وإني على أن لا يبين لسانه
وهل يرجعن عهد الشباب وعاطله
وإني على رغم العداة لقائله
شديداً بإحناء الخلافة كاهله

^١ - ابو نواس-ديوانه-طبعة الغزالي-ص ٤٠٨

^٢ -حسن، محمد صادق-المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي-مكتبة النهضة المصرية-١٩٩٤-ص ٥١٤

^٣ - حسان بن ثابت-شرح ديوان حسان بن الثابت الأنصاري، بيروت-دار الإحياء التراث العربي د.ت.ص ٣٦

^٤ ابن ميادة-شعره-ص ١٩٢

نجده لم يحسن التخلص وذهب الى عرضه مباشرة بقوله (هممت).

وهذه الروابط التي ينتقل بها الشاعر جعلها النقاد سبباً في تفكك وضعف وحدة القصيدة الجاهلية. وعن وحدة القصيدة العربية يقول ابن رشيق:^١ (فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتي انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب نما بالجسم عاهة تخفي معالم جماله).

وفي ذات الموضوع يقول طه حسين:^٢ (إن تفكك القصيدة العربية واقتصار وحدتها على الوزن والقافية دون المعنى، راجع إلي الإعجاب بالأدب الأوربي، والقصور على تنوع الأدب العربي القديم، فقراء الشعر العربي من المحدثين يعرفون الشعر العربي متفرقا، لأنهم يحفظونه متفرقا، ثم إنهم يقبلون ما يقوله الرواة وما ينقلونه إليهم في غير تحفظ).

إذن هو يرى أن الوحدة العضوية في القصيدة العربية موجودة لولا هاتان العلتان، ويرى أن هذه علة طارئة ليس على الشعر وحده، بل أصابت كل قديم نقل إلي المحدثين الآراء كثيرة ومتضاربة في وحدة القصيدة، وبحق أنه لو لم يوجد رابط لتحولت القصيدة إلي أجزاء متقطعة، والقصيدة إذا تمثلت فيها الوحدة العضوية لا تتأثر بطريقة النقل، لأنها تكون مترابطة الأجزاء.

^١ - ابن رشيق - العمدة - ج ٢ - ص ١١٧

^٢ - طه حسين - حديث الأربعة - دار المعارف - مصر - ط ١٠ - ج ١ - ص ٣١

خاتمة القصيدة:

كما أن مطلع القصيدة يجذب السامع والقارئ إلي متابعتها، فإن خاتمتها توحى بجودتها أيضا يقول ابن رشيقي: ^١ (فإذا كان أول الشعر مفتاحاً له، وجب أن يكون الآخر قفلاً له). وأمر المقاطع والنهاية قريب من أمر المطالع والبدائية، ذلك انه كلما تلمس روعة المطلع ليقرع الأسماع، تلمس حسن المقطع مؤذناً بالخواتيم. ^٢

وقد أطلق النقاد علي خاتمة القصيدة اصطلاح المقطع، لما كان المقطع آخر بيت في القصيدة، فقد اشترط النقاد فيه ان يختم كل غرض بما يناسبه، وأن يكون اللفظ عذبا والتأليف جزلاً متناسقاً، وأن يكون أجود بيت في القصيدة، وان يتضمن البيت حكمة أو مثلاً سائراً، وان يكون تشبيهاً حسناً. ^٣

ومن الآبيات الجيدة في خاتمة القصائد؛ قول ابن الزبير في آخر قصيدة اعتذر فيها للنبي صلى الله عليه وسلم واستعطفه يقول: ^٤

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت واقبل تضرع مستضيف تائب

فجعل العفو مع هذه الذنوب فضيلة، فجمع في البيت كل ما يحتاج إليه في طلب العفو، ومن أمثلة الحكمة أيضا قول أبي زيد الطائي: ^٥

كل شئ تحتال فيه الرجال غير أن ليس للمنايا احتيال

^١ - ابن رشيقي-العمدة-ج١-ص٢٣٩

^٢ - المجذوب، عبد الله الطيب-المرشد الى فهم أشعار العرب-مطبعة جامعة الخرطوم-ط٢-١٩٩٢-ج٤-ص١٢٨-١٢٩

^٣ -بكار، يوسف حسين-بناء القصيدة العربية-دار الأنلس للطباعة والنشر-بيروت-ط٢-١٩٨٢م-ص٢٢٩.

^٤ -العسكري، ابو هلال -كتاب الصناعتين-ص٤٤٣

^٥ -العسكري، ابو هلال-الصناعتين-تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم-المكتبة العنصرية-بيروت-١٤١٩-ص٤٤٣

* ابو زيد هو حرملة بن المنذر وهو نصرانياً مات على دينه-وهو شاعر مخضرم(الأغاني-ج١٢-ص١١٨).

* أسامة ابن الحارث الهزلي

ومثال المثل السائر بيت بشر بن أبي خازم:^١

ولا ينجي من الغمرات إلا بركاء* القتال أو الفرار

ومثال التشبيه الحسن قول الهذلي:^٢

عصاك الأقارب في أمرهم فزائل بأمرك أو خالط
ولا تسقطن سقوط النواة من كف مرتضخ لاقط

فقد عنى الشعراء العباسيون بأواخر قصائدهم، فكانوا يختمونها بأجمل الأبيات،
وغالبا ما تكون حكما أو أمثالا أو وصفاً لشعرهم.

^١ -بشر ابن ابي خازم-ديوانه-تحقيق عزة حسن-دمشق-١٩٦٠-ص٧٩

^٢ -ديوان الهذليين-إصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي-القاهرة-ج٢-ص١٩٦٥

المبحث الثاني

الخصائص الأسلوبية

أثرت البيئة البدوية - كما أسلفنا - على الشعراء البدو في العصر العباسي تأثيراً كبيراً، ووضح ذلك في نتاجهم الشعري الذي اتسم بالطابع البدوي التقليدي، وشكل تياراً موازياً لتيار شعر المحدثين في ذلك العصر، والقدم والحدأة مسألة نسبية تختلف من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل، وهذا يؤكد ابن رشيق بقوله: ' (كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه، بالإضافة إلى من كان قبله).

وأثر الزمن في تكوين الخصائص الفنية لهذا الفن أو ذلك، يعد ضئيلاً بالقياس إلى أثر البيئة أو المجتمع، وهذا يرجع إلى أن الفن سوى كان ذاتياً أو موضوعياً تعبير عن أحاسيس الفرد أو الجماعة من الناس الذين يعيشون في بيئة اجتماعية لها طبيعة جغرافية معينة، ولها نظم وعادات وتقاليد اجتماعية خاصة بها، وكل ذلك يترك أثراً لا يستهان به على الفن الذي نشأ في هذه البيئة أو تلك، متأثراً بها تأثيراً كبيراً.^٢

والمطلع على دواوين هؤلاء الشعراء يجد ذلك ويظهر له التشابه الفني بين شعر هؤلاء الشعراء وشعر العصر الجاهلي، الذي يعد في خصائصه الفنية المثل الأعلى لهم، والواقع أن لبيئة هذا الشعر بمعناها الجغرافي والاجتماعي، أثر كبير في تشكيل خصائصه الفنية، وعليه يمكن ارجاع خصائص هذا الشعر إلى الطبيعة البدوية التي نشأ وتطور فيها، وإلى طباع وأمزجة أصحابها التي اكتسبها من هذه الطبيعة الخشنة القاسية.

^١ - ابن رشيق الفيرواني - العمدة في محاسن الشعر وآدابه - ج ١ - ص ٩٠

^٢ - موافي، عثمان - الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها - ط ٣ - ١٩٩٩ - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - ص ١٦

ولم يكن أثر البادية مقتصرًا على الصور المستمدة من البيئة، والممثلة لما في حياتهم من أحداث وأدوات وعناصر، ولا يقتصر الأمر على موضوعه ومضمونه، بل يتعدى إلى شكله ولفظه ولغته واستعمالاتها، بما تتصف به من جزالة التعبير وقوة اللفظ، إلى طباع أهلها الخشنة الجافية التي شكلتها بيئة الصحراء البدوية. هذا إضافة إلى استعمالات اللغة المختلفة التي ارتبطت بالبيئة البدوية، فالصور البلاغية التي يستخدمها الشاعر من تشبيه، واستعارة ومجاز وكناية، كلها متصلة ومتأثرة بحياة البادية وأحداثها وطبيعتها، ويختلف هذا التأثير من بيئة لأخرى بين البادية والحاضرة. ويقول الجرجاني في أثر الطبائع والبيئات في الشعر:^١ (وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين أحوالهم، فيرق شعر أحدهم، ويصلب شعر الآخر، ويسهل لفظ أحدهم، ويتوعر منطلق غيره، وإنما ذلك حسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق،.....، وترى الجافي الجلف منهم كز الألفاظ، معقد الكلام، وعر الخطاب، حتى أنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرسه ولهجته، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك).

فشعر البادية صورة صادقة للحياة البدوية، والبيئة الصحراوية في لفظه وصوره ومعانيه، وأهم ما يميزه قوة لفظه وجزالة تعبيره.

فالبوادي العربية تسيطر عليها الصحراء المترامية الأطراف، ودرجة الحرارة المرتفعة التي أغلظت طباعهم وقبضت نفوسهم، وللصحراء طابعها الخاص حتى على الموسيقى، يصفها أحمد أمين بأنها:^٢ (قاسية عابسة رهيبية عظيمة، ذات نغمة واحدة متكررة، قد استولى على أهلها نوع من انقباض النفس أو الكآبة أو الوجد). وهذه النغمة الواحدة المتكررة، تفسر لنا ظاهرة التكرار في الشعر، (لأنهم يتغنون بلون واحد من القول، ونغمة واحدة، لأن الصحراء توقع على نفوسهم صوتاً واحداً، فيشعرون كما تلقوا شعراً واحداً).^٣ وقد أدرك الشعراء والنقاد هذه النظرية فعرفوا ما للمكان من هواء خاص، وما له من أثر

^١ - الجرجاني - القاضي أبو علي أحمد بن عبد العزيز - الوساطة بين المتبني وخصومه - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥١ -

ص ١٧-١٨

^٢ - أحمد أمين - فجر الإسلام - ج ٢ - ص ٤٥

^٣ - المرجع السابق نفسه - الصفحة نفسها

في تلوين نفسية الأشخاص بلونه، وبالتالي تلوين انتاجهم الأدبي بهذا اللون، يروي المرزباني عن محمد بن أبي العتاهية: ^١ أنشدت أبي أبا العتاهية شعراً من شعري فقال: أخرج إلى الشام. قلت لم؟ قال: لأنك لست من شعراء العراق فأنت ثقيل الظل، مظلم الهواء، جامد النسيم).

نلاحظ أن أبا العتاهية يفرق بين بيئة العراق والبيئة الشامية، وقد أنكر على ابنه أن يكون من أبناء العراق، ويرى أنه من الأولى أن يكون من أبناء الشام، ونتاجا لبيئتها، ويكون ظله كظلمها، وهواؤه كهوائها، فمن الواضح أن لبيئة الشام جو خاص يؤثر في الجو النفسي لأبنائها وخاصة الشعراء، وذلك لما ينتجونه من أعمال أدبية. ومن أبرز خصائص ومميزات شعر البداوة في العصر العباسي، الواقعية والوضوح، حيث أن الشعر صور البيئة أصدق تصوير، وهو تصوير شفيف لا خفاء ولا غلو ولا غموض فيه، بعيد عن المبالغة والتعقيد، فمعاني الشعر واضحة تلائم الفطرة، وتتسجم وطبيعة المجتمع البدوي، ولا شك أن البساطة والوضوح أثران من آثار البيئة، وصفاء الذهن واعتدال المزاج، وبدلان على عقلية هادئة مستقرة، لا اضطراب فيها ولا قلق، ولا غموض ولا تفلسف. فالشعر البدوي من حيث معانيه وأخيلته ولغته، يدل على رقي عقلي وصفاء ذهني، وعناية فنية فائقة ومهارة في صناعة الشعر، وصياغة معانيه وصوره، وبساطة لغته وصياغته لا تناقض بعد نظرهم وعمق أفكارهم وحضور بديهتهم، وليس الفن كله معقدا مركباً، بل منه البسيط الواضح الذي يلائم الفطرة والطبيعة البدوية، ومنه المعقد المغرق في الخيال الذي نتج عن الحضارة والمدنية، ونجد فيه كذلك الإيجاز الناتج عن طبيعة الحياة البدوية ذات التنقل والترحال، لذا تكثر التشبيهات في الشعر البدوي، إضافة إلى كثرة الصورة الحسية وبروزها. يقول الجبوري: ^٢ (يستطيع المرء أن يفسر كل مظاهر الشعر ومعانيه، وصوره وخياله ومفرداته اللغوية ومواصفاته، ونوازع الشاعر وأفكاره، ومثله وخلقه وعاداته وعصبيته، على أنها أصداء للبيئة وتصوير لها، ولم يسلم من هذا الأثر حتى أولئك الذين

^١ -المرزباني-الموشح-ص٣٧٥

^٢ - الجبوري، يحي- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه-ط٧ ١٩٩٤-مؤسسة الرسالة-بيروت-ص١٩٨

سكنوا بيئات أخرى أو بعد بهم الزمان، فعاشوا في قرون لاحقة، وذلك لأن الشعر الجاهلي بموروثاته، أصبح قدوة يحتذى، ونموذجاً يتبع، ومثالاً يحاكي، فصارت سنة الشعراء، اقتداءً فن الأوائل والنسج على منوالهم، لذلك بقي سلطان الشعر الجاهلي واضحاً بارزاً بعيد الأثر على شعر العصور التالية).

هكذا فالاتجاه البدوي في شعر العصر العباسي تسود فيه روح التقليد في معناه ومبناه، ليحقق حسب فهمهم المثالية التي تستمد عناصرها من الشعر الجاهلي، وقد ساعد على ذلك، حركة الرجوع إلى النماذج القديمة التي قام بها اللغويون والنحويون، بالإضافة إلى الذوق الفني الذي شكل خصائصه من حياة البادية، التي عاشوها أو أخلصوا لها ولن لم يعيشوا فيها.

وظهرت ملامح التأثير في الشعر من حيث البناء، واللغة، والأسلوب، والخيال، والصنعة. ورغم ما حدث من تجديد في الموضوعات لم يسلم منه البناء العام، نسبة لتعدد الثقافات في العصر العباسي، إلا أن الأصول بقيت ثابتة.

الألفاظ والمعاني:

اللفظ: يتحكم اللفظ في الفهم والاستيعاب لأي نص، كما أنه الوسيلة التي يمكن أن تقنعنا بما قرأناه وتحثنا على التعبير عما استفدنا، والمراد بكلمة اللفظ العبارة اللغوية فعلى الدارس أن يعرف مدى ما كانت عليه العبارة اللغوية من يسر وسهولة أو قوة وصلابة أو ثقل وتعقيد وهل تنساب وتترابط أجزاءها؟ أو ينفصم ما بين بعض فقراتها وبعض روابط وصلات وعليه بعد هذا أن يتعرف على أسباب هذا وذاك وأثره على جودة الشعر أو رداءته وعند أي الشعراء يكثر وفي أي الفنون يسود.^١

نجد أن أكثر الناس يفضلون اللفظ على المعنى ويقول ابن رشيق (اللفظ أغلى من المعنى ثمننا، وأعظم قيمة، واعز مطلباً، فالمعاني في طباع الناس يستوي الجاهل فيها

^١ - الكفراوي، محمد عبد العزيز - تاريخ الشعر العربي - مكتبة نهضة مصر بالفجالة - ج ٢ - ص ١٧٢

والحاذق).^١ إن شعراء هذا العصر كانوا يعنون بانتقاء الألفاظ الرقيقة السهلة ويتجنبون الوحشي المتوعر منها. وربما دخلت في الشعر بعض الألفاظ الفارسية، عصبية أو نظرفاً^٢. ومع ميلهم الشديد للسهولة والرقّة، حافظوا على جزالة اللفظ، وبعده عن الركاكة.

ويتميز شعر الأوائل بالرصانة، والجزالة، وقوة الأسر، ويعتبر ذلك امتداداً لمستوى الفحول الأمويين، من أمثال جرير والفرزدق والدليل على ذلك إعجاب شعراء بني العباس بشعراء عهد بني أمية، ومن الشعراء البدو الذين يستخدمون لغة الأوائل؛ أبي الخطاب البهدي، الذي مدح موسى الهادي:^٣

ماذا يهيجك من دار بمحنة	كالبرد غير منها الجدة العصر
عفت معارفها ريح تنسفها	حتى كأن بقايا رسمها سطر
أزري بجدها بعدي وغيرها	هوج الرياح التي تغدو وتبتكر

وهذه القصيدة تشترك مع الشعر القديم في اللغة والمعاني والبحر والروي مما يدل على تمسك الشاعر بمنهج الأوائل.

وهناك نوع من الألفاظ يتفق مع طبيعة العصر، وفي نطاقه جاء معظم نتاج شعرائه من أمثال مروان بن أبي حفصة، وغيره. وهذا النوع يتردد بين الصلابة والسهولة تردداً واضحاً وكمثال للقوة والجزالة قول البدوي أبي الشيص:^٤

يا دار مالك ليس فيك أنيس	إلا معالم آلهن دروس
الدهر غالك ام عراك من البلى	بعد النعيم خشونة ويبيوس
ما كان أخصب عيشنا بك مرة أيام	ربحك أهل مأنوس
فسقاك يا دار البلى متخرف	فيك الرواعد والبروق هجوس
انس الوحوش بها فليس بربعها	إلا النعام تروده وتجوس

فالألفاظ بها من القوة والجزالة ما لا يخفي فقد سلك الشاعر طريق أسلافه من الجاهليين

^١ - ابن رشيقي - العمدة - ج ٢ - ص ٨٠

^٢ - الجاحظ - البيان والتبيين - ج ١ ص ١٤١.

^٣ - ابن المعتز - الطبقات - ص ١٣٣

^٤ - المرجع السابق نفسه - ص ٨٤

ومثال آخر يدل على السهولة قول مروان بن أبي حفصة الذي سبق أن تناولناه في ذكر الطيف، ممهدا لمدح المهدي:^١

طرقتك زائره فحيي خيالها بيضاء تخط بالحياء دلالتها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

المعاني: المعاني هي الأفكار المختلفة التي يستعين بها الشاعر علي بلوغ هدفه من القصيدة، ومعاني الشعر عند الشعراء البدو هي معاني السابقين من جاهليين، وإسلاميين تناولوها فأحسنوا صوغها أو زادوا عليها لما امتازوا به من حصافة الرأي واتساع الحلية في القول، وما كان لهم من عناية بالتحسين، والذي ساعدهم على ذلك أيضا ان المعني وقع إليهم وقد تعب الأول في استنباطه، واحتفل بحسن صوغه، فلم يبق علي مستعيره إلا أن يحدث فيه ما يحاول الزيادة علي السابق.

والمعني إذا كان من المتقدم أو المتأخر فهو يرجع إلي مهارة الشاعر في الصوغ وحسن تأتيه للمعني واحتياله علي إبرازه حتى يصبح بذلك أجدر بالمعني من مخترعه.

وقد ذكر ان النابغة وصف قدرة النعمان وان مطلوبه لا منج له ولا معتصم فقال:^٢

فإنك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأي عنك واسع

وقد اعترض الأصمعي علي النابغة فقال:^٣ (أما تشبيهه الإدراك بالليل، فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه، وإنما كان سبيله أن يأتي بما لا قسيم له، حتى يأتي بمعني مفرد). فلو قال قائل ان منصورا النمري في ذلك أحسن منه لوجد مساقاً إلي ذلك حيث يقول:^٤

فلو كنت كالعنقاء أو كسموها لخلتك إلا ان تصد تراني

^١ -مروان بن أبي حفصة-ديوانه-ص ١٠٣

^٢ -النابغة الذبياني-ديوانه-تحقيق شكري فيصل-دار الفكر -د.ت-ص ٥٢

^٣ -مصطفى، محمود-الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي-ص ٣٣٠

^٤ -المصدر السابق- الصفحة نفسها

وقد اخذ هذا المعنى كثير من الشعراء البدو فقال سلم الخاسر:^١

فأنت كالدهر ميثوثا حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح اصرفها في كل ناحية ما فاتك الطالب
وقال علي بن جبلة:^٢

وما لامرئ حاولته منك مهرب ولو رفعته في السماء المطالع
بل هارب لا يهتدي لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

الارتباط بين اللفظ والمعنى:

يرتبط اللفظ بالمعنى ارتباطا وثيقا لأن كليهما مكمل للآخر، حتى يظهر النص في ثوب جميل، فاللفظ جسر وروحه المعنى، يقول ابن رشيق:^٣ (فهو منه بمثابة الروح للجسم يضعف بضعفه ويقوي بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه).

وقد اختلفت الآراء حول أهمية اللفظ والمعنى بالنسبة للقول الشعري. فهناك من يرى ان الشأن للفظ كالجاحظ الذي يقول:^٤ (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير).

أما الذين يساوون بينهما فمنهم ابن قتيبة، فخير الشعر عنده ما حسن لفظه وجاد معناه،^٥ وهنالك من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحة المعنى ولا يبالي بخشونة اللفظ

^١ - مصطفى، محمود-الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي-ص ٣٣٠

^٢ -السابق نفسه والصفحة نفسها

^٣ - ابن رشيق-العمدة-ج ٢-ص ٧

^٤ -الجاحظ-الحيوان-دار الكتب العلمية-بيروت-ط ٢-١٤٢٤هـ-ج ٣-ص ٦٧

^٥ -ابن قتيبة-الشعر والشعراء-تحقيق أحمد محمد شاكر-دار المعارف-مصر-١٩٦٦-ص ٤٠٣

وقبحه، ومن شعر العصر العباسي البدوي الذي تقيّد بعمود الشعر التقليدي مع إضفاء روح العصر على الشعر لفظاً ومعنى ما نراه جزلاً قويا وتارة سهلاً خفيفاً على الأسماع مثل قول سلم الخاسر:^١

حيّ	المناير	بالسلام	أعلى	وداعا	أو	لمام	
لم	يبق	منك	ومنهم	غير	الجلود	على	العظام
وإذا	عزمت	فامض	همك	بين	محمود	وزام	

وفي ذلك النموذج نرى كيف اخذ سلم الخاسر بعض ألفاظ السابقين واستفاد من تجاربهم،

أما ميمية أشجع السلمي فهي جزلة الألفاظ لطيفة المعنى من اللون المحافظ يقول فيها:^٢

قصر	عليه	تحية	وسلام	نثرت	عليه	جمالها	الأيام
-----	------	------	-------	------	------	--------	--------

ويستمر في المديح إلي قوله:

وعلى	عدوك	يابن	عم	محمد	رصدان	ضوء	الصباح	والإظلام
فإذا	تنبأ	رعته	وإذا	غفا	سلت	عليه	سيوفك	الأحلام

فهذان البيتان أرق أبيات القصيدة معنى وبناءً. ويتضح جمال المعاني في قوله "نثرت عليه جمالها الأيام" فكأن الجمال شيء ينثر. وفي قوله "رصدان ضوء الصباح والإظلام" وكذلك في قوله "سلت عليه سيوفك الأيام" فكأن الأحلام أشخاص أو جيوش تشهر سيوفها في وجه العدو، وهذه براعة في التشخيص.

^١ -ابن المعتز- طبقات الشعراء-ص ١٠٢

^٢ -المصدر السابق نفسه-ص ٢٥١

الأسلوب:

أحدث التطور العمراني والحضاري والثقافي تطوراً في لغة الشعر بصورة بما يتواءم مع طبيعة العصر وطبيعة الناس والبيئة العباسية الجديدة واتسم الأسلوب بالسلاسة والسهولة واللين، وكثرت فيه الرقة. والشعر في هذا العصر يؤدي بأسلوبين متناقضين لكل منها أنصاره ومريدوه:

أ/ أسلوب يتميز بالبعد عن التكلف والتصنع والحرية في عرض الفكرة، والحرص على الوحدة الموضوعية، والتحرر من القوالب العروضية التي يميل إليها القدماء.

ب/ أسلوب يتميز بوضوح الخصائص الفنية، وهي الصنعة والتقليد واستخدام اللغة القديمة والصور البدوية والجنوح إلى الغرابة اللفظية.^١ وهو ما نحن بصدد دراسته، ومثاله ما نجده في شعر العتابي من سهولة ويسر قوله:^٢

رسل الضمير إليك تترى بالشوق ظالعة وحسرى
ما جف للعينين بعدك يا قير العين مجرى
ومثله قول ابن هرمة في مدح السري ويشوق إلى أهله:^٣

ألحمامة في نخل ابن هداج هاجت صباة عاني القلب مهتاج
أم المخبر أن الغيث قد وضعت منه العشار تماماً غير إخداج
شقت سوائفها للفرش من ملل إلى الأعارف من حزن وأولاج*

فمن المعاني البدوية العشار جمع عشاء وهي الناقة، وأخدجت الناقة أي ألقته ولدها قبل أوأته، ونجد أسلوبه سهل ومعانيه واضحة.

فالأساليب بوجه عام جنحت إلى السلاسة والرقة، وتخلصت من الخشونة، إلا بعض المعاني البدوية التي تحتاج إلى شرح.

^١ - السيد، عبد اللطيف محمد-الخصومة بين القدماء والمحدثين- ١٩٩٦-ص ٧٤

^٢ - الأصفهاني-الأغاني-ج ٢-ص ٣١٢

^٣ - ابن هرمة-شعره-ص ٨٠*ملل: موضع-الأعارب:جبال في اليمامة-الحزن: ما غلظ من الأرض-أولاج: المنخفض من الأرض

الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية):

الوزن:

يعتبر الوزن من الأركان الأساسية في الشعر العربي، وقد وضع الخليل بن احمد علم العروض وحدد فيه البحور الشعرية التي يجئ بها الشعر وهي خمسة عشر بحراً، وأضاف إليها الأخفش الأوسط الوزن السادس عشر، وقد ربط بعض الباحثين الأوزان الشعرية بالأغراض، وحقيقة ان هذا الرأي لا تحكمه قاعدة ثابتة، لان واقع الشعر لا يؤيد ذلك، والدليل على ذلك المعلقة، وهي تحوي مجموعة من الأغراض الشعرية، وتأتي في وزن واحد وقافية واحدة.

فالوزن هو الخاصية التي يتميز بها الشعر، وقد حاول الشعراء في العصر العباسي التجديد في أوزان الشعر وأكثروا من الأوزان القصيرة التي تلائم موضوعاتهم، ولكن لجأوا إلي الأوزان الطويلة عند الفخر والمدح والثناء، وحافظ الشعراء على الأوزان العربية القديمة، ولم يخرجوا عنها إلا قليلاً. أما الشعراء البدو في العصر العباسي فقد استخدموا البحور الطويلة في أغراض الشعر القديمة، مثال ذلك قول الحسين بن مطير من بحر الطويل:¹

قول لصحبي يوم أشرفت واجفاً ونفسي قد كاد الهوى يستطيرها
ألا حبذا دار السلام وحبذا أجارع وعساء التقى فدورها
ومن بحر الكامل قول ابن هرمة في الفخر:²

إما تريني شاحبا متبذلاً كالسيف يخلق جفنه فيضيع
فلرب ليلة لذة قد نلتها وحرامها بحلالها مدفوع

ولم يقتصر الشعراء البدو نظمهم في البحور الطويلة على موضوعات المدح والثناء والفخر، فهناك أغراض أخرى جاءت في البحور الطويلة التقليدية.

¹ - ابن مطير - شعره - ص ١٦٥

² - ابن هرمة - شعره - ص ١٤٤ * وجف: اضطرب - استطار: تفرق - الأجارع: الارض الغليظة - وعساء: الرملة السهلة

القافية:

اختلف العلماء في تعريف القافية، قال الخليل: ^١(هي من آخر بيت إلى أول ساكن يليه من المتحرك الذي قبل الساكن). وقال الأخفش: ^٢(هي آخر كلمة في البيت). ومنهم من يسمي البيت قافية، ومنهم من يسمي القصيدة قافية، ومنهم من جعل حرف الروي هو القافية. ^٣

وجاء في الأصول الفنية للشعر الجاهلي: ^٤(والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهها عجيبا، وذلك لما فيه من توقع لمقاطع تنسجم مع ما نسمع لتتكون منها جميعا تلك السلسلة المتصلة الحلقات والتي تنتهي بعدد من المقاطع بأصوات بعينها).

والملاحظ ان الشعراء في العصر الجاهلي والأموي كانوا يلتزمون التزاما تاما بقافية واحده ووزن واحد، مثال ذلك المعلمات.

والقوافي نوعان من حيث التقيد والإطلاق ويمكننا ان نأخذ نماذج لها من خلال أشعار بعض الشعراء موضوع الدراسة.

أولاً القوافي المطلقة: وهي ما كان رويها متحركا مثال ذلك قول علي بن الجهم: ^٥

جزعت للشيب لما حل أوله
فهاج لي أنساني الجزعا
أما المشيب يداوي الخطر شايعه
فكيف لي بدواء يذهب الصلعا
وقول ابن ميادة في الفخر: ^٦

إننا لنقدم حين لا متقدم
ونبيع الأموال بالحمد
وترى الملوك الغر حول بيوتنا
يمشون في الحلقات والقَد

^١ -الزمخشري-أساس البلاغة-دار صادر بيروت-ط١-١٩٩٢-ص٥١٨

^٢ -المرجع السابق نفسه-والصفحة نفسها

^٣ -التبريزي- الخطيب يحيى بن أحمد- الوافي في العروض والقوافي-الدار السودانية للكتب-١٩٧٥م-ص٢٢٠

^٤ -شليبي،سعد إبراهيم- الأصول الفنية للشعر الجاهلي-مطبعة دار غريب القاهرة١٩٧٧-ص٢٤

^٥ -ابن الجهم-شعره-ص١٥٨

^٦ -ابن ميادة-شعره-ص١١٧

وكذلك قول ابن مطير: ^١

بكرت عليك فهيجت وجدا
أتحن من شوق إذا ذكرت
هوج الرياح واذكرت نجدا
نجد وأنت تركتها عمدا
وقول أبو شراة: ^٢

أأنبذ مجنوناً إذا جدتُ بالذي
فداموا على الزور الذي عرفوا به
ملكْتُ ون دافعتُ عنه فعائلُ
ودمت على الإعطاء ما جاء سائلُ
ثانيا القوافي المقيدة:

وهي ما كان رويها ساكنا ومنه قول حسين بن المطير: ^٣

ولما تنهى الحب في القلب وارداً
وأبي طبيب يبرئ الداء بعد ما
أقام وسدت فيه عنه مصادره
تشربه بطن الفؤادِ وظاهره
وقول ابن ميادة: ^٤

يا صحاب الرجل توطأ واكتفل
كل مطار طامح الطرف رهل
وأحذر بدغنان مجانيين الإبلُ
ألزمها الراعي صراراً لا يحلُ
ويقول مروان بن أبي حفصة في مدح المهدي: ^٥

إليك قصرنا النصف من صلواتنا
فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا
سيرة شهر بعد شهر نواصله
بك ولكن أهناً الخير عاجله
ويقول أبو الخطاب البهلي: ^٦

ضجت ولجت في العتاب والعدل
لو صخبت شهرين دأباً لم تيل
صخابة ذات لسان وجدلُ
وجعلت تكثر من قول العللُ

^١ - ابن مطير-شعره-ص١٥٣

^٢ - الأصفهاني-الأغاني-ج٢٣-ص٢٣

^٣ -ابن مطير-شعره-ص١٦٣

^٤ -ابن ميادة-شعره-ص٢١٩

^٥ - مروان بن أبي حفصة-ديوانه-ص١١٤

^٦ - الجاحظ-البيان والتبيين-ج١-ص٦

الموسيقى الداخلية:

لم تقتصر الموسيقى الداخلية على شعر المحدثين من الشعراء، وإنما وجدت منذ العصر الجاهلي، مثال ذلك قول النابغة:^١

تبدو كواكبه والشمس طالعة نورا بنور وإظلام بإظلام

فهو يصف الجو المكفهر في المعركة ويكرر لفظي النور والإظلام، مما أكسب البيت موسيقى جميلة.

واستخدم الموسيقى من الشعراء البدو الحسين بن مطير بتكراره بعض الألفاظ في قوله:^٢

فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويمطر يوم البأس من كفه الدم
ولو أن يوم البؤس خلى عقابه على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى نواله على الناس لم يصبح على الأرض معدم

وفي أخرى قال:^٣

عرفت منازلًا بشعاب شرح فحييت المنازل والشعابا
منازل هيجت للقلب شوقاً وللعينين دمعاً واكتئابا

في الأبيات الأولى كرر لفظة: من كفه والجود ، ويوم الباس ويوم الجود، ولم يصبح على الأرض. وفي الثانية كرر المنازل والشعاب. واكسب هذا شعره موسيقى جميلة.

وكذلك من الشعراء المحافظين في العصر العباسي نجد أبا تمام وسيلته الموسيقية تكرر اللفظ أو ما يشتق منه، وذلك مثل قوله:^٤

^١ -المرتضى، الشريف-أمالى المرتضى-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية -ط١-١٩٤٥-ج١-ص٥٢

^٢ -ابن مطير-شعره-ص١٨٦

^٣ -السابق نفسه-ص١٣٨

^٤ -ابو تمام-ديوانه-ج١-ص٦٠

ضوء من النار والظلماء عاكفة
والشمس طالعة مندا وقد أفلت
وظلمة من دخان في ضحى شحب
والشمس واجبة مندا ولم تجب

ومن وسائل الموسيقى الداخلية أيضا ما يسميه البلاغيون بالترصيع، وهو في لسان علماء
البيان، مقول على ما كان من النظم والمنثور من الكلام، ألفاظ الفصل الاول فيه مساوية لألفاظ
الفصل الثاني في الاوان واتفاق الاعجاز، واشتقاقه من قولهم: تاج مرصع إذا كانت فيه حلية،^١
ومثال الترصيع عند الأقدمين قول الخنساء:^٢

حامي الحقيقة محمود الطريقة مهدي الخليفة نفاع وضرار
جواب قاصية جزار ناصية عقاد الوية للخيل جرار

ومثله عند المحافظين من شعراء العباسيين قول مسلم بن الوليد في المدح:^٣

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه رجل يسعى إلى أمل

ومن أمثله عند الشعراء البدو قول مروان في مدح المهدي:^٤

إلى ملك مثل بدر الدجى عظيم الغناء رفيع الدعم
قريع نزار غداة الفخار ولو شئت قلت جميع الأمم
له كف جود تفيد الغنى وكف تبيد بسيف النقم

ومن وسائل الموسيقى الداخلية أيضا الترصيع وهو اتفاق قافية الشطر الاول من البيت مع قافية
الشطر الثاني، ونجده في مطالع القصائد وخاصة المعلمات عن الجاهليين مثله قول امرئ
القيس:^٥

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

^١ -العلوي يحيى بن حمزة بن علي-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز-المكتبة العنصرية بيروت-ط١-١٤٢٣هـ-ج٢-ص١٩٤

^٢ -الخنساء-الديوان-دار صادر بيروت-د.ت-ص٣٤

^٣ -مسلم بن الوليد-ديوانه-٩١

^٤ - مروان-الديوان-ص١١٧

^٥ -الشيبياني-شرح المعلمات التسع-ص١٢٠

وقول ابن كلثوم:^١

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

ومن البدو في العصر العباسي علي ابن الجهم اذ يقول:^٢

عجنا المطي ونحن تحت الحاجر بين الابارق والسبيل الغامر

و مروان بن ابي حفصة يقول:^٣

أعص الهوى وتعزّ عن سعداك فلمثل حلمك عن هواك نهاك

الحسين ابن مطير يقول:^٤

نزل المشيب فما يريد براحا وقضى لبانته الشباب فراحا

فالتصريح واتفاق القوافي واضح في الأبيات بين منزل وحومل في قول امرئ القيس، وفاضلنا والأندرينا عند عمر بن كلثوم، والحاجر والغامر عند علي بن الجهم، وسعداك ونهاك عند مروان بن أبي حفصة، وبراحا وفراحا عند ابن المطير. ونلاحظ مما تقدم تأثر الشعراء البدو بمن سبقهم في الموسيقى والأوزان والقوافي.

^١ - الشيباني-شرح المعلقات التسع-ص ٣٠٨

^٢ - علي بن الجهم-ديوانه-ص ١٤٢

^٣ -مروان-ديوانه-ص ٨٤

^٤ - ابن مطير-شعره-ص ١٤٩

الصنعة والخيال

هي ما يدخل من التصوير والتخييل على المادة الشعرية، ليجرز المعاني ويضعها في صورة رائعة، ويجعلها تعلق بالنفوس. ولم تكن الصنعة الشعرية عند القدماء متعمدة، بل كانت كلاماً يسيل عن فيض السليقة ووحى الفطرة، وهي سهلة في أساليب رصينة قوية، لا يقصد بها إلا إبراز المعنى وتحديده، وقد حذا المحدثون حذو القدماء وترسموا خطاهم، محاولين تميم وتجميل عباراتهم، يقول ابن رشيق: ^١ (إنما مثل القدماء والمحدثين، كمثل رجلين، ابتداءً هذا بناءً فأحكمه وأتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن).

فالشعر لا يسمى شعراً من غير الصناعة الفنية، لكن هذه الصناعة تختلف عند الجاهليين، عن التي نجدها عند شعراء العصر العباسي، إلا أن الشعراء البدو في ذلك العصر كانت صنعتهم الشعرية فطرية غير متعمدة، شأنهم شأن الجاهليين.

وتنقسم الصنعة الشعرية في القرن الثاني إلى نوعين: ^٢

صنعة لفظية: وهي التي أحدثها الشعراء من جناس وطباق ومقابلة وما إلى ذلك من ألوان البديع.

صنعة معنوية: وهي الصورة التي تركز على عناصر التشبيه والتمثيل والاستعارة، وغيرها من ضروب التصوير والتخييل.

والناحيتان تكملان بعضهما البعض.

^١ - ابن رشيق - العمدة - ج ١ - ص ٥١

^٢ - العماري، علي - التاريخ الأدبي - ص ٢١

التصوير والخيال أساسيان في الصنعة الشعرية، (فالتصوير: هو استحضار صور المدركات الحسية عند غيابها عن الحواس دون تغيير أو تبديل، أما التخيل: فهو استحضار صور لم يسبق للمرء رؤيتها، وإنما صنعها خياله ورسمها فكره).^١

والمعاني المجردة قد تكون في حقائق العلوم والمعارف الإنسانية، ولكن لا يمكن أن تكون أساس الشعر وغايته، وهي أيضاً لا تعني أن يتصنع الشاعر، ويبدل قصارى جهده ليزين المادة الشعرية بألوان وأشكال، فالصنعة يلهم بها الشاعر إلهاماً، كما يلهم بمادة الشعر، ولا تظهر في الصنعة الموهوبة آثار التكلف، ويتجلى ذلك بوضوح في معلقة امرئ القيس التي يقول فيها واصفاً طول الليل:^٢

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلابه وأردف أعجاز وناء بكاكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

نرى أن الصورة البديعية من التشبيهات والاستعارات كثرت في الأبيات، فقد شبه الشاعر الليل بموج البحر يأخذه من كل جهة، وشبه الظلمة بالسدول يغشاه من كل جوانبه، وصور الليل في صورة بعير تمطى وغطى الأرض.

وعند متابعتنا لمعلقة امرئ القيس وتفحصنا لما بها من خيالات وصور أحكمها الشاعر، لم يساورنا شك في أن تلك الخيالات والصور لم تستو له إلا بعد جهود عنيفة، بذلها حتى تخرج المعلقة بهذه الصورة، وكذلك المعلقات، غنية بالصور والتشبيهات البيئية البسيطة غير المتكلفة.

وقد شاع هذا التصوير في الشعر القديم وكان الشعراء مولعين بتصوير ما تصل إليه حواسهم يقول عنتره بن شداد:^٣

^١ - الكفراوي، محمد عبد العزيز - شعر العربي بين الجمود والتطور - مطبعة الرسالة - دار نهضة مصر - القاهرة - ط ٢ - د.ت - ص ٥٤

^٢ - امرؤ القيس - الديوان - ص ١١٧

^٣ - عنتره - الديوان - ص ١١٢

رِيَاكَ مِنْ ذَعْرِهَا إِذَا لَبَسَتْ كَأَسِّ مُدَامٍ قَدْ حُفَّ بِالرُّرِّ
أَعَارَتِ الظَّبْيَ سِحْرَ مُقْلَتِهَا وَبَاتَ لَيْثُ الشَّرَى عَلَى حَنْرِ
حَوْدِرَاحٍ هَيْفَاءُ فَاتِنَةٌ : خَجِلٌ بِالْحُسْنِ نَهْجَةَ الْقَمْرِ

وهنا يصور فارس بنى عبس جمال ثغر حبيبتة، ويشبهه بكأس الخمر في فعله المسكر،
وقد زينته أسنان كالدرر، ويجعل الظبي يستعير جمال عيونه وسحرها من سحر المحبوبة، الفاتنة
التي يخجل القمر من حسنها.

يقول طرفة بن العبد:^١

وانني لأمضي عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
آمون كألواح الإران نصأتها على لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردي كأنها سفنجة تبيري لأزعر أريد
تربعت الققين فى الشول ترعي حدائق مولي الأسرة أغيذ
لها مرفقان أفتلان كأنها تمرُّ بسلمي دالـج متشدد
كقنطرة الرومي أفسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقمرمد

إن ناقة طرفة التي يمضي عليها همومه، ناقة متزنة أمون لا يخاف الشاعر عثارها،
وهي منبسطة الظهر والعظام كألواح التابوت، ثم إن هذه الناقة تشبه الجمل فى متانة الخلق
واكتناز اللحم، وهى تعدو كالنعامة تعرض لظليم قليل الشعر، أى أنها فائقة السرعة، وقد رعت
هذه الناقة أيام الربيع بين نوق جفت عروقها وقلت ألبانها، مما يشجعها على الرعي والانسجام
مع بقية النوق، وكان ذلك الرعي فى واد كثير الأمطار والخصب أى فى مكان قد حظي بجميع
نعم الطبيعة، ولهذه الناقة مرفقان أفتلان قويان بائنان عن جنبها، فكأنها تمر مع دلوين يحملها

^١ - طرفة بن العبد، الديوان، بيروت، دار صعب، ١٩٨٠، ص ٣٤

ناقل المياه؛ ولا تختلف ضخامة هذه الناقة عن قنطرة الرومي الضخمة، وفي كل الأبيات السابقة يلحظ القارئ سمة المثالية والتميز التي أضفاها الشاعر على ناقته.

ومن الشعراء البدو الذين حدوا حدو الأقدمين في دقة التصوير وجمال الخيال ابن هرمة إذ يقول مصوراً رهافة حسه:^١

وما نلتقي من بعد نأي وفرقة وشحط نوى إلا وجدت له بردا
على كبدٍ قد كاد يبدي بها الهوى ندوبا وبعض القوم يحسبني جدا

فهو يصور شدة ألمه وإحساسه ببعده محبوبته بأنها تترك أثراً كندوب الجروح على كبده.

ومن صور التشبيه عنده أيضاً قوله:^٢

سلكوا على صفر كأن حمولهم بالرضامتين ذرا سفين عوم
وكأنما اشتملت مواقى عينه يوم الفراق على يبيس الخمم

فقد صور جماعة المرتحلين وهم على الجبل كأعلى سفينة تمخر في البحر.

ومروان بن ابي حفصة يصور سرعة رحالهم بسرعة النعامة الناجية من الموت بسرعتها

لتلحق ولدها في ظلمة الليل قائلاً:^٣

هوجاء تدرع الربا وتشققها شق الشموس إذا ترع جلالها
تتجو إذا رفع القطيع كما نجت خرجاء بادرت الظلام رئالها
كالقوس ساهمة أتتك وقد ترى كالبرج تملأ رحلها وحبالها

^١ - ابن هرمة-شعره-ص ٩٩

^٢ - المصدر السابق ص ١٩٩

^٣ - مروان بن ابي حفصة-الديوان-ص ١٠٤

ومن وسائل التصوير التشخيص كما في قول علي بن الجهم:^١

الورد يضحك والأوتار تصطخب والناي يندب أشجاناً وينتخب
والراح تعرض في نور الربيع كما تجلى العروس عليها الدر والذهب

شخص الورد والناي وصور الراح في نور الربيع كصورة عروس مزينة بالدر والذهب.

ويصور ابن مطير محبوبته كصورة غمامة أو سحابة ممطرة بقوله:^٢

في الحي غراء الجبين كأنها غمامة صيف مستهل صبيرها

ومن الصور الجميلة أيضاً قوله في الغزل:^٣

كأن سليمي حين قامت فأشرقت بوجهه أسيل زينته غدائه
غزال سوى الأرداف والفرع والشوى ولكن لسلمي طرفه ومحاجره

ومن التشبيهات التي تتم عن خيال خصب يستمد صورته من البيئة البدوية قول علي بن الجهم:^٤

وسارية ترتاد أرضاً تجودها غلت بها عيناً قليلاً هجودها
أنتنتا بها ريح الصبا وكأنها فتاة تزجيهما عجوز تقودها
تميس بها ميساً فلا هي ان ونت نهتها ولا إن أسرعت تستعيدها

شبه السحابة بالفتاة والريح بالعجوز التي تقودها، وبرع في تصويرهما في حالتها القوة والضعف.

^١ - ابن الجهم - ديوانه - ص ٦٧

^٢ - ابن مطير - شعره - ص ١٦٦

^٣ - السابق نفسه - ص ١٦٢

^٤ - ابن الجهم - شعره - ص ١١٣

المبحث الثالث

تحليل نماذج من شعر البدو

في هذه الجزئية من الدراسة سنتناول بعض النماذج من قصائد لشعراء بدو، جاء اختيارها لأنها اتسمت بخصائص القصيدة العربية القديمة، من ألفاظ ومعاني وصور وتشبيهات تعكس بيئة الشعراء التي عاشوها، وأثرها عليهم، وعدم تأثرهم بالثقافات التي غزت العصر وتأثر بها معاصروهم من الشعراء.

كما انها انتهجت نهج القصيدة القديمة في هيكل نظمها، كالمقدمة التقليدية التي تبدأ بذكر المحبوبة ووصف الطعن والأطلال، ووصف الراحلة ثم الغرض الذي من أجله نظمت القصيدة ثم اختتامها.

وجاء اختيار القصائد من الأغراض القديمة كالفخر والمدح والغزل، واختيار الشعراء ممن صنّفهم النقاد بأنهم بدو، وقد سبق ذكرهم وتعريفهم في الفصول السابقة من الدراسة، في تناول شخصياتهم وأشعارهم، وجاءت هذه الجزئية كدراسة فنية للوقوف على ما ذهبنا إليه من قول في الشعراء البدو وسماتهم وخصائص شعرهم بالشواهد الشعرية مشفوعة بالشرح والتحليل.

كَأَنَّا يَا سُلَيْمَى لَمْ نَلَمْ بِكُمْ^١

الحسين بن مطير . ١٧٠ هـ

كَأَنَّا يَا سُلَيْمَى لَمْ نَلَمْ بِكُمْ
وَلَمْ نُكَلِّمْكَ وَالْحُسَادُ قَدَّ حَضُرُوا
وَلَمْ تُفَى يَوْمَ سَارَتْ عَيْكُمْ عَقَا
سَقَى سَقَى اللَّهَ جِيرَانًا لَنَا ظُغُوا
لَمْ أَخْشَ مِنْهُمُ حَتَّى غَوَا حَزَقًا
فَأَحَدَتْ مِنْ خَلْفِهِمْ حَالِيهِمْ مَ غَرِدًا
وَأَصَبَتْ مِنْهُمْ مَ ضَبَاءَ خَالِيَةً
تَلِكُمْ بِيَارِكُمْ بِالْقَفِّ دَارِسَةً
قَفَرًا خَلَاءَ مَا يَظَلُّ بِهَا
فِيهَا أَوَارٍ وَأَثَارٍ بِعِضْتِهَا
دَارٍ لِنَاعِمَةِ بِيضَاءَ حُطَّتْهَا
وَمُورِدٍ آجِنٍ سَمِّ مَنَاهِلُهُ
زَارَتْكَ سَلْمُوًا لَطْلُمَاءُ نَاجِيَةً
فَمَرْجَبًا بِكَ مِنْ طِفِّ أَلَمِّ بِنَا
هَلْ يُنْدِيكَ مِنْ سَلْمَى وَجِيرَتِهَا
هَلْ الْمَشَافِرِ أَيْبِهَا مُوثَقَةٌ
لَمَّا لَقِنَ لِمَاءِ الْفَحْلِ أَعْجَبَهَا
تَفْرِي السَّبَاعِ سَلَى عَنْهُ تَمَاشِقُهُ
قَالَتْ تَغَيَّرَتْ عَنْ وَدِيِّ فُكُلْتُ لَهَا
مَا أَسَّ لَا أَسَّ مِنْكُمْ نَظْرَةً سَلَفَتْ

وَتَحَدَّنَا عَسِيَّاتٍ مَلَاجِيحُ
وَفِي الْكَلَامِ عَنِ الْحَاجَاتِ تَخْلِيحُ
وَالْتَوَسُّوِيُّ بِجَنْبِ السَّاجِ مَجْرُوحُ
لَمَّا نَنَا مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ تَهْيِيحُ
وَأَسْتَوْسَقَتْ بِهِمُ الْوَلُّ الْعَاجِيحُ
وَحَدَّرْتُ نُونٍ مَنْ تَهَيَّيْ إِلَهٍ وَادِيحُ
كَمَا خَدَّتْ مِنْهُمُ الزُّورَاءُ فَالُوحُ
يَبْدُنُ فِيهَا عَجَاجُ الصَّفِيْوَالِهِ وَجُ
إِلَّا الظُّبَاءَ وَغَرِبَانَ مَشَاحِيحُ
وَمِثْلُ نَاحِلٍ فِي الدَّارِ مَشْجُوحُ
عَصَبٌ يَمَانٍ وَوَدِّ فِيهِ تَدْبِيحُ
كَأَنَّ رِيْقَ النَّسِيِّ فِيهِنَّ مَلُوحُ
وَالعَيْنُ هَاجِعَةٌ وَالرُّوحُ مَعْرُوحُ
وَلَيْسَ يَا سَلْمَى بِي فِي السَّلْمِ تَحْرِيحُ
قَلَاتِصَّ أَرْحَبِيَّاتٍ حَرَاجِيحُ
زُجٌّ وَأَرْجُطُهَا زَلُّ هَزَالِيحُ
وَقَدْ التَّكَاحِ قَدِّمُ يُتَمَنَّ تَخْدِيحُ
كَأَنَّهُ بَرْدُ عَصَبٍ فِيهِ تَضْرِيحُ
لَا وَالَّذِي بَيْتُهُ يَا سَلْمُ مَحْجُوحُ
فِي يَوْمِ عِيدٍ وَوَمِ الْعِيدِ مَخْرُوحُ

^١ - ابن مطير - حياته وشعره - ص ١٤٥ - ١٤٧

كَأَنَّا يَا سُلَيْمِي لَمْ نُكَلِّمْ بِكُمْ
وَلَمْ نُكَلِّمْكَ وَالْحُسَادُ قَدْ حَضَرُوا
وَلَمْ نُفِي هَمَّ سَارَتِ عَيْكُمْ عَقًّا
سَقَى سَقَى اللَّهَ جِيرَانًا لَنَا ظَعْنًا
لَمْ أَحْسَ سَيْبُهُمْ حَتَّى غَوَّ حَرْقًا
وَتَحَنَّا عَسِيَّاتٍ مَلَاجِيحُ
وَفِي الْكَلَامِ عَنِ الْحَاجَاتِ تَخْلِيحُ
وَالثَّوْسِيُّ بِجَنْبِ السَّاجِ مَجْرُوحُ
لَمَّا نَنَا مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ تَهْيِيحُ
وَاسْتَوَسَّقَتْ بِهِمُ النُّؤْلُ الْعَاجِيحُ

ألم: زار ،العلسيات:الإبل المنسوبة إلى بني علس وهم بطن من بني سعد
الملاجيح:السريعات المندفعات - التخليج:المنع- العيس:النوق.العنق:ضرب من سير
الإبل. الدوسرى من النوق:العظيمة- القوية.الساج:الخشبة الصلبة.مجروح:قلق مضطرب
متحرك- ظعنوا: ارتحلوا.الحزن: ما غلظ من الأرض وارتفع ،ورياضه من أطياب
الرياض.التهيج:من هاجت الريح النبات إذا يبسته- البين:البعد.الحرق:الجماعات.
استوسقت: اجتمعت وانضمت.البزل:جمع بازل،وهو البعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن
في التاسعة وفطر نابه.العناجيج:جمع عنجوج،وهو النجيب من الإبل الطويل العنق.

المعنى: بدأ الشاعر بذكر محبوبته، التي لم يحظ بلقائها حين قصدها ممتطياً سراع الإبل،
ووصف موقف الطعن ودعا لديارها بالسقيا عندما وجد جموعهم قد غادرت على نجائب
الإبل الصغار منها والكبار.

فَأَحْتَتَّ مِنْ خَلْفِهِمْ حَالِيهِمْ مَ غَدَاً
وَأَصْبَحْتُ مِنْهُمْ مَ ضَبَاءَ خَالِيَةً
تَلَكُمُ بَيْرُكُمْ بِالْقَفِّ دَارِسَةً
قَفَرًا خَلَاءَ مَا يَظَلُّ بِهَا
فِيهَا أَوَارٍ وَأَثَارٍ بِعُضْتِهَا
وَحَدَّتْ نُونٍ مَنْ تَهَى الْهَ وَادِيحُ
كَمَا خَلَّتْ مِنْهُمُ الزُّورَاءُ فَالْعُوجُ
يَبْدُنُ فِيهَا عَجَاجُ الصِّفْوَالِهِ وَجُ
إِلَّا الظَّبَاءُ وَغَرِبَانُ مَشَاحِيحُ
وَمَثَلٌ نَاحِلٌ فِي الدَّارِ مَشْجُوحُ

الغرد:الفرح.خدرت: سترت.الهواديح:جمع هودج ،وهو مركب المرأة- القف: ما غلظ من الأرض وارتفع.دراسة: بالية.يستن: يتردد ،واسنت الريح: جاءت على وجه واحد وطريقة واحدة.العجاج:الغبار الهوج من الرياح: السريعة كان بها هوجا وطيشا فهي لا تقصد في سيرها ومرها - الطباء: جمع ظبي وهو الغزال المشاحيح: من شحج الغراب إذا رجع صوته ومدّه.-الأوارى: الأوتاد ومرابط الإبل والخيل المرصة:الساحة. المائل:اللاصق بالأرض.ناحل: بال.المشجوج: المشقوق الرأس.

المعنى: يقول إنهم يسيرون وخلفهم حاديهم فرحاً يردد الحانه، وقد اتخذت الهوادج شكلاً يخفي أو يستتر من بداخلها حتى لا يتمكن من رؤية محبوبته الطاعنة. ثم وصف حال الديار بعد رحيلهم وأنها اصبحت مهجورة متربة بعد أن عصفت الرياح بها، وسكنتها الطباء والغريان وما بقيت من آثارهم الا مرابط الإبل، والمخلفات البالية.

دَارٌ لِنَاعِمَةٍ بِيضَاءِ حُطَّتْهَا
وَمُورِدٍ آجِنٍ سُمِّ مَآهَلُهُ
زَارَتْكَ سَلْمُوْلُظْلُمَاءُ دَاجِيَةٌ
عَصَبٌ يَمَانٌ وَوَدٌّ فِيهِ تَدْبِيحٌ
كَأَنَّ رِيْقَ الدُّنْيِ فِيهِنَّ مَلْجُجٌ
وَالعَيْنُ هَاجِجَةٌ وَالرُّوْحُ مَعُوجٌ

فَمَرْجَبًا بِكَ مِنْ طُفِّ أَلَمِّ بِنَا
وَدَيْسَ يَا سَلْمُ بِي فِي السَّلْمِ تَحْرِيجِ

العصب: نوع من الثياب.التديح:النربين والنقش - المورد:الماء الأجن .المتغير اللون.السدم: المدفونة. الدبي: صغار الجراد. ملجوج: مطروق- داجية: شاملة- هاججة:نائمة. معروج: أي معروج بها - التحريج: التضيق. والسلم: لعلها حرفة عن النوم. ومما يرجع ذلك أن الشعراء يرددون في وصف الطيف أن زيارته لهم، واستمتاعهم به ليس مما فيه ذنب ولا حرج عليهم.

المعنى: يصف ديار محبوبته البيضاء الناعمة المترفة، التي هجرتها وارتحلت عنها، حتى نضب مورد الماء بسبب الهجر وخالط بقية الماء فيه ريق الجراد والحشرات. ثم يصف زيارة طيفها له وهو لم يتحرج من هذه الزيارة.

التحليل:

الألفاظ والمعاني: الألفاظ التي استخدمها الشاعر بدوية صعبة المعاني، عكست ثقافته وبعده عن الحاضرة ورقة الفاظها. مثل: علسيات-ملاجيج-تخليج-سدم-العوج-العيس-الدوسري-جرروج-العناجيج-معروج. ومعظمها في صفات الإبل وأسمائها.

الأفكار والعاطفة والخيال: وصف الشاعر احساسه بالشوق لمحبوبته وحزنه على فراقها، وخوفه من الحساد الذين حالوا دون لقائه بها. والقصيدة تكاد تخلو من الصور البيانية، إلا المجاز المرسل (العين هاجعة) وكنى عن ترفها بالبرد والعصب اليماني.

الوزن: استخدم البحر البسيط، وهو من البحور القديمة التي نظم عليها الجاهليون، وقافيته مطلقة.

بيئة الشاعر وشخصيته: بيئته بدوية واضحة، وأفكاره لا تتعدى ما حوله، وخياله ليس فيه ابتكار ولا سعة.

أرى القلب أمسى بالأوانس مولعاً

مروان بن أبي حفصة ١٠٥-١٨٢هـ

وَلَنْ	كَانَ	مِنْ	عَهْدِ	الصَّبَا	قَدْ	تَمَتَّعَ
أرى	القلب	أمسى	بالأوانس	مولعاً		
ولما سرى الهم الغربي قريته	قَرَى	مَنْ	أزال الشكَّ عنه	وأزَمَطَ		
عزمتُ فعجلتُ الرحيل ولم أكن	ذِي	لَوْثَةٍ	لا يُطَلِّعُ	الهمَّ	مَطْلَعًا	
فَأَمَّتْ رِكَابِي أَرْضَ مَعِي وَلَمْ تَزَلْ	إلى	أَرْضٍ	معني حيثما كان نزعا			
نجائب لولا أنها سخرت لنا	أَبْتِ	عِرَّةٍ	مِنْ	جَهْلِهَا	أَنْ	وُزِعَا
كسونا رجال الميس منها غوارباً	تَدَارَكَ	فِيهَا	التي صيفاً ومربعاً			
فما بلغت صنعاء حتى تواضعت	ذراها	وزال	الجهل عنها وأقلعا			
وما الغيثُ إذ عم البلاد بصوبه	على	الناس	من معروفٍ معني بأوسعا			
تَدَارَكَ مَعِي قُبَّةَ الدِّينِ بَعْمَا	خَشِينَا	عَلَى	أوتادها أن تُتْرَعَا			
أقام على الثغر المخوف وهاشم	تَسَاقَى	سِمَامًا	بالأسنة منقبا			
مقام امرئ يأبى سوى الخطه دنية	بها	العَارَ	أبقى والحفيظة ضيعا			

١ - مروان بن أبي حفصة-الديوان-ص ٧٢-٧٥

وما أحجم الأعداءُ عنكَ بَيَّةً	عليك ولكن أم يروا فيكَ مطعما
أَوْا مُخْذِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايِدُوا	لدى غيله منهم مجرا ومصرعا
إِذَا عَجَّتْهُ الْحَرْبُ لَمْ تَوْهْ عَظْمُهُ	وفل شبا منها فأسرعا
وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَبِي	لدى نحره زرق الأسنانِ شرعا
هُ رَاحَتَانِ الْحَتْفِ وَالغَيْثُ فِيهِمَا	أبى الله إلا أن تَضُرَّ وَتَنْفَطِرَ
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءَ مَعِي فَأَصْبَحُوا	وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا
نَجِيبٌ مَنَاجِبِ وَسِيدٌ سَادَةٌ	ذُرَا الْمَجْدِ مِنْ فُرْعَى تَوَارٍ تَفَرَّعًا
فَبَاتَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلَتْ	وما كملت خمس سنوه وأربعا
لَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ	بسيفك أعناق المربين خضعا
وَطُنَّتْ خُدُودُ الْحَضْرَمِيِّينَ وَطَاةٌ	لَهَا هُدًى رُكْنَا عَرِّهْمُ فَتَضَضَطَ
فَأَقْفُوا عَلَى الْأَذْيَابِ إِقْعَاءَ مَغْرِبٍ	يُونَ لَزُومِ السِّمِّ أَبْقَى وَأُودِعَا
فَلَوْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا	لكفوا وما مدوا إلى الحرب إصبعا
أَيُّتِ رِجَالًا يَوْمَ مَكَّةَ أَجْلَبُوا	عَاطِيكَ فَرَاوُوا مِنْكَ طَوْدًا مُنْطَ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرِ أَنْ كُنْتَ مِنْهُمْ	أَعْفًا وَأَعْطَى لِلجَبِيلِ وَأَشَجَّطَ
فَأَصْبَحَتْ كَالعُضْبِ الْحَسَامِ وَأَصْبَحُوا	عَابِدِي شَتَّى شَمْلَهُمْ قَدْ تَصَدَّعَا

يقول الشاعر:

أرى القلب أمسى بالأوانسِ مولعاً	وإن كان من عهد الصبا قد تمتعاً
ولما سرى الهم الغربي قريته	قرى من أزال الشك عنه وأزعماً
عزمت فعجلت الرحيل ولم أكن	كذي لوثة ؛ يطلع الهم مطلاً

الأوانس: جمع أنسة: جارية أنيسة المعشر والحديث. مولعا: شغوفا - سرى: سار ليلا.

القرى: طعام الضيف. أزمع: عزم - عزمت: صممت. ذي لوثة: صاحب حماقة

المعنى: مازلت مولعا بحب النساء رغم أنني تمتعت بهواهن في شبابي، أخفف عني الهموم بالحكمة والأناة، فأزيل الشكوك من حولها، قررت أن أرحل، فاستعجلت رحيلي ولن أتردد كالأحمق الذي لا يعرف أن يطرد الهم عنه لسوء تدبيره.

فأمت ركابي أرض مغي ولم تزل	إلى أرضٍ معنٍ حيثما كان نزعا
نجائب لولا أنها سخرت لنا	أبت عزة من جهلها أن ورعا
كسونا رجال الميس منها غواربا	تدارك فيها التي صيفا ومربعا
فما بلغت صنعاء حتى تواضعت	ذراها وزال الجهل عنها وأقلعا

أمت: قصدت. ركابي: إبلي. نزع: مشتاقة - النجائب: الإبل السريعة. توزع: تناقض -

الميس: الإبل. الغوارب: جمع غارب: أعلى السنام. الني: الشحم. مربع: الربيع. -

تواضعت: انخفضت. ذراها: سنامها.

المعنى: قصدت معنا طلبا لنواله، فيما ناقتي تجد بي السير إلي أرضه حيثما يكون، لأنها أيضا مشتاقة لأرضه المعطاءة. هذه الإبل النجيبة كادت تنمرد علينا لعزتها، لو لم يسخرها الله لنا، وضعنا خشبة الرجل على سنامها، وهي تتصف بالسمنة الدائمة. لما وصلنا صنعاء وهي مقر إقامة معن، تعبت الإبل وأدركت أنها قد وصلت إلي دار العطاء.

وما الغيثُ إذ عم البلاد بصوبه	على الناس من معروفٍ معنٍ بأوسعا
تَدَارِكُ مَعَى قُبَّةِ الدِّينِ بَعْمَا	حَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تَنْزَعَا
أقام على الثغر المخوفِ وهاشمُ	تَسَاقَى سِمَامًا بِالْأَسِنَّةِ مُنْقَطَا
مَقَامِ امرئِ يَأبَى سِوَى الخِطَّةِ دُنِيَّةً	بِهَا العَارَ أَبْقَى والحَفِيظَةَ ضَيْعَا

الصوب:المطر- تدارك قبة الدين:رسخ اركانه.تتنزع:تقتلع- سم:جمع سم- غب:اعتدال- الحفيظة:المحافظة على الحدود ومنعها من العدو.المحافظة على العهد

المعنى:عطاياه جزيلة شملت الناس،كالغيث العزيز الذي يعم البلاد. وثبت أركان الدين ورسخها بعد ان كانت عرضة للإهمال، وحصن حدود دولته بمساعدة بني هاشم ،وجعل رماحه مسمومة لطعن العدو بها، ينفذ خطته المدروسة، التي يتناولها الناس بالحديث اعجابا، وليس كمن يعطي تافه العطاء، فيلحق به العار ،ولم يصن عهده.

وَمَا أَحَجَّ الأَعْدَاءُ عَنكَ بِقِيَّةً	عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْعَمَا
رَأَوْا مُخْدِرًا قَدْ رَدَّوهُ وَعَايَدُوا	لدى غيله منهم مجرا ومصرعاً
إِذَا عَجَمَتْهُ الحَرْبُ لَمْ تَوْهَ عَظْمُهُ	وقل شبا منها فأسرعا
وَلَيْسَ بِشَائِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَبِي	لدى نحره زرق الأسنة شرعا
هُ رَاحَتَانِ الحَتْفِ والغَيْثُ فِيهِمَا	أبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ تَضُرَّ وَتَنْفَطِرَا

أحجم:كف- المخدر:الأسد. الغيل:الأجمة -عجمته: جريته. توه:تضعف. فل:جرح.الشبا:الحد -حتى:صد.نحره:أعلى صدره.زرق الأسنة: نصال الرماح - الحتف:الموت.الغيث:المطر.يريد:الكرم.

المعنى: ما كانت الأعداء لتقتل عن محاربتك لو راودها بصيص أمل. وقد حاولوا اقتحام حدودك فكان منهم القتلى والجرحى ، وذلك كمن يحاول اقتحام الأسد في عرين، و له في الحروب تجارب عنيفة ،لم تثن عزمه، بل كان فيها البطل الذي حطم الخصوم. وإذا أصيب بسهم في أعلى صدره،فان ذلك لم يثنه عن المضي قدما في القتال. وقد أعطاه الله الشجاعة والكرم.فقوته تلحق الأذى بالخصوم، وكرمه ينفع الأصدقاء والأقرباء.

لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءَ مَعِيَ فَأَصْبَحُوا	وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا
نجيبٌ مناجيبٌ وسيدٌ سادةٌ	ذُرًّا الْمَجْدِ مِنْ فِرْعَى تَوَارٍ تَفَرَّعًا
فَبَاتَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلَتْ	وما كملت خمس سنوه وأربعا
لقد أصبحت في كل شرق ومغرب	بسيبك أعناق المربين خضعا
وطئت حدود الحضرميين وطأة	لها هُدًى رُكْنَا عَرِهِمْ فَتَضَضْنَا

دوخ: قهر. أمنعهم: أشدهم بأسا- نجيب: حميد الخصال- بانته: ظهرت. سنوه: سنوات عمره- المريب: المشكك -وطئت: داست. تضعض: تزعزع.

المعنى: أذل أعداءه بمن فيهم الأبلس والأقوى، وأنه أنبل الناس وأعظم القادة، وإن قبيلة نزار هي مصدر المجد الرفيع، وبدت فيه مزايا الخير مكتملة منذ صغره، فقد قضيت على المشككين في كل مكان، وأخضعت الحضرميين وزعزت كيانه مجدهم وعزهم.

فَأَقْفُوا عَلَى الْأَنْبَابِ إِقْطَاعَ مَغْرٍ	يُونَ لُزُومَ السَّلْمِ أَبْقَى وَأُودِعَا
فلو مدت الأيدي إلى الحرب كلها	لكفوا وما مدوا إلى الحرب إصبعا
رأيت رجالاً يوم مكة أجلبوا	عَظِيكَ فَرَأَوْا مِنْكَ طَوْدًا مُنْعًا
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرِ أَنْ كُنْتَ مِنْهُمْ	أَعَفَّ وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَشَجَّعَا
فأصبحت كالعضب الحسام وأصبحوا	عَبَادِيدَ شَتَّى شَمَلْتَهُمْ قَدْ تَصَدَّعَا

أقعى: قعد- كفوا: أحجموا- أجلبوا: تجمعوا. الطود المنيع: الجبل العظيم- الجزيل: الوافر- العضب: السيف. عباديد: متشتتين -محصد: قوي.

المعنى: إستكانوا وأقلعوا عن الحروب بعد ما هزمتهم، وآثروا السلم لأنه أضمن لوجودهم، ولو شارك الجميع في القتال، بقوا منكفئين ولم يجرؤ أحد منهم على خوض الحرب، وتجمع حولك الرجال في موقعة مكة، فشهدوا لك بشجاعتك وقوتك التي تشبه الجبل المنيع، عفوت عنهم بعدما تغلبت عليهم، وكنت بذلك الأشم والجواد والشجاع، هزمتهم وكنت كالسيف القاطع، وتركتهم مشتتين لا يجمع لهم شمل، وتأثرت بقوتك المنيعة التي لا تقهر.

التحليل:

الألفاظ والمعاني: بدأ الشاعر بداية تقليدية، واختار ألفاظاً تتناسب مع بيئته البدوية وتعبر عنها في سهولة ووضوح، فاستخدم من بيئته المفردات والمعاني: ذي لوثة-النجائب-قوارب-الميس-النبي- الغيث- اوتاد-الغيل-اقعوا-الطود والعباديد.

الأفكار والعاطفة والخيال: القصيدة في المدح، بدأها الشاعر بداية تقليدية وعبر عن شوقه وحنينه للأوانس. أما التشبيهات والصور التي استخدمها الشاعر فمن البيئة، نجده صور الهم كأنه ضيف أتاه ليلاً (سرى الهم)، والتشبيه البليغ في كيفية اطعام ضيفه (قريته قرى)، وشخص النجائب عندما جعل عزة النفس والتواضع صفة من صفاتها وزوال الجهل عنها عندما وصلت ممدوحه أيضاً. وشبه الممدوح بالغيث في كرمه، وبالحسام في قوته.

الوزن: فاستخدم البحر الطويل وهو من البحور القديمة التي نظم عليها الجاهليون، وقافيته مطلقة. استخدم التصريع في البيت الأول.

بيئة الشاعر وشخصيته: بيئته بدوية، ولم يتأثر بالحاضرة وحياتها رغم حياته فيها وتردده على قصور الملوك والأمراء.

وداع نعا بعد الهوء^١

منصور النمري ١٩٠ هـ

وداع نعا بعد ه دوء كائما
نعا بائسا به الجنون وما به
فلما سمعت الصوت نايت نحوه
فأبرزت ناري ثم أتقت ضوعها
فلما رأني كبر الله وحده
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً
فقدمت إلى برك هجان أعدّه
بأبيض خطت نعله حيث أدركت
فجال قليلاً واتقاني بخيره
بقدم هجان صعب كان فحلها
فخر وظيف القرم في نصف ساقه
بتك أوصاني أبي وديمته

قاتل أهوال السرى قاتله
جنون ولكن كيد أمر يحاوله
بصوت كريم الجد طو شمائله
وأخرجت كلبى وهو في البيت داخله
وثر قلباً كان جماً بلابله
رشدت ولم أقعد إليه سائله
لوحية حق نازل أنا فاعطه
من الأرض لم تخطل علي حائله
سناً وأملاه من النبي كاهله
طويل القرى لم يعد أن شق بازله
وذاك عقال لا يشط عاقله
كنك أوصاه قديماً أوائله

الشاعر: اسمه منصور بن سلمة بن الزريقان، وهو من (رأس العين) منطقة بيادية العراق ويكنى أبا الفضل.^٢ وعاش في أيام الرشيد، ومدحه ونال عطاياه، وكان تلميذاً للعتابي كلثوم بن عمر.

^١ -النجار، إبراهيم- شعراء منسيون- ٢٤٣

^٢ -ابن المعتز- طبقات الشعراء- ص ٢٤٥

الشرح والتحليل:

القصيدة في الفخر يقول الشاعر:

وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوءِ كَأَنَّمَا يُقَاتِلُ أَهْوَالَ السُّرَى وَتُقَاتِلُهُ

الداعي: يقصد به الضيف، بعد الهدوء: بعد مرور زمن من الليل حيث تكون السكينة، السرى المشي ليلاً،

المعنى: أن عابر سبيل طلب منه النجدة ليلاً وكان من حالته وكأنه يقاتل أهوال المشي ليلاً وهذا تعبير مجازي

دَعَا يَأْسًا شَبَهَ الْجُنُونَ وَمَا بِهِ جُنُونٌ وَلَكِن كَيْدُ أَمْرِ يُجَاوِدُهُ

اليأس هو الذي نزلت به شدة

المعنى: أنه كان يأساً من حاله وكان يبدو كالمجنون ومابه جنون ولكن حاله هو الذي جعله كذلك، أو كان يتظاهر بذلك ليجلب الشفقة

فَلَمَّا سَمِعَتْ الصَّوْتِ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتِ كَرِيمِ الْجَدِّ حُلُوِّ شَمَائِلُهُ

كريم الجد: ذو مكانة عند الناس

المعنى: أني لما سمعته ينادي قدمت نحوه وخاطبته بصوت لطيف وكريم طيب الخصال

فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَتَقَبْتُ ضَوْعَهَا وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهَوَّ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ

المعنى: قمت بإشعال النار ليراها الضيف ويعلم بأن المكان مأهول وأخرج الكلب لينبح فيهتدي الضيف بصوته ولشعال النار دلالة على الكرم

فَلَمَّا رَأَيْتُ كَبْرَ اللَّهِ وَحَدَّهُ وَبَثَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بَلَابِلُهُ

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَوَرَجِبًا رَشِدَتْ وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ

رشدت: اهتديت عكس ضللت

المعنى: قلت له أصبحت من أهلنا وقدمك سهل علينا ليس شاق، فقد صحبتك الرشاد بعد الضلال الذي كنت فيه، وانصرفت عنه وامتنعت عن سؤاله ، وهذا لعدم إرهاقه بالكلام ، وكذلك عدم سؤاله عن مكان قدومه وقبيلته...

فَقُمْتُ إِلَى بَيْتِكَ هِجَانٍ أَعَدُّهُ لَوَجِبَةِ حَقِّ نَازِلِ أَنَا فَاعِدُهُ

برك: الإبل الباركة ، هجان ، الإبل البيضاء،

المعنى: هممت إلى إبل بيضاء باركة ، كنت قد أعددتها لمتل هذا اليوم يعني عند نزول ضيف علي

بِأَبْيَضٍ خَطَّتْ نَعْلَهُ حَيْثُ أَدْرَكَتْ مِنَ الْأَرْضِ لَمْ تَخْطَلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهُ

بأبيض: يقصد السيف ،نعله: حديدة تكون في أسفل غمده ، تخطل .
تضطرب،حمائله:علائق السيف

المعنى:أي قمت إلى إبل كرام لأذبح إحداها بسيف حاد ، إذا مس أسفل غمده الأرض خطتها ،وعلائقه لا تمس الأرض كناية على طول قامته صاحبه وهو هنا في موضع افتخار

فَجَالَ قَلِيلًا وَاتَّقَانِي بِخَيْرِهِ سَنَامًا وَأَمْلَاهُ مِنَ النَّيِّ كَاهِلُهُ

السنام: ذروة الجمل ، الني الشحم ،الكاهل ما بين الكتفين

المعنى: إنني لما قمت إلى ذلك البرك تذكر عادتي معه فطاف وتستر مني ببعير هو أعظمه سناما وأكثره شحما

بِقَرَمٍ هِجَانٍ نَصَبٍ كَانَ فَحَلَّهَا طَوِيلِ الْقَرَى لَمْ يَعُدْ أَنْ شَقَّ بَازِلُهُ

القرم:الجمل الشاب، الهجان:الجمل:الأبيض ،طويل القرى: طويل الظهر، شق بازله أي ذبحته

المعنى: بجمل شاب كريم طويل الظهر لم يجاوز عمره تسع سنين فضرته بالسيف

فَخَرَّ وَظَيْفُ الْقَرَمِ فِي نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عَقَالٌ لَا يُسْطُّ عَاقِلُهُ

خرّ:سقط ،وظيف القرم:ساعد الذراع،عقال: رباط تربط به الدواب ،لاينشط: لا يفك
المعنى: فسقط واختلطت يداه برجليه ونزل به الموت الذي لا مناص منه

بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَبِمِثْلِهِ كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيمًا أَوْلَادُهُ

المعنى: وهذه الأفعال الحميدة ليست فينا بمستحدثة وإنما ورثتها من أبي وهو ورثها من آبائه قديما.

التحليل:

الألفاظ: استخدم الشاعر الألفاظ البدوية مثل السرى والبرك الهجان والنعل والسنام والعقال والقرم وكلها ألفاظ مستمدة من بيئة الشاعر البدوية. وصاغها بما يناسب المعنى فجاءت سهلة ومعانيها واضحة.

الأفكار والخيال: فالمعاني فوجدتها بدوية بحتة، فهو يتحدث عن الكرم ويفتخر به وبشجاعته، ويصور مقاتلته لأهوال السرى مستخدماً الاستعارة المكنية، وكنى أيضاً عن الكرم بقوله ابرزت ناري وأخرجت كلبى دلالة على ترحيبه بضيفه، وأسرع الى اكرام ضيفه بدلالة انه لم يقعد ليسائله، واختار له من نوقه ما أعده لاکرام ضيوفه واصفاً الطريقة التي ذبح بها القرم. مفتخراً بضيفه وبنفسه.

الوزن: فاستخدم البحر الطويل وهو من البحور القديمة التي نظم عليها الجاهليون، وقافيته مقيدة.

بيئة الشاعر: بدوية، وانعكس أثرها في تحليه بقيم أخلاقية تغنى بها الجاهليون وهي الكرم والشجاعة.

من قصيدة: قالت حُبست^١
علي بن الجهم ١٨٨-٢٤٩هـ

قَالَتْ حُبِسَتْ فُكُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ	حَبْسِي وَآيٌ مُهَدِّدٌ لَا يُغْدُ
أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ	كِبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرْدُدُ
وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ	عَنْ نَاطِرِكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقُدُ
وَالْبُرُّ يَدُرُّكَ السَّرَارُ فَتَنْجِي	أَيُّمَهُ وَكَأَنَّهُ مَتَّجِدٌ
وَالغَيْثُ يَحْصِرُهُ الغَمَامُ فَمَا يُرَى	إِلَّا وَرِيْقَهُ بِرَاحٍ وَوَرْدُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوعَةٌ	تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُشْرَهَا الْأَزْنُدُ
وَالزَّاعِيَةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا	لَا التِّقَافُ وَجَنُودَهُ تَتَوَقَّدُ
غَيْرِ الدِّيَالِي بَانَاتٍ عُدَّ	وَالْمَالُ عَارِيَةٌ يُفَادُ وَيَنْفَدُ
وَلَكِنَّ حَالِ مُعَقَّبٍ وَرَيْمًا	أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يَحْدُ
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ	خَطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ
مِنْ عَظِيمٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى	فَنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْوَدُ
صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعِيبُ رَاحَةً	وَيُدِّ الخَلِيفَةَ لَا تُطَاوِلُهَا يَدُ

الشاعر:

علي بن الجهم - وقد سبق تعريفه - شاعر مطبوع، أظهر خصائص شعره الطبع والجزالة، وتأدية المعنى على أوضح السبل وأيسرها، يقل في شعره التقديم والتأخير، والحذف والتقدير، وما يقتضي إدامة النظر، وإعمال الفكر. بصير بحدود الكلام، مقتصد في تشبيهاته واستعاراته؛ وهو من أقل شعراء عصره صنعة، لا تكاد تجد في شعره شيئاً من المحسنات اللفظية، وإذا وجدت فعن غير قصد منه، وكثير ما يغفل التصريح في مطالع قصائده شأن المطبوعين من الشعراء.

^١ علي بن الجهم-ديوانه-ص٨٨

الشرح:

قَالَتِ حُبِسَتْ فُقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرٍ	حَبْسِي وَآيٌ مُهَدِّدٌ لَا يُغَمِّدُ
أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غَيْلَهُ	كِبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدُّدُ

الشاعر يفتخر بعظمة نفسه، وينفي عنها عار السجن فيقول: لا عجب في حسبي فالسيف القاطع يغمد في جرابه ، والأسد المفترس يألف منزله ولا يبرح أجمته عظمة وكبرا ، بينما صغار السباع تذهب وتجيء.

وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ	عَنْ نَاطِرِكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
وَالْبُرُّ يَدُرُّكَ السِّرَارُ فَتَنْجِي	أَيَّامَهُ وَكَأَنَّهُ مَتَّجِدٌ
وَالغَيْثُ يَحْصُرُهُ الْعَمَامُ فَمَا يُرَى	إِلَّا وَرِيْقُهُ يُرَاحُ وَيُرَعَدُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوعَةٌ	تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُشْرَهَا الْأَزْنَدُ
وَالزَّرَاعِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا	إِلَّا بِالتَّقَافِ وَجِدْوَةٍ تَتَوَقَّدُ

الفرقد: نجم-السرار: آخر أيام الشهر-الريق: من كل شيء أوله-يراح: ريحاً كان شديد الريح-الزراعية: الرماح منسوبة الى زاعب الخرجي الذي كان يصنعها.

المعنى: يقول إن صفاته الحميدة وخصاله المجيدة مخبوءة فلا تظهرها إلا الشدة ، كالنار لا تشب إلا بالاحتكاك بين الأزند، وكذلك الغيث يمنع الغمام فلا يتبدد ماؤه ولا تنزل قطراته إلا إذا هزته الرياح. والرماح لا تقوم الا بالتفاف. ولما كانت تلك الصفات التي ادعاها يستبعد وصولها أتى بالتشبيه الضمني كالدليل ليزيل الاستبعاد والغرابة، ويجعله من الأمور اممكنة والمألوفة.

غَيْرِ الدِّيَالِي بَانِنَاتٍ عُدُّ	وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ يُفَادُ وَيُنْفَدُ
وَلِكُلِّ حَالٍ مُعَقَّبٌ وَدُرِّيْمًا	أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يَحْدُ

لا يُؤيسُّكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ	خَطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنَّكَ
مِنْ مَنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدى	فَنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالوُدُّ
صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْبِرُ رَاحَةً	وَيَدُّ الخَلِيفَةَ لَا تُطَوِّلُهَا يَدٌ

غير الليالي: مصائب الدهر - حال معقب: يجي بعد حال آخر - الخطب: المصيبة

المعنى: عبارات الحكمة مستمدة من التجارب، فهو يقول: إن الأيام والليالي لا تبقى على حال والمال يفيد ولا يدوم، وكل حال يعقبه حال آخر وربما تكره ما يأتيك بالخير فتحمد، وعلى الإنسان ان يرضى بالقضاء ولا ييأس لأن بعد الكرب فرج وكم من مريض مات طبيبه وزواره وبقي على قيد الحياة، فالصبر على المصائب تعقبه الراحة. ثم يتخلص الى مدح الخليفة.

التحليل:

الألفاظ والمعاني: استخدم الشاعر ألفاظاً بدوية سهلة وواضحة المعاني مستمدة من بيئته مثل: المهند والليث والسباع والفرقد والشمس والبدر والسرار والغيث والرعد والرياح والأزند، فكلها مفردات من بيئة الشاعر المرتبطة بالطبيعة التي حوله. وجاءت المعاني واضحة معبرة.

الأفكار والخيال: صور الشاعر عظم مكانته باستخدام تشبيهات من البيئة، احتجاب الشمس، وتجدد القمر والخ.. مؤكدا معانيه باستخدام تكرار العطف بالواو، وبإيراد الحكم المستخلصة من التجارب والتي تدور كلها حول تقلب الدهر وعدم دوام الحال.

لوزن: فاستخدم البحر الكامل وهو من البحور القديمة التي نظم عليها الجاهليون، وقافيته مطلقة.

بيئة الشاعر: بدوية، وانعكس أثرها في استخدامته للتشبيهات والصور من الطبيعة، وتحليه بقيم أخلاقية عالية تغنى بها الجاهليون الفخر والاعتداد بالنفس والشجاعة والحكمة.

الخاتمة

إن ما التمسناه في هذه الدراسة من حضور قوي للشعراء البدو في العصر العباسي الأول، وتمسكهم بالأصول القديمة للقصيدة العربية ومحافظةهم عليها وعلى لغتها الأصيلة ونهجها الأول، يجعلنا نحسب أن لهم الدور الأعظم في الحفاظ على اللغة العربية من الانجراف والضياع وسط اللغات الدخيلة على المجتمع وثقافته في ذلك العصر. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. دعاة التجديد وزعماءه في العصر العباسي الأول لم يتخلوا عن النهج القديم للقصيدة العربية ونظموا فيه، فالشعراء في اختلافهم في ذلك العصر.
2. تكاد لا تخلو قصيدة من شعر البدو من ذكر الإبل وصفاتها المتعددة والمتنوعة التي مدتت بحصيلة لغوية ثرة.
3. الألفاظ في شعر البدو تحتاج الى شرح في أغلب شعرهم، ودونه يصعب فهم الأبيات وما يرمي إليه الشاعر.
4. النماذج الجديدة لأغراض الشعر في العصر العباسي، لم تخرج عن الطريقة التقليدية، وإنما الحداثة كانت في الموضوعات التي تناولها الشعراء.
5. استطاعت البيئة البدوية أن تجعل من إنسانها، عنصراً مؤثراً في حياة العصر الأدبية، ومكنته من الحفاظ على أصالته وموروثاته الخلقية الرفيعة، من قيم أخلاقية، تجسدت في كل الأغراض الشعرية.

التوصيات:

- البيئة البدوية بطبيعتها الجغرافية وحياتها الاجتماعية والعقلية، تترك في إنسانها أثراً عميقاً لا يمحي مهما طال عليه الزمان وتغيرت الأحوال، وذلك ما لمسناه في شعرائها وانتاجهم الأدبي، ويمكن للباحثين أن يتناولوا كل أشكال الأدب وفنونه غير الشعر.
 - شعراء البادية العباسية منهم المغمورون مثل ناهض بن ثومة وأبو شراة وغيرهم، وقد أثروا الأدب العربي بالكثير من روائعهم الشعرية التي تحتاج للتمحيص والكشف عنها.
 - التشكيل الجمالي مجال شيق للبحث، والشعراء البدو أثروا عصورهم بما قدموا، لعلمهم يجدون حظهم من دراسات في هذا المجال.
- هذه الدراسة نحسبها على جانب كبير من الأهمية، فإن حققت بعض أهدافها فهو ما قصدته، وعملت من أجله، وما الكمال إلا لله وحده، وفوق كل ذي علم عليم.

فهرس الأشعار

قافية الهزة

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء	الحسين بن مطير	36
2.	مستضحك بلوامع مستعبر بمدامع لم تمرها الأقداء	الحسين بن مطير	47
3.	لا يصرفنك عن قصف وإصباء مجموع رأي ولا تشتيت أهواء	ابو نواس	48
4.	أحمد ابن سعيد إن أسى الفتى فيها دواء الحر يوم ظمائه	ابو تمام	66
5.	وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟	زهير بن ابي سلمى	68
6.	مستضحك بلوامع مستعبر بمدامع لم تمرها الأقداء	الحسين بن مطير	100
7.	توكلنا على رب السماء وسلمنا لأسباب القضاء	علي بن الجهم	120
8.	بأي نجوم وجهك يستضاء أبا حسن وشيمتك الإباء	علي بن الجهم	120
9.	يا على بل يا أبا الحسن الملك رق الظريفة الحسنة	البحثري	120

قافية الباء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	وليس بعجز المرء أخطأه الغنى ولا باحتيال أدرك المال كاسبه	صالح بن عبد القدوس	11
2.	مَنِ الْجَانِرِ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُرِّ الطُّى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ	المتنبئ	19
3.	دع الأطلال تسفيها الجنوب وتبلي عهد جدتها الخطوب	ابو نواس	31
4.	جرى بانبتات الحبل من أم جحدر ظباء وطير بالفراق نُعوب	ابن ميادة	34
5.	وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى وبالشوك والخطي حمر ثعالبه	بشار بن برد	37
6.	كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه	بشار بن برد	38
7.	لظى شمسة مشبوب نار تلهب عصائب اسمال بها تتعصب	مروان بن ابي حفصة	39
8.	فإنك شمس والنجوم كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب	النابعة الذبياني	40

40	مروان بن ابي حفصة	ما الفضل إلا شهابٌ لا أفول له عند الحروب إذا تأفُلُ الشَّهَبُ	9.
41	مروان بن ابي حفصة	قد فاضَ عُرفك حتى ما يُعادله غيٓثٌ مُغيٓثٌ ولا بحر له حَدْبُ	10.
42	مروان بن ابي حفصة	ما يلَمع البرق إلا حنَّ مغترب كأنه من دواعي شوقه وصِيبُ	11.
52	ابو الشيص الخزاعي	لم تتصفي يا سمية الذهب تتلف نفسي وأنت في لعب	12.
56	الحسين بن مطير	إليك أمير المؤمنين تعسفت سبأ البيد هوجاء النجاء جنوب	13.
60	ناهض بن ثومة	لا هل أتى كعباً على نأي دارهم وخذلانهم أنا سررنا بني كعب	14.
63	عدي بن زيد	وما لي ناصر إلا نساء أرامل قد هلكن من النحيب	15.
64	الخنساء	المجد حلتَه والجود علتَه والصدق حوزته إن قرنه هابا	16.
66	ابو نواس	يا بؤس كلبى سيد الكلاب قد كان أغناني عن العقاب	17.
75	صالح بن عبد لقدوس	لا خير في ود إمري متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب	18.
77	مروان بن ابي حفصة	هلاً بطيف لأم السمط أرقنا ونحن لا صدود منا ولا كذب	19.
85	مروان بن ابي حفصة	ويوم عسول الأل حامٍ كما لظى شمسه مشبوب نار تَلَّهَبُ	20.
86	مروان بن ابي حفصة	ما الفضل إلا شهاب لا أفول له عند الحروب إذا ما تأفُلُ الشَّهَبُ	21.
89	بشر بن ابي خازم	ألا أبلغ بني لأم رسولا فبنس محل راحلة الغريب	22.
96	الحسين بن مطير	اتيتك إذ لم يبق غيرك جابر لا واهب يعطي اللأها والرغائب	23.
96	الحسين بن مطير	إليك أمير المؤمنين تعسفت بنا البيد هوجاء النجاء خوب	24.
113	ابن هرمة	ترى ظلها عند الرواح كأنه لى دقها رأل يخب جنيب	25.

118	علي بن الجهم	أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب	26.
131	ابن ميادة	أنا ابن ميادة تهوى تُجبي صلت الجبين حسن مُركبي	27.
138	ابن ميادة	يا بن عقيل لا تكن كذوباً	28.
146	أبو شراة	طاف الخيال ولات حين تطرب أن زار طيف موهناً من زينب	29.
156	الحسين بن مطير	عرفت منازلًا بشعاب شرّج فحييت المنازل والشعابا	30.
159	ابن هرمة	طرقت عليّة صحبتي وركابي أهلاً بطيف عليّة المنتاب	31.
162	ابن هرمة	أم لا تذكر سلمى وهي نازحة إلا اعتراك جوى سقم وتسهيّب	32.
163	بشار بن برد	أفد الرحيل وحتني صحبي والنفس مشرفة على النحب	33.
168	حسان بن ثابت	عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الرق القشيب	34.
170	ابن الزبير	فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت واقبل تضرع مستضيف تائب	35.
178	سلم الخاسر	فأنت كالدهر مبنوثا حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب	36.
184	الحسين بن مطير	عرفت منازلًا بشعاب شرّج فحييت المنازل والشعابا	37.
185	أبو تمام	ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب	38.
191	علي بن الجهم	الورد يضحك والأوتار تصطخب والنأي يندب أشجاناً وينتخب	39.

قافية التاء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	الموت حق والدار فانية وكل نفس تجزى بما كسبت	ابو العتاهية	72
2.	رأيت في النوم بختي في زي شيخ أرتت	ابو فرعون الساسي	147
3.	خليلي هذه زفرة اليوم قد مضت فما بعد ميّ زفرة قد أطلت	حسين بن مطير	160

قافية الثاء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1	وقد اعتدى قبل ضوء الصباح وقبل ورود الغطاء الحثاث	ابو لخطاب البهلي	143
2	زالت بعينيك الحمول كأنها نخل موافر من نخيل جواثا	أبو تمام	163

قافية الجيم

م	بيت الشعر ب	الشاعر	الصفحة
1.	واني على سوط الهوى ذو تجلد أصابره ما لم اجد عنه مخرجا	ابن ميادة	133
2.	أأحمامة في نخل ابن هداج هاجت صباة عاني القلب مهتاج	ابن هرمة	180
3.	كأنا يا نلأيمى م نللم .كم ونحننا علسيات ملاهيج	ابن مطير	193

قافية الحاء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	إني أرقى ولم تأرق معي صاحي لمستكف بعيد النوم لوح	أبو نواس	46
2.	أأبر هل لهذا الليل صبح وهل بوصول من أحببت نصح	بشارين برد	50
3.	إني وتركي ندى الأكرمين رقدحي بكفي زندا شحاحا	ابن هرمة	61
4.	فعلى الشباب تحية من زائر يغدو ويطرق ليله وصباحا	ابن مطير	100
5.	وكواعب قد قلن يوم توأعد قول المجد وهن كالمزاح	ابن ميادة	130
6.	فجرنا يئابيع الكلام وبحره فأصبح فيه ذو الرواية يسبح	ابن ميادة	131
7.	باخليلي هجرا كي تروحا هجمتا للرواح قلبا قريبا	ابن ميادة	133
8.	مررت على الفرات فهاج دمعي مع الاشراف ضجات النواح	ابن ميادة	136
9.	أمن طلل بأخطب أبدته نجاه الوبل والديم النضاح	ناهض بن ثومة	141
10.	خليلي هجرا كي تروحا هجمتا للرواح قلبا قريبا	ابن ميادة	161
11.	نزل المشيب فما يرديد براحا وقضى لبانته الشباب فراحا	بن مطير	186

قافية الدال

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	أضحت يمينك من وجود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود	ابن مطير	26
2.	يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيدا	حاتم الطائي	26
3.	إن الهوان حمار الأهل يعرفه والحُر ينكره والرسلة الأجد	المتلمس الضبعي	29
4.	وإني إذا الجار لم تحفظ محارمه ولم يقل دونه هيد ولا هاد	ابن هرمة	30
5.	عليك وإني لم أحنك ودادي	أبو نواس	31
6.	نحن أبناء العرب أعربُ الناسُ سائناً وأنضر الناس عودا	المتنبي	32
7.	عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود	المتنبي	33
8.	فاستمطروا الخير من كفيه أنهما بسببه يتروى منهما البعد	زهير بن أبي سلمى	41
9.	ما هاج قلبك من معارف دمنة بالبرق بين أصالف وفدافد	ابن ميادة	42
10.	نلاقي وأحياناً تبين كأنها بنائق غر في قميص مقدد	طرفة بن العبد	46
11.	غنى فشاقلك طائر غريد لما ترنم والغصون تميد	ابو تمام	47
12.	فإن تعطني أفرغ إليك محامدي وإن تأب لا يضرب عليك سواد	بشار بن برد	54
13.	لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعدى	بشار بن برد	57
14.	كما علم المستشعرون بأنهم بطاء عن الشعر الذي أنا قاصده	ابو تمام	60
15.	يا أيها الناس قد ضاعت خلافتكم إن الخليفة يعقوب بن داؤود	بشار بن برد	69
16.	ويا أقبح من قردي إذا ما عمي القرد	بشار بن برد	70
17.	بنو مروان قوم اعتقوني وكل الناس بعد لهم عبيد	ابو حفصة	78

79	مروان بن ابي حفصة	18. وقائلة ما بال مالك ناقصا وأموال أقوام سواك تزيد
87	مروان بن ابي حفصة	19. فما بلغت حتى حماها كلالها اذا عريت أصلابها أن تقيدا
96	الحسين بن مطير	20. لو يعبد الناس يامهدي أفضلهم ما كان في الناس إلا أنت معبود
112	ابن هرمة	21. هل ما مضى منك يا أسماء مردود أم هل نقضت مع الوصل المواعيد
137	ابن ميادة	22. إن تك خالنا فقبحت خالا فأنت الخال تنقص لا تزيد
144	ابوالخطاب البهلي	23. تشاغل الناس ببنيانهم والفضل في بنا العلا جاهد
157	ابن هرمة	24. عوجا على ربع ليلي وأم محمود كي ما نسائله من دون عبود
158	النابعة الذبياني	25. يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
164	ابو تمام	26. شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل مشيب الفؤاد
182	ابن ميادة	27. وإنا لنقدم حين لا متقدم ونبيع الأموال بالحمد
183	ابن مطير	28. بكرت عليك فهيجت وجدا هوج الرياح واذكرت نجدا
189	طرفه بن العبد	29. وإني لأمضي عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
190	ابن هرمة	30. وما نلتقي من بعد نأي وفرقة وشحط نوى إلا وجدت له بردا
207	علي بن الجهم	31. قَالَتْ حُبْرَسَتْ قَالَتْ لَيْسَ بِضَائِرِ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَيِّدٍ لَا يُغَمِّدُ

قافية الراء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم مولى العريب فخذ بفضلك وأفخر	بشار بن برد	11
2.	تزن الجبال رزانة أحلامهم وأكفهم خلف من الأمطار	كعب بن زهير	29
3.	سأخبر فاخر الأعراب عني وعنه حين بارز للفخار	بشار بن برد	31
4.	الموقدُونَ بنجدٍ نارَ باديةٍ لا يحضرونَ وقد العزَّ في الحَصْر	ابو العلاء المعري	33
5.	وما روضة خضراء يضربها الندى بها قنة من حنوة وعرار	ابن ميادة	36
6.	إذا الليل أضواني بسطت يد الهوي رأذلت دمعاً من خلائقه الكبرُ	ابو فراس	38
7.	وقد لاح للسامري الذي كحل السرى على أخريات الليل فتق مشهر	ابن هرمة	39
8.	إذا الليل أضواني بسطت يد الهوي رأذلت دمعاً من خلائقه الكبرُ	ابو فراس	40
9.	ولقد تجوب بي الفلاء إذا صام النهار وقالت الصفر	ابو نواس	46
10	ألا حبذا البيت الذي أنت هاجره وأنت بتلماح من الطرف ناظر	بن مطير	49
11	ألا أيها القمر الأزهر تبصر بعينيك هل تبصر	العباس بن الاحنف	51
12	أمير المؤمنين إليك خضنا غمار الهول من بلدٍ شطير	منصور النمري	56
13	خليلي إما مت يوماً وزحزت مناياكما فيما يزحزحه الدهر	المتلمس الضبعي	62
14	الله ألبسه في عود مغرسه ثياب حمدٍ نقيات من العار	بن الوليد	63
15	أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر	مسلم بن الوليد	64
16	كذا فليجل وليفدح الأمر فليس لعين لم يفيض ماؤها عذر	ابوتمام	66

69	مسلم بن الوليد	قبحت مناظره فحين خبرته حسنت مناظره لقبح المخبر	17
73	ابو نواس	با رب قد أحسنت عوداً وبدأة إلى فلم ينهض بإحسانك الشكر	18
73	ابو تمام	أتأمل في الدنيا تجد وتعمر رأنت غداً فيها تموت وتقبر	19
78	ابو حفصة	لست على الزحام بالأصر إني لوراد حياض الشر	20
83	مروان بن ابي حفصة	ما ضرني حسد اللئام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير	21
92	مروان ابن ابي حفصة	زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الأباغر	22
102	ابن مطير	أحبيك يا سلمى على غير ربيبة ولا بأس في حب تعف سرائره	23
114	ابن هرمة	فما عادت لذي يمن رؤوساً ولا ضررت بفرقتها نزارا	24
114	ابن هرمة	خطبت إلى كعب فردوك صاغراً فحولت من كعب إلى جثم عامر	25
117	ابن هرمة	فإني ومذحيك غير المصيب كالكلب ينيح ضوء القمر	26
118	علي بن الجهم	عيون المهابين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري	27
127	علي بن الجهم	بني متيم هل تدرون ما الخير وكيف يُستتر أمر ليس يستتر	28
128	النابعة الجعدي	ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكذرا	29
131	ابن ميادة	أنا ابن ميادة عقار الجرر كل صفي ذات ناب منفطر	30
134	ابن ميادة	الاحييا رسما بذي العش مقفرا وربعا بذي الممدور مستعجما قفرا	31
138	ابن ميادة	فيامر قد اخزاك في كل موطن من اللوم خلات يزدن على العسر	32
138	الحكم الخضري	لقد سبقت بالمخزيات محارب وفازت بخلات على قومها عشر	33
142	ابو لخطاب البهلي	ماذا يهجيك من دار بمحنية كالبرد غير منها الجدة العصر	34

157	ابن هرمة	أهاجك ربع بالبلبين كثر أضر به سافٍ ملث وماطر*	35
158	العتابي	ماذا شجاك بحوارين من طلل ودمنة كشفت عنها الأعاصير	36
159	ابن هرمة	أحب الليل أن خيال سلمى إذا نمنا ألم بنا فزارا	37
161	ابن هرمة	ذكر بعد النأي هنداً وشققرا فقصر لقضاء حاجة ثم هجرا	38
165	ابن ميادة	ومرا على تيماء نسأل يهودها فإن لدى تيماء من ركبها خبرا	39
171	بشر بن ابي خازم	ولا ينجي من الغمرات إلا بركاء القتال أو الفرار	40
180	العتابي	رسل الضمير إليك تنرى بالشوق طالعة وحسري	41
183	بن مطير	لما تناهى الحب في القلب وارداً أقام وسدت فيه عنه مصادره	42
185	الخنساء	حامي الحقيقة محمود الطريقة مهدي الخليفة نفاع وضرار	43
186	علي بن الجهم	عجنا المطي ونحن تحت الحاجر بين الابارق والسبيل الغامر	44
189	عنتر بن شداد	توبك من تعرها إذا ابتسمت كأس مدام قد حُفَّ بالدرر	45
191	ابن مطير	كان سليمي حين قامت فأشرقت بوجه أسيل زينته غدائره	46

قافية السين

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	ودار ندامى عطلوها وأدلجوا بها أثر منهم جديد ودارس	ابو نواس	7
2.	ألم تربع على الطلل الطماس عفاه كل أسحم ذي ارتجاس	ابو نواس	50
3.	ا كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً ذا فاقة عاش في مستوعر شاس	الخطيب	68
4.	واني لان القالك يا أم جحدر ريحتل اهلانا جميعاً لأيس	ابن ميادة	134

144	ابوالخطاب البهلي	قلت لرجلي وهي عوجاء الخطبا تشكو إليّ وجعاً من النسا	.5
161	ابن هرمة	قفا فهريفا الدمع بالمنزل المدرس ولا تستملا أن يطول به حبسي	.6
166	ابن ميادة	أهاج لك الشوق الطلول الدوارس عفاهن سفاسف من الترب يابس	.7
176	ابو الشيص	يا دار مالك ليس فيك أنيس الا معالم ألهن دروس	.8

قافية الشين

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
.1	أمات الله من جوع رقاشا فلولاً الجوع ما ماتت رقاش	ابو نواس	70

قافية الضاد

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
.1	أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضاً على أنقاض	ابو الشيص	167

قافية الطاء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
.1	عصاك الأقارب في أمرهم فزائل بأمرك أو خالط	الهذلي	171

قافية العين

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
.1	ولو وزنت رضوى ببيعض حلومهم لشالت ولو زيدت عليه تضارعه	ابن هرمة	29
.2	فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المُنْثاي عنك واسع	النابعة الذبياني	37
.3	أرقت لبرق لا يفتر لامعه بشهب الربى والليل قد نام هاجع	ابن ميادة	38

60	ابو تمام	أنا ابن الذي استرضع الجود فيهمم وسمي فيهم وهو كهل ويفاع	4.
63	ابن مطير	ألما على معن وقولا لقبه سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا	5.
72	ليبدن ربيعة	بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع	6.
73	ابو تمام	نحاول شيئاً قد تولى وودعا وهيهات منه أن يؤوب ويرجعا	7.
88	مروان بن ابي حفصة	خلت بعدنا من آل ليلى المصانع وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع	8.
115	ابن هرمة	إذا أنت لم تأخذ من اليأس عصمة تشد بها في راحتك الأصابع	2.
116	ابن هرمة	قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع	3.
162	ابن ميادة	إن الخليط أجدوا البين فاندفعوا وما ربوا قدر الأمر الذي صنعوا	4.
166	النابعة الذبياني	على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع	5.
178	العكوك	وما لامرئ حاولته منك مهرب ولو رفعته في السماء المطالع	6.
181	ابن هرمة	إما تريني شاحبا مبتذلا كالسيف يخلف جفنه فيضيع	7.
182	علي بن الجهم	جزعت للشيب لما حل أوله فهاج لي أنساني الجزعا	9.
197	مروان بن ابي حفصة	أرى القلب أمسى بالأوانس مولعاً وإن كان من عهد الصبا قد تمعنا	10.

قافية الفاء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1	أهدى إلينا معمرٌ خروفاً كانَ زماناً عنده مكتوفاً	ابوالخطاب البهلي	143

قافية القاف

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	وليس فتى الفتیان من راح واغتنى لشرب صبوح أو لشرب غيوق	ابن مطير	28

42	المفضل النكري	2. كَانَ النَّبْلُ بَيْنَهُمْ جَرَادٌ تُكَيِّهَ شَامِيَّةٌ خَرِيفٌ
54	ابو تمام	3. وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى أَنَّهُ لَتَخَافَكَ التُّطْفُ التِّي لَمْ تَخْلُقْ
73	ابو نواس	4. أَرَى كُلَّ حَيِّ هَالِكًا وَابْنَ هَالِكٍ وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٌ
101	ابن مطير	5. مَبْلَغُ التَّقْرِيبِ يَعْجُوبُ إِذَا بَادَرَ الْجَوْنَةَ وَاحْمَرَ الْأَفْقُ
103	ابن مطير	6. احْنِ وَيَثْنِيَنِ الْهَوَى نَحْوَ يَثْرَبٍ وَيَزْدَادُ شَوْقِي كُلَّ مَمْسِيٍّ وَشَارِقٍ
147	ابو فرعون الساسي	7. لَيْسَ إِغْلَاقِي لِبَابِي أَنْ لِي فِيهِ مَا أَخْشَى عَلَيْهِ السَّرْقَا

قافية الكاف

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	أحبك حبين لي واحد وآخر لأنك أهل لذلك	آدم بن عبد العزيز	50
2.	لا تفتكن على الكؤوس بشربها فهي التي باتت بعقلك تفتك	ابو تمام	70
3.	كم رأينا من ملوك سوقة ورأينا سوقة قد ملكوا	بن الوليد	74
4.	أسلم بن عمرو وفد تعاطيت خطة تقصر عنها بعد طول عنائك	مروان بن ابي حفصة	88
5.	أعص الهوى وتعزى عن سعادك فلمثل حلمك عن هواك نهاك	مروان بن ابي حفصة	186

قافية اللام

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل	عنتره بن شداد	33
2.	لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل	امرؤ القيس	34
3.	مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ حَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ	الأعشى	35

37	امرؤالقيس	4. وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلي
42	الأعشى	5. يا من يرى عارضا قد بات أرقبه كأنما البرق في حافاته الشغل
48	مسلم بن الوليد	6. وماء كعين الديك لا يقبل الأذى إذا دلجت فيه الصبا خلته يعلو
48	مسلم بن الوليد	7. وسلافة صهباء بنت سلافة صفراء لما تعصر التسليلا
51	أبو لعناهيبة	8. وفرع يزين المتن أسود فاحكم أثيث كقنو النخلة المتعكل
51	امرؤالقيس	9. كأنها من حسنها درة أخرجها اليم إلى الساحل
52	مسلم بن الوليد	10. لما تلاقينا قضى الليل نحبه بوجه كوجه الشمس من مائة مثل
55	ابو تمام	11. تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعه أنامله
56	العتابي	12. ما زلت في غمرات الموت مطرحا قد ضاق عني فسيح الأرض من حيل
69	جرير	13. لو أن تغلب جمعت أحسابها رم التفاضل لم تزن مثقالاً
69	مسلم بن الوليد	14. مياس قل لي أين أنت من الورى لا أنت معلوم ولا مجهول
74	بشارين برد	15. بدا لي أن الدهر يقدح في الصفا وأن بقائي ما حبيت قليل
74	بشارين برد	16. قست السؤال فكان أعظم قيمة من كل عارفة جرت بسؤال
75	صالح بن عبد لقدوس	17. لا يعجبك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضه مبذول
78	ابو حفصة	18. وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا أجل لا، ولا اخترت الحباة على القتل
82	مروان بن ابي حفصة	19. صحا بعد جهل فاستراحت عواذله وأقصرن عنه حين أقصر باطله
90	مروان بن ابي حفصة	20. مضى لسبيله معن وأبقى مكارم لن تبيد ولن تتالا
92	مروان بن ابي حفصة	21. شفاء الصدى ماء المساويك والذي به الريق منخمل يغازلها طفلاً
101	امرؤالقيس	22. له ايطلا ظبي وساقا نعامه وإرخاء سرحان وتقريب تنقل

103	ابن مطير	من كل بيضاء مخماص لها بشرٌ كأنه بذكي المسك مغسولٌ	23
103	ابن مطير	أيا ظبية الوعساء أنت شبيهة بذلقاء إلا أن ذلقاء أجدل	24
109	ابن هرمة	أفي طلل قفر تحمل أهله وقفت وماء العين ينهل هامل	25
110	ابن هرمة	عفا النعف من أسماء نعف رواوة فريم فهضب المنتضي فالسلائل	26
111	ابن هرمة	كيف احتيالي لبسط الضيف من حَصْر عند الطعام فقد ضاقت به حيلي	27
112	ابن هرمة	لا يرفعون إليه الطرف خشيته لاخوف بأس ولكن خوف إجلال	28
116	السموأل بن عادياء	وما مات من سيد حتف أنفه ولا طُلّ منا حيث كان قتيلٌ	29
120	علي بن الجهم	نصبوا بحمد الله ملء عيونهم حسناً وملء صدورهم تبجيلاً	30
121	علي بن الجهم	مذهبي واضح وأصلي خرا سان وعزي بعزكم موصول	31
124	علي بن الجهم	لن تسليوه وإن سلبتم كل ما خولتموه وسامة وقبولاً	32
125	علي بن الجهم	كم قد تجهمني السرى وأزالني ليل ينوء بصدرة متناول	33
126	علي بن الجهم	نزلنا بباب الكرخ أفضل منزل على محسنات من قيان المفضل	34
127	علي بن الجهم	إذا اجتمع الأفات فالبخل شرها وشر من البخل المواعد والمطل	35
128	علي بن الجهم	الله يعلم حيث يجعل أمره ما عالم أمراً كمن هو جاهل	36
128	السموأل بن عادياء	سلي إن جهلت الناس عناو عنهم فليس سواء عالم وجهول	37
132	ابن ميادة	أنا ابن ميادة لباس الحلل	38
136	ابن ميادة	ألا ليت شعري هل ابينن ليلة بحرّة ليلي حيث ربنتي أهلي	39
143	ابو لخطاب البهدي	أما ترين البهدي قد نحل	40

148	ابو فرعون الساسي	يا أخوتي يا معشر الموالي	41
156	ابن مطير	وقد كان في الدار التي هاجت الهوي شفاء الجوى لو كان مجتمع الشمل	42
157	امرؤ القيس	صم صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل	43
157	ابن هرمة	يا دار سعدى بالجزع من ملل حبيبت من دمنة ومن طلل	44
160	ابن مطير	خليلي من عمرو قفا وتعرفا سهمة داراً بين لينة فالحبل	45
164	مروان ابن ابي حفصة	صحا بعد جهل فاستراحت عواذله وأقصرن عنه حين أقصر باطله	46
165	مروان ابن ابي حفصة	قاسيت شدة ايامي فما ظفرت يداي منها بصاب ولا عسل	47
167	أبوالعتاهية	إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سبابا ورمالا	48
167	منصورالنمري	إذا امتنع المقال عليك فأمح أمير المؤمنين تجد مقالا	49
168	ابن ميادة	لا تسأل الربع الذي ليس ناطقاً وإني على ألا يبين لسائله	50
170	ابو زيد الطائي	كل شئ تحتال فيه الرجال غير أن ليس للمنايا احتيال	51
183	ابو شراعة	أأنبذ مجنوناً إذا جدث بالذي ملكث وإن دافعت عنه فعافل	52
183	مروان بن ابي حفصة	إليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر بعد شهر نواصله	53
183	ابن ميادة	يا صحاب الرحل توطأ واكتفل وأحذر بدغنان مجانين الإبل	54
183	ابو الخطاب البهلي	ضجت ولجت في الخطاب والعدل	55
185	مسلم بن الوليد	موف على مهج في يوم ذي رهجكأنه رجل يسعى إلى أمل	56
188	امرؤ القيس	وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلي	57
203	منصورالنمري	وَدَاعَ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوءِ كَأَمَّا قَاتِلُ هَوَالِ السُّرَى يُقَاتِلُهُ	58

قافية الميم

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	هو القين وابن القين لاقين مثله أفضح المساحي أو لجدل الأدهم	جرير	23
2.	رأت رجلاً أو دى بوافر لحمه طلاب المعالي واكتساب المكارم	بن مطير	26
3.	لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتزامرون كررت غير مذم	عنتر بن شداد	27
4.	وإنما الناس بالملوك وما تفلح غرب ملوكها عجم	المتنبي	32
5.	ما راعني إلا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الخمخم*	عنتر بن شداد	35
6.	ظعن الخليط بلبك المتقسم ورموك عن قوس الجبال باسمهم	ابن هرمة	36
7.	وصلت يداك السيف يوم تقطعت أيدي الرجال وزلت الأقدام	اشجع السلمي	57
8.	رنبئت قوماً بهم جنة يقولون من ذا وكنت العلم	بشار بن برد	58
9.	أما والذي لا يعلم المعراج غيره ويحي العظام البيض وهي رميم	حاتم الطائي	59
10.	إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما	بشار بن برد	60
11.	كان لي صاحباً فأودى به الدهر وفارقت عليه السلام	بشار بن برد	64
12.	لو أن كنز العباد في يده لم يدع الاعتذار بالعدم	مسلم بن الوليد	69
13.	أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنين وراثته الأعمام	مروان بن ابي حفصة	83
14.	له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ويوم نعيم فيه للناس أنعم	ابن مطير	97
15.	ومهما ألام على حبه فإني أحب بني فاطمة	ابن هرمة	107
16.	ثم قامت من حولها أترابها وعثة الأرداف غرتي الملتزم	ابن هرمة	112

115	ابن هرمة	ياك لا الزمن لحبيك من لُجمي كِلا يَبْكَل قراصا من اللُجم	17.
119	علي بن الجهم	يا أمتا أفديك من أم أشكو إليك فظاظه الجهم	18.
122	علي بن الجهم	متى عطلت رباك من الخيال سقيت معاهداً صوب الغمام	19.
129	ابن ميادة	أنا ابن ابي سلمى وجدي ظالم وأمي حصان حصنتها الأعاجم	20.
149	ابو فرعون الساسي	سُقياً لحي باللوى عهدتهم منذ زمان ثم هذا عهدهم	21.
158	مسلم بن الوليد	طيف الخيال حمدنا منك الماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما	22.
158	زهير بن ابي سلمى	أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتنلم	23.
167	ابو نواس	يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام	24.
179	سلم الخاسر	حي المنابر بالسلام أعلى وداعا أو لمام	25.
179	اشجع السلمي	قصر عليه تحية وسلام نثرت عليه جمالها الأيام	26.
184	النابغة الذبياني	تبدو كواكبه والشمس طالعة نورا بنور وإظلام بإظلام	27.
184	ابن مطير	فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويقطر يوم البأس من كفه الدم	28.
185	مروان بن ابي حفصة	إلى ملك مثل بدر الدجى عظيم الغناء رفيع الدعم	29.
190	ابن هرمة	سلكوا على صفر كأن حمولهم بالرضمتين ذرى سفين عوم	30.

قافية النون

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	رمينا خمسة ورموا نعيما وكان الموت للفتيان زينا	البطين البجلي	27
2.	إني لمن معشر أفنى أوائلهم قبل الكماة ألا ابن المحامونا	بشامة النهشلي	28

28	عبدالشارق الجهني	فلما لم ندع قوسا وسهما مشينا شطرهم ومشوا إلينا	3.
47	عمرو بن كلثوم	ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا	4.
54	ابونواس	حيّ الديار إذا الزمان زمان وإذا الشباك لنا حري ومعان	5.
55	جرير	يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا	6.
59	عمرو بن كلثوم	ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا	7.
65	ابو نواس	تعزى أبي العباس عن خير مالكٍ بأكرم حي كان أو هو كائن	8.
70	بشار بن برد	ربما يثقل الجليس وإن كان خفيفاً في كفة الميزان	9.
82	مروان بن ابي حفصة	معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان	10.
113	ابن هرمة	ما أظنّ الزمان يا أم عمرو ناركاً إن هلكت من يبيكيني	11.
114	ابن هرمة	ند كنت أحسبني جلدأً فضعضني قبر بحران فيه عصمة الدين	12.
115	ابن هرمة	إن الذي شق فمي ضامن لي الرزق حتى يتوفاني	13.
119	علي بن الجهم	ماذا تقولين فيمن شفه سهر من جهد حبك حتى صار حيرانا	14.
135	ابن ميادة	حمراء منها ضخمة المكان	15.
140	ناهض بن ثومة	ألا يا أسلما يا أيها الطلان وهل سالم باق على الحدثان	16.
141	ناهض بن ثومة	ألا حيي المنازل بين رمح وبين القهب دارسة المباني	17.
163	ناهض بن ثومة	إلى ظعن بالعاقرين كأنها قرائن من دوح الكثيب ثمان	18.
177	منصور النمري	فلو كنت كالعنقاء أو كسموها لخلتلك إلا ان تصد تراني	19.

قافية الهاء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
1.	وهم السعاة إذا العشييرة أفضعت وهم فوراسها وهم حكامها	أبيد بن ربيعة	27
2.	أغض طرفي ما بدت لي جارتني حتى يوارني جارتني مأواها	عنتر بن شداد	30
3.	شغلي عن الديار أبكيها وأرثيها إذ خلت من حبيب لي مغانيها	مسلم بن الوليد	55
4.	وحُسدت حتى قيل أصبح باغيا في المشي مترف شيمة مختالها	مروان بن ابي حفصة	83
5.	حديث ليلى حبذا إذلالها تسال عن حالي وما سألها	بن مطير	97
6.	فلاتك مغروراً بمسحة صاحب ومن الود لا تدري علام مصيرها	ابن مطير	104
7.	يُكن ضنفي إذا تأووني أوسع أبياتنا وأدفوها	ابن هرمة	111
8.	وسطح على شاهق مشرف عليه النخيل بأثمارها	علي بن الجهم	122
9.	رسارية ترتاد أرضاً تجودها نُغلت بها عيناً قليلاً هجودها	علي بن الجهم	124
10.	إليك ابن موسى الخير أعملت ناقتي مجلّة يصفو عليها جلالها	ابو شراعة	145
11.	طرقتك زائرة فحيي خيالها بيضاء تخط بالجمال دلالتها	مروان بن ابي حفصة	159
12.	خليلي مافي العيش عيب لو أننا وجدنا لأيام الصبا من يعيدها	ابن مطير	160
13.	إذا ارتحلت من ساحل البحر رفقة مشرقة هاج الفؤاد ارتحالها	ابن مطير	162
14.	ومن مرقب الزوراء دار حبيبة إلينا محامي متنها وظهورها	ابن مطير	165
15.	أقول لصحبي يوم أشرفت واجفاً ونفسي قد كاد الهوى يستطيرها	ابن مطير	181
16.	هوجاء تدرع الربا وتشققها شق الشمس إذا تراع جلالها	مروان بن ابي حفصة	190

191	ابن مطير	17. في الحي غراء الجبين كأنها غمامة صيف مستهل صبيرها
191	علي بن الجهم	18. بسارية ترتاد أرضاً تجودها شغلت بها عيناً قليل هجودها

قافية الواو

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
	بب في السقام سفلاً وعلواً راراني أموت عضواً فعضوا	ابو نواس	65

قافية الياء

م	بيت الشعر	الشاعر	الصفحة
	ألا من لي بأنسك يا أخيا ومن لي أن أبتك ما لديا	ابو العتاهية	64

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأثير- ضياء الدين أبي الفتح نصر الله-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة-نهضة مصر-ط١١٩٦٠-ج٢-ص٢٣٦
٢. أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٣م.
٣. أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٦٥م.
٤. الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغر بردي -النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٠م.
٥. الاصفهاني، الاغانى لابي الفرج ج ١٠.دار الكتب العلمية بيروت -لبنان. ١٩٩٥م.
6. الأصمعي- أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمعي:فحولة الشعراء - ش. توريّ -تقديم د. صلاح الدين المنجد -دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان-ط2- 1400 هـ - 1980م.الأصمعيات-تحقيق: احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون- دار المعارف - مصر-ط7 1993م.
٧. الأعشى الكبير، الديوان شرح د. أحمد محمد حسن، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢.
٨. امرؤ القيس، ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف مصر.
٩. امرؤ القيس-الديوان -تحقيق حسن السندوبي-دار الكتب العلمية-بيروت-ط٥- ٢٠٠٤م.
١٠. الأنباري، شرح القصائد السبع، ابن دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
١١. البارودي، محمود سامي -مختارات البارودي، المطبعة الجديدة، القاهرة، ١٩٠٦م.
12. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي -الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ص) وسننه -تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة -ط1- 1422هـ.
١٣. البستاني، بطرس أدابء العرب في الجاهلية و صدر الإسلام، مطبعة مارون عبود، بيروت، ١٩٧٩م.
١٤. بشار بن برد، ديوانه، شرح حسين الحموي، ط١، دار الجيل بيروت، ١٩٩٦م.
١٥. بشر بن ابي خازم . الديوان .شرح مجيد طراد-دار الكتاب العربي -بيروت- ط٤١٩٩٤-ص٣٣

١٦. بشر بن ابي خازم-ديوانه-تحقيق عزة حسن-دمشق ١٩٦٠م.
١٧. البغدادي- محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون:
 (١)-التذكرة الحمدونية-دار صادر بيروت-ط١٧٤١٧هـ. البغدادي، تاريخ بغداد- دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ٢٠٠٤ .
 (٢) البغدادي، عبد القادر بن عمرو- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تحقيق وشرح عبد السلام هارون-مكتبة الخانجي القاهرة-ط٤-١٩٩٧- ج١- ص٤٢٥.
١٨. بكار، يوسف حسين:
 (١) اتجاهات الغزل- دار الاندلس-بيروت لبنان-ط١-د.ت.
 (٢) بناء القصيدة العربية-دار الأندلس للطباعة والنشر-بيروت-ط٢-١٩٨٢م.
١٩. بكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز-سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي-تحقيق عبد العزيز الميمني-دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-د.ت.
 ٢٠. بلاشير- تاريخ الأدب العربي-ترجمة إبراهيم الكيلاني -دمشق ١٩٥٦م.
٢١. البنا-عز الدين حسن- الطيف والخيال في الشعر العربي القديم-دار المناهل - بيروت ١٩٩٤م.
٢٢. التبريزي- الخطيب يحيى بن أحمد- الوافي في العروض والقوافي-الدار السودانية للكتب-١٩٧٥م.
٢٣. التبريزي، يحيى بن علي الشيباني:
 (١) شرح القصائد العشر- عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: الناشر: إدارة الطباعة المنيرية عام النشر: ١٣٥٢ هـ.
 (٢) شرح ديوان الحماسة -دار القلم بيروت-د.ت.
٢٤. أبو تمام ديوانه، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
٢٥. الثعالبي-أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب-دار المعارف القاهرة-د.ت.
٢٦. الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر:
 (١) البيان والتبيين -مكتبة الخانقي، القاهرة، ج١، ط٤ د.ت.
 (٢) البخلاء، دار المعارف، م١٩٦٣.
 (٣) الحيوان-دار الكتب العلمية -بيروت-ط٢-١٤٢٤هـ.
 (٤) رسائل الجاحظ-تحقيق عبد السلام محمد هارون-مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٤م.
٢٧. الجبوري، يحيى- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه-ط٧-مؤسسة الرسالة-بيروت- ١٩٩٤
٢٨. الجراح، ابو عبد الله محمد بن داوود- الورقة- دار المعارف مسر. ط٢. د.ت.

٢٩. الجرجاني- القاضي أبو علي أحمد بن عبد العزيز-الوساطة بين المتنبى وخصومه- دار إحياء الكتب العربية-القاهرة ١٩٥١م.
٣٠. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٢، دار الهلال، د.ت.
٣١. جرير، الديوان، شرح إيليا الحاوي، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت-د.ت.
٣٢. جرير، ديوانه، دار صادر بيروت، ١٩٦٠م.
٣٣. الجندي، إنعام- دراسات في الأدب العربي، ط ٢، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.
٣٤. الجهشياري، الوزراء والكتاب، مطبعة الحلبي، ١٩٣٨م.
٣٥. حاتم الطائي، ديوانه، شرح وتحقيق عباس إبراهيم، دار الفكر العربي بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
٣٦. أبو حاققة، أحمد- فن المديح وتطوره في الشعر العربي، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٢م.
٣٧. الحدادي-زين الدين محمد- فيض القدير شرح الجامع الصغير-المكتبة التجارية الكبرى-مصر-ط ١-١٣٥٦هـ.
٣٨. حسان بن ثابت-شرح ديوان حسان بن الثابت الأنصاري، بيروت-دار الإحياء التراث العربي د.ت.
٣٩. حسن جاد حسن وآخرون، الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين، دار التأليف، مصر، ١٩٥٣م.
٤٠. حسن، محمد صادق- المعاني المتجددة في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤م.
٤١. الحسين بن مطير-شعره- تحقيق-د. حسين عطوان -مجلة معهد المخطوطات العربية ج ١- القاهرة ١٩٦٩م.
٤٢. الحصري، إبراهيم بن علي تميم-جمع الجواهر في الملح والنوادر-تحقيق علي محمد البجاوي-دار الكتب المصرية ١٩٥٤م.
٤٣. الحموي، ياقوت- معجم الأدباء، مكتبة عيسى الباني الحلبي وشركاءه، مصر مطبعة المأمون، د.ت.
٤٤. ابن حنبل، محمد المسند، حديث رقم ٨٥٩٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ج ١٣٩٨، ٢هـ.
٤٥. الحوفي، أحمد محمد- المرأة في الشعر الجاهلي، ط نهضة مصر، ١٩٥٤م.
٤٦. الخالديان، أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي- حماسة الخالديين بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين - تحقيق: الدكتور محمد علي دقة- الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية- ١٩٩٥م.
٤٧. أبو خشب، إبراهيم- تاريخ الأدب العربي، دار الفكر العربي، ١٩٦٦.
٤٨. خفاجي، محمد عبد المنعم -الحياة الأدبية في العصر الجاهلي-ط ١-د.ت.

٤٩. ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي، ، مقدمة ابن خلدون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٣٢هـ .
٥٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط١ ١٩٩٨.
٥١. الخنساء، الديوان- دار صادر بيروت، ١٩٦٣م.
٥٢. الداية، د. محمد رضوان- أعلام الأدب العباسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
٥٣. الدميري، كمال الدين- شرح لامية العجم- تحقيق: الدكتور جميل عبد الله عويضة، ٢٠٠٨م.
٥٤. الدينوري، عيون الأخبار- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - دار الكتب العلمية-بيروت ١٤١٨هـ.
٥٥. الدينوري-الشعر والشعراء-دار الحديث القاهرة ١٤٢٣هـ.
٥٦. ديوان الهذليين-إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومي-القاهرة-د.ت.
57. الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر - تاريخ آداب العرب- دار الكتاب العربي.
٥٨. ربيع، محمد-قضايا النقد-دار الفكر للنشر-عمان الأردن-ط١-١٩٩٠م.
٥٩. ابن رشيقي، ابو علي الحسن- العمدة في محاسن الشعر- تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد-دار الجيل -ط٥-١٩٨١م
٦٠. الرفاعي، أحمد فريد عصر المأمون، دار الكتيب المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٢٨م.
٦١. الروضان، عبد عون-موسوعة شعراء العصر العباسي-ج١-دار أسامة للنشر- عمان-الردن-د.ت.
٦٢. الزمخشري-أساس البلاغة-دار صادر بيروت-ط١-١٩٩٢م.
٦٣. زهير بن أبي سلمى، الديوان: شرح الأستاذ علي حسن قاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٦٤. الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين-شرح المعلقات السبع-دار احياء التراث العربي ٢٠٠٢م.
٦٥. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري -الطبقات الكبرى- تحقيق إحسان عباس-دار صادر - بيروت-ط١ ١٩٦٨م.
٦٦. ابو سويلم، د. أنور-المطر في الشعر الجاهلي، عجمان، دار الجيل، ط١، ١٩٨٧م.
٦٧. ابو سويلم، أنور-الإبل في الشعر الجاهلي-دار العلوم للطباعة والنشر-ط١-١٩٨٣م.
٦٨. السيد، عبد اللطيف محمد-الخصومة بين القدماء والمحدثين- ١٩٩٦م.
٦٩. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل- المخصص، ج٤، ط١ المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، مطبعة بولاق ١٣١٦هـ،

٧٠. شكري، فيصل، أبو العتاهية اخباره وأشعاره، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥م.
٧١. الشكعة، مصطفى -رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ١٩٧٣م
٧٢. شلبي، سعد إبراهيم- الأصول الفنية للشعر الجاهلي-مطبعة دار غريب القاهرة ١٩٧٧م.
73. الشنفرى-الديوان-جمع وتحقيق وشرح الدكتور: إيميل بديع يعقوب-دار الكتاب العربي -بيروت 1996م.
٧٤. صالح بيلو، الثقافات الأجنبية في العصر العباسي الأول وصداها في الأدب، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.
٧٥. ضيف، شوقي أحمد:
- (١) التطور والتجديد في الشعر الأموي- القاهرة: دار المعارف ١٩٥٩م.
- (٢) العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط٨. د. ب. ت.
٧٦. ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحسني العلوي- عيار الشعر- تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع- مكتبة الخانجي - القاهرة د. ب. ت.
٧٧. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير- تاريخ الطبري، ج٦، دار المعارف، ١٩٦٢م.
٧٨. طرفة بن العبد، الديوان، بيروت، دار صعب ١٩٨٠م.
٧٩. طه حسين-حديث الاربعاء-دار المعارف-ط١٠-مصر-د. ب. ت.
٨٠. العباس ابن الأحنف، ديوانه، دار صادر بيروت، ١٩٦٥م.
٨١. ابن ربه، أبو عمر أحمد بن محمد -العقد الفريد، المطبعة الأزهرية المصرية، ط٢، ١٩٢٨م.
٨٢. ابو العتاهية، ديوانه، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م.
٨٣. عدي بن زيد، ديوانه، تحقيق محمد جبار المعبيد، بغداد، ١٩٦٥م.
٨٤. عروة بن الورد-الديون -دار صادر -بيروت ١٩٨٢م.
٨٥. عزام، محمد -الالتزام في الشعر العربي دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٩م.
٨٦. ابن عساكر، الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن - تاريخ دمشق-دار الفكر للطباعة والنشر-د. ب. ت.
٨٧. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل -كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، مطبعة الحلبي، ط١، ١٩٥٢م.
٨٨. عطوان، د. حسين:
- (١) مقالات في الشعر ونقده، دار الجيل بيروت ١٩٨٧م.

- (٢) مقدمة القصيدة الجاهلية-دار المعارف مصر ١٩٧٠م.
٨٩. العلوي-يحيى بن حمزة بن علي-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز- المكتبة العنصرية بيروت-ط١-١٤٢٣هـ.
٩٠. على بن الجهم، الديوان- دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٤٩م، ط٢، ١٩٩٦م
٩١. العمري، على محمد الصراع الأدب بين القديم والجديد، القاهرة، دار الكتب الحديثة.د.ت.
٩٢. عنتر بن شداد-الديوان تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
٩٣. فراس، الديوان رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
٩٤. الفقطي، الوزير جمال الدين أبو الحسن على يوسف -أنباه الرواة على أنباه النجاة، تحقيق العميد الفضل إبراهيم -م١٩٥٥.
٩٥. القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون- الأملالي-تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي-دار الكتب المصرية-ط٢-١٩٢٦م.
٩٦. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، ص٦٥، ط٢ القاهرة ١٩٧١م.
97. كعب بن زهير-الديوان تحقيق عمر فاروق الطباع -دار الارقم بن ابي الارقم للطباعة-بيروت-د.ت.
٩٨. الكفراوي، محمد عبد العزيز:
- (١) تاريخ الشعر العربي-مكتبة نهضة مصر بالفجالة-د.ت.
- (٢) الشعر العربي بين الجمود والتطور-مطبعة الرسالة-دار نهضة مصر- القاهرة-ط٢-د.ت.
٩٩. الكمالي، شفيق- الشعر عند البدو، الإرشاد، ط١، بغداد، ١٩٦٤م.
١٠٠. ليبي العامري- الديوان-دار الكتاب العربي بيروت-شرح الطوفي- تحقيق حنا نصر الحتي-٢٠١٢م.
١٠١. لجنة من أدباء الأقطار العربية، الرثاء، دار المعارف، مصر، د.ت.
١٠٢. لجنة من أدباء الأقطار العربية، فن الوصف، ط١، دار المعارف مصر. د.ت
١٠٣. المتلمس، ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي- طبعة معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٠م.
١٠٤. المتنبي، أبو الطيب-ديوانه، شرح عبد الرحمن البرقوي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ج٢، ١٩٨٦م.
١٠٥. المجذوب، عبد الله الطيب-المرشد الى فهم أشعار العرب-مطبعة جامعة الخرطوم- ط٢-١٩٩٢م.

١٠٦. المرتضي، الشريف-أمالي المرتضي-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار إحياء الكتب العربية - ط١-١٩٤٥م.
١٠٧. المرزباني، أبو عبد الله محمد بن حمدان بن موسى -الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، المطبعة السلفية، ٣٤٣هـ.
١٠٨. مروان بن ابي حفصة-الديوان . دار الكتاب العربي. ط ١. ١٩٩٣.
١٠٩. المسعودي، الحسين علي بن الحسين بن علي- مروج الذهب ومعادن الجوهر، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٤، ١٩٦٤م.
١١٠. مسلم بن الوليد، ديوانه-شرح سامي الدهان-دار المعارف-مصر-د.ت
١١١. مصطفى، محمود-الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي.
١١٢. ابن المعتز، عبد الله بن محمد العباسي:
- (١) طبقات الشعراء المحدثين، عبد الستار أحمد فراج-دار المعارف القاهرة- ط٣-د.ت.
- (٢) فحول الشعراء- تحقيق:عبد الستار أحمد فراج- دار المعارف - القاهرة. د.ت.
١١٣. ابن مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع، الفجالة-د.ت.
١١٤. ابن منظور الانصاري، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الرويفعي الإفريقي -مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر-تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع- دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا-ط١- ١٤٠٢ هـ ١٩٨٤م.
١١٥. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم- لسان العرب، دار المعارف، ١٩٩٠م.
١١٦. الموافي، عثمان- الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها-ط٣-دار المعرفة الجامعية-الاسكندرية-١٩٩٩م.
١١٧. ابن ميادة، شعره- جمعه د. حنا الجمل، - ط١، مجمع اللغة العربية دمشق، ١٩٨٢
١١٨. النابغة الذبياني-الديوان-شرح وتقديم عباس عبد الستار-دار الكتب العلمية-بيروت- ط١ ١٩٨٦م.
١١٩. النجار، إبراهيم-شعراء منسيون-دار الغرب الإسلامي-ط١-١٩٩٧
١٢٠. ابن نديم، أبو الفرج محمد ابن اسحق-الفهرست-تحقيق ابراهيم رمضان-دار المعرفة بيروت-ط٢-١٩٩٧م.
١٢١. النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب الخرساني- السنن الكبرى - تح: حسن عبد المنعم شلبي- الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت ط١-٢٠٠١.
122. ابو نواس، الديوان-تحقيق. أحمد عبد المجيد الغزالي بيروت: دار الكتاب العربي1982م.

١٢٣. النويهي، محمد -الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه،الدار القومية للطباعة، القاهرة.د.ت.

124. ابن هرمة- شعر شعر ابراهيم بن هرمة-تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان- مطبوعات مجمع اللغة العربية -دمشق-د.ت.

فهرس الموضوعات

١	المقدمة
٤	الفصل الأول البدائة والشعر في العصر العباسي الأول
٥	المبحث الأول الحياة في العصر العباسي الأول
٥	السياسية
٧	الحياة الإجتماعية
١٠	الحياة الدينية
١٣	الحياة العقلية
١٦	المبحث الثاني مفهوم البادية والبدائة
٢٠	حياتهم الدينية
٢١	حياتهم العقلية
٢٢	أهم مميزات حياتهم
٢٦	قيمهم الجاهلية
٣٤	من مظاهر الطبيعة في شعرهم
٤٤	المبحث الثالث نهج الأقدمين في شعر العباسيين
٤٥	الوصف
٤٩	الغزل
٥٣	المدح
٥٨	الفخر
٦٢	الرتاء

٦٧	الهجاء
٧١	الحكمة
٧٦	الفصل الثاني شعراء بدو
٧٧	المبحث الأول مروان بن ابي حفصة
٩٥	المبحث الثاني الحسين بن مطير الأسدي
١٠٧	المبحث الثالث ابن هرمة
١١٨	المبحث الرابع على بن الجهم
١٢٩	المبحث الخامس ابن ميادة
١٣٩	المبحث السادس شعراء آخرون
١٥٣	الفصل الثالث الدراسة الفنية
١٥٤	المبحث الأول الخصائص الموضوعية
١٥٥	المقدمة الطللية
١٦٦	حسن التلخص
١٧٠	خاتمة القصيدة
١٧٢	المبحث الثاني الخصائص الأسلوبية
١٧٥	الألفاظ والمعاني

١٨٠	الأسلوب
١٨١	الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية)
١٨٤	الموسيقى الداخلية
١٨٧	الصنعة والخيال
١٩٢	المبحث الثالث تحليل نماذج من شعر البدو
١٩٣	كأننا يا سليمى لم نلم بكم الحسين بن مطير
١٩٧	أرى القلبَ أمسى بالأوانسِ مولعاً مروان بن أبي حفصة
٢٠٣	وداعٍ دعا بعد هـ دوعٍ منصور النمري
٢٠٩	من قصيدة: قالت حُبستَ علي بن الجهم
٢١٠	الخاتمة
٢١٢	فهرس الأشعار
٢٣٢	المصادر والمراجع
٢٤٠	فهرس الموضوعات